مكتبة الأستاذ الدكتور محمد بن تركي التركي

مخطوطة

الشفا في تعريف حقوق المصطفى

المؤلف

عياض بن موسى بن عياض (القاضي عياض)

شبكة الألوكة www.alukah.net

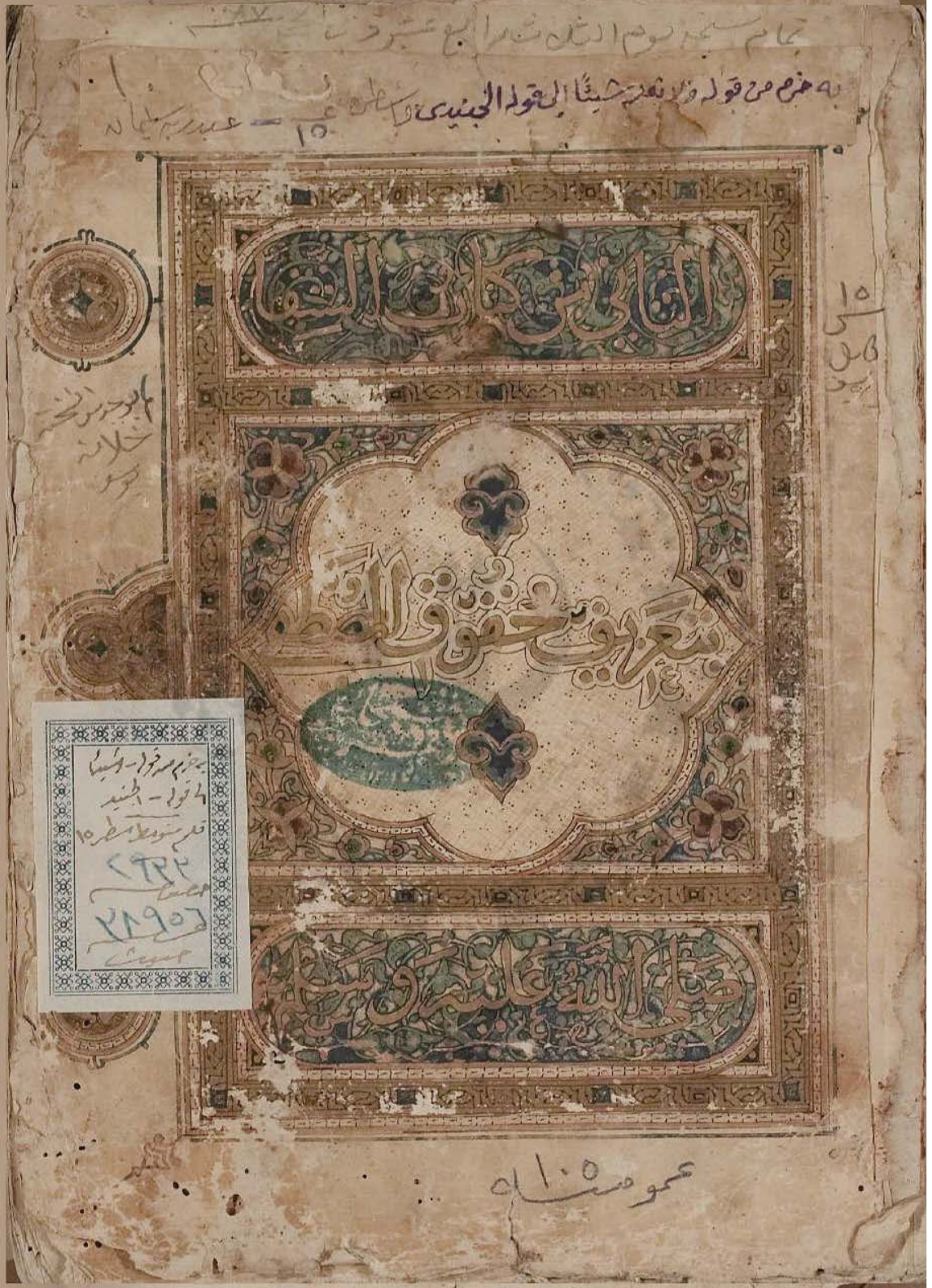

بسم الله الرحمن الرحيم وبه توفيقي

قال القاضي الامام أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رضي الله عنه

القسم الثاني

فيما يجب على الأنام من حقوقه عليه السلام

قال القاضي أبو الفضل وهذا القسم يحصى فيه الكلام في أربعة أبواب على ما ذكرناه أول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وحكم الصلاة عليه والتسليم صلى الله عليه وسلم

الباب الأول

في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته

اذا تقرر ما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الايمان به وتصديقه فيما أتى به قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا وقال انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله

ورسوله

قال ابن الحباب وقرأت على كتاب حالي القاضي الموثق ابي الحسن علي بن ابي الفرج مورخا ثنا ن شهر رمضان سنة ٥٣٨ اربعة عشر وستمايه

ورسوله وقال فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الاية فالايمان بالنبي محمد عليه السلام واجب متعين لا يتم إيمان الا به ولا يصح إسلام إلا معه قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا حدثنا أبو محمد الخشني الفقيه بقراءتي عليه حدثنا الامام أبو علي الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا ابن عمرويه حدثنا ابن سفيان حدثنا ابو الحسين حدثنا أمية بن بسطام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله قال القاضي أبو الفضل والايمان به عليه السلام هو تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنه رسول الله فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الايمان به والتصديق له كما ورد في هذا الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا

أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقد زاده وضوحا في حديث جبريل
إذ قال أخبرني عن الإسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم أن تشهد
أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وذكر أركان الإسلام ثم سأله عن
الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد قرر
أن الإيمان به محتاج إلى العقد بالجنان والاستسلام به مضطر إلى النطق
باللسان وهذه الحال المحمودة التامة وأما الحال المذمومة فالشهادة
باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى إذا جاءك
المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله
يشهد إن المنافقين لكاذبون أي كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم
وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم يصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم أن
يقولوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الإيمان ولم يكن
لهم في الآخرة حكمه إذ لم يكن معهم ولحقوا بالكافرين في الدرك الأسفل
من النار وبقي عليهم حكم الإسلام بإظهار شهادة اللسان في أحكام الدنيا
المتعلقة بالأئمة وحكام المسلمين الذين أحكامهم على الظواهر بما أظهروه
من علامة الإسلام إذ لم يجعل للبشر سبيل إلى السرائر ولا أمروا بالبحث
عنها

عنها بل نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الحكم عليها وذم ذلك وقال هلا
شققت عن قلبه والفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل
الشهادة من الإسلام والتصديق من الإيمان وبقيت حالتان أخريان بين
هذين أحدهما أن يصدق بقلبه ثم تحترم قبل اتساع وقت الشهادة
بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام الإيمان القول والشهادة به
ورأى بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله عليه السلام يخرج من النار من
كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فلم يذكر سوى ما في القلب وهذا مؤمن
بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه الثاني
أن يصدق بقلبه بطول مهلة وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة
ولا استشهد في عمره ولا مرة فهذا اختلف فيه أيضا فقيل هو مؤمن لأنه
مصدق والشهادة من جملة الأعمال فهو عاص بتركها غير مخلد وقيل
ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة اللسان إذ الشهادة إنشاء عقد والتزام إيمان
وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة الإهما وهذا هو الصحيح
وهذا بد يفضي إلى متسع من الكلام في الإسلام والإيمان وأبوابهما وفي
الزيادة فيهما والنقصان وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه

جملة وإنما يرجع إلى ما زاد عليه من عمل أو قد يعرض فيه لاختلاف صفاته
وبابن حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام
حالة وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض التأليف وفيما ذكرنا
عنية فيما قصدنا إن شاء الله فصل وأما وجوب طاعته
فإذا وجب الإيمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لأن ذلك
مما أتى به قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله وقال قل
أطيعوا الله والرسول وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال
وإن تطيعوه تهتدوا وقال من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال وما
آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال ومن يطع الله والرسول
فأولئك الآية وقال وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله فجعل تعالى
طاعة رسوله طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل
الثواب وأوعد على مخالفته بسوء العقاب وأوجب امتثال أمره واجتناب
نهيه قال المفسرون والأئمة طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم
لما جاء به وقالوا وما أرسل الله من رسول إلا ليطاع فرض طاعته على من أرسله إليه
وقالوا من يطع الرسول في سنته يطع الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله

عن شرائع الإسلام فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وقال الشعر قدري يقال
أطيعوا الله في فرائضه والرسول في سننه وقيل أطيعوا الله فيما حرم
عليكم والرسول فيما ألغلم ويقال أطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية
والنبي بالشهادة له بالنبوة حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتي عليه حدثنا
حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن خلف حدثنا محمد بن أحمد حدثنا
محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا عبدان أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس
عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع أبا هريرة يقول إن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني
فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني
فطاعة الرسول من طاعة الله إذ أمر بطاعته فطاعته امتثال لما أمر
الله به وطاعة له وقد حكى الله عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب
وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول فتمنوا
طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال عليه السلام إذا نهيتكم عن شيء
فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وفي حديث أبي هريرة
عنه عليه السلام كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا ومن يأبى قال

مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ الصَّحِيحِ
عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِيَ اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا
فَقَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ فَالنَّجَا فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ
مِنْ قَوْمِهِ فَادَّلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ
فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ
وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ فِي مِثْلِهِ
كَمَثَلِ مَنْ بَنَى دَارًا وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ
دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ
الْمَأْدُبَةِ فَالدَّارُ الْجَنَّةُ وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا فَقَدْ
أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمُحَمَّدٌ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ

فَصْلٌ وَأَمَّا وُجُوبُ اتِّبَاعِهِ وَامْتِثَالِ سُنَّتِهِ وَالِاقْتِدَاءِ
بِهَدْيِهِ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَقَالَ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَقَالَ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ
إِلَى قَوْلِهِ تَسْلِيمًا أَيْ يَنْقَادُونَ لِحُكْمِكَ يُقَالُ سَلَّمَ وَاسْتَسْلَمَ وَأَسْلَمَ إِذَا انْقَادَ

وَقَالَ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
الْآيَةَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ التِّرْمِذِيُّ الْإِسْوَةُ فِي الرَّسُولِ الِاقْتِدَاءُ بِهِ وَالِاتِّبَاعُ لِسُنَّتِهِ
وَتَرْكُ مُخَالَفَتِهِ فِي قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ وَقَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ مَعْنَاهُ وَقِيلَ هُوَ
عِتَابٌ لِلْمُتَخَلِّفِينَ عَنْهُ وَقَالَ سَهْلٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ قَالَ
بِمُتَابَعَةِ السُّنَّةِ فَأَمَرَهُمْ تَعَالَى بِذَلِكَ وَوَعَدَهُمُ الِاهْتِدَاءَ بِاتِّبَاعِهِ لِأَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ
بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُزَكِّيَهُمْ وَيُعَلِّمَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَهَدْيِهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
وَوَعَدَهُمْ مَحَبَّتَهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى وَمَغْفِرَتَهُ إِذَا اتَّبَعُوهُ وَاتَّرَوْهُ عَلَى أَهْوَائِهِمْ
وَمَالَتْ إِلَيْهِ نُفُوسُهُمْ وَإِنْ صَحَّةُ إِيمَانِهِمْ بِانْقِيَادِهِمْ لَهُ وَرِضَاهُمْ بِحُكْمِهِ وَتَرْكُ
الِاعْتِرَاضِ عَلَيْهِ وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّ أُنَاسًا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نُحِبُّ اللَّهَ فَأَنْزَلَ
اللَّهُ تَعَالَى قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ الْآيَةَ وَرُوِيَ أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي كَعْبِ بْنِ
الْأَشْرَفِ وَغَيْرِهِ وَأَنَّهُمْ قَالُوا نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ وَنَحْنُ أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ
فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ وَقَالَ الزَّجَّاجُ مَعْنَاهُ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ أَنْ تَقْصِدُوا
طَاعَتَهُ فَافْعَلُوا مَا أَمَرَكُمْ بِهِ إِذْ مَحَبَّةُ الْعَبْدِ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ طَاعَتُهُمَا
وَرِضَاهُ بِمَا أَمَرَ أَوْ مَحَبَّةُ اللَّهِ لَهُمْ عَفْوُهُ عَنْهُمْ وَإِنْعَامُهُ عَلَيْهِمْ بِرَحْمَتِهِ وَيُقَالُ
الْحُبُّ مِنَ اللَّهِ عِصْمَةٌ وَتَوْفِيقٌ وَمِنَ الْعِبَادِ طَاعَةٌ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ

شبكة الألوكة www.alukah.net

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا العري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته له وإرادته الجميل له وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه قال القشيري فإذا كان بمعنى الرحمة والإرادة والمدح كان من صفات الذات وسيأتي بعد في ذكر محبة العبد غير هذا بحول الله تعالى حدثنا أبو إسحق إبراهيم بن جعفر الفقيه قال حدثنا أبو الأصبغ عيسى بن سهل وحدثنا أبو الحسن يونس بن مغيث الفقيه بقراءتي عليه قالا حدثنا أبو بكر الأجري حدثنا إبراهيم بن موسى الخوري حدثنا داود بن رشيد حدثنا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو الأسلمي وحجر الكلاعي عن العرباض بن سارية في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد في حديث جابر بمعناه وكل ضلالة في النار وفي حديث أبي رافع عنه عليه السلام لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول

لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي حديث عائشة صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية وروي عنه عليه السلام أنه قال القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم لمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القرآن ومن هاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا والآخرة أمرت أمتي أن يأخذوا بقولي ويطيعوا أمري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه الآية وقال عليه السلام من رأى أمتي يبتدعون بدعة فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة وعن الحسن بن أبي الحسن قال عليه السلام عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال عليه السلام إن الله يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك بها وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

شبكة الألوكة www.alukah.net

قال المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد وقال عليه السلام
إن بني إسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن أمتي تفترق على
ثلاث وسبعين كلها في النار إلا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي
أنا عليه اليوم وأصحابي وعن أنس قال عليه السلام من أحيى سنتي فقد أحبني
ومن أحبني كان معي وعن عمرو بن عوف المزني أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لبلال بن الحارث من أحيى سنة من سنتي قد أميتت بعدي فإن له من
الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة
لا يرضى الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئا

فصل وأما ما ورد عن السلف والأئمة من اتباع سنته
والاقتداء بهديه وسيرته حدثنا الشيخ أبو عمران موسى بن عبد الرحمن بن أبي تليد
الفقيه سماعا عليه قال حدثنا أبو عمرو الحافظ حدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم
بن أصبغ ووهب بن مسرة قالا حدثنا محمد بن وضاح حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا
مالك عن ابن شهاب عن رجل من آل خالد بن أسيد أنه سأل عبد الله بن عمر فقال
يا أبا عبد الرحمن أنا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن ولا نجد صلاة السفر
فقال ابن عمر يا ابن أخي إن الله بعث إلينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا

الحديدي من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى
على نفسه نطق بالبدعة وقال سهل التستري أصول مذهبنا ثلاثة الاقتداء
بالنبي صلى الله عليه وسلم في الأخلاق والأفعال والأكل من الحلال وإخلاص
النية في جميع الأعمال وجاء في تفسير قوله والعمل الصالح يرفعه أنه الاقتداء
برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي عن أحمد بن حنبل قال كنت يوما مع جماعة
تجردوا ودخلوا الماء فاستعمل الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فلا يدخل الحمام إلا بمئزر ولم أتجرد فرأيت تلك الليلة فيما يرى النائم أحمد البشر
فإن الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك إماما يقتدى بك قلت من
أنت قال جبريل فصل وكل مخالفة أمر ونبذ سنته
ضلال وبدعة ومن عد من الله بالخذلان والعذاب قال الله تعالى
فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم
وقال ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين
نوله ما تولى الآية حدثنا أبو محمد عبد الله بن أبي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب
بقرأتي عليهما قالا حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن القابسي
حدثنا أبو الحسن بن مسرور الدباغ حدثنا أحمد بن أبي سليمن حدثنا سحنون

نسخة الألوكة www.alukah.net

بن سعيد حدثنا ابن القاسم حدثنا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المقبرة وذكر الحديث في صفة
أمته وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال فأناديهم ألا هلم
ألا هلم ألا هلم فيقال إنهم قد بدلوا بعدك فأقول سحقا سحقا فسحقا
وروى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتي فليس مني
وقال من أدخل في أمرنا ما ليس فيه فهو رد وروي عن أبي رافع عن أبيه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر
من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب
الله اتبعناه زاد في حديث المقدام الا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل ما حرم الله وقال عليه السلام وجيء بكتاب في كف لكي يقوم حمقا
أو قال ضلالا أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى غير نبيهم أو كتاب غير كتابهم
فنزلت أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الآية وقال عليه السلام هلك
المتطعون قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لست تارك شيئا كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به إني أخشى إن تركت شيئا
من أمره أن أزيغ

تابي

الباب الثاني

في لزوم محبته

قال الله تعالى قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم
وأموال اقترفتموها الآية فكفى بهذا حظا وتنبيها ودلالة وحجة على
إلزام محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها عليه السلام
إذ قرع تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله
وأوعدهم بقوله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم
أنهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا أبو علي الغساني الحافظ فيما أجازنيه
وهو مما قرأته على غير واحد قال حدثنا سراج بن عبد الله القاضي حدثنا
أبو محمد الأصيلي حدثنا المروزي حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا
محمد بن إسمعيل حدثنا يعقوب بن إبرهيم حدثنا ابن علية عن عبد العزيز
بن صهيب عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم
حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين وعن أبي هريرة
نحوه وعن أنس عنه عليه السلام ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان
أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله

شبكة الألوكة www.alukah.net

وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار وعن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لأنت أحب إلي من كل شيء
إلا نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن تؤمن أحدكم حتى أكون
أحب إليه من نفسه فقال عمر والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلي من نفسي
التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر قال سهل من
لم ير ولاية الرسول عليه في جميع الأحوال ورى نفسه في يده عليه السلام
لا يذوق حلاوة سنته لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى
أكون أحب إليه من نفسه الحديث فصل في ثواب محبته
حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتي عليه حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن
علي بن خلف حدثنا أبو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسمعيل
حدثنا عبدان حدثنا أبي حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبي
الجعد عن أنس أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة
يا رسول الله قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم
ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله قال أنت مع من أحببت وعن صفوان
بن قدامة هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته فقلت يا رسول الله
ناولني

ناولني يدك أبايعك فناولني يده فقلت يا رسول الله إني أحبك قال المرء مع
من أحب وروي هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود
وأبو موسى وأنس وعن أبي ذر بمعناه وعن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم
أخذ بيد حسن وحسين فقال من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان
معي في درجتي يوم القيامة وروي أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله لأنت أحب إلي من أهلي ومالي وإني لأذكرك فما أصبر
حتى آتي فأنظر إليك وإني ذكرت موتي وموتك فعرفت أنك إذا دخلت
الجنة رفعت مع النبيين وإن دخلتها لا أراك فأنزل الله ومن يطع الله والرسول
فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن أولئك رفيقا فدعا به فقرأها عليه وفي حديث آخر كان رجل
عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر إليه لا يطرف فقال فما لك فقال بأبي أنت
وأمي أتمتع من النظر إليك فإذا كان يوم القيمة رفعك الله بفضيلة
فأنزل الله الآية وفي حديث أنس من أحبني كان معي في الجنة

فصل فيما روي عن السلف والأئمة من محبتهم للنبي صلى الله
عليه وسلم وشوقهم له حدثنا القاضي الشهيد حدثنا العذري حدثنا

شبكة الألوكة www.alukah.net

الزازي حدثنا الحلواني حدثنا بن سفيان حدثنا مسلم حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب
بن عبد الرحمن عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله
ومثله عن أبي ذر تقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لأنت أحب
إلي من نفسي وما تقدم من الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاص ما كان أحد
أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان
قال ما كان خالد يأوي إلى فراشه إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار يسميهم ويقول هم أصلي وفصلي
وإليهم يحن قلبي طال شوقي إليهم فعجل رب قبضي إليك حتى يغلبه النوم وروي
عن أبي بكر أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لإسلام أبي طالب
كان أقر لعيني من إسلامه يعني أباه أبا قحافة وذلك أن إسلام أبي طالب كان
أقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب قاله للعباس إن إسلامك أحب إلي من أن
يسلم الخطاب لأن ذاك أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
بن إسحق أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو

بحمد الله كما تحبين قالت أريه حتى أنظر إليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك
جلل وسئل علي بن أبي طالب كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء
البارد على الظمأ وعن زيد بن أسلم خرج عمر ليلة يحرس فرأى مصباحا في
بيت وإذا عجوز تنفش صوفا وتقول

على محمد صلاة الأبرار ... صلى عليه الطيبون الأخيار
قد كنت قواما بكا بالأسحار ... يا ليت شعري والمنايا أطوار
هل تجمعني وحبيبي الدار

يعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي وفي الحكاية طول وروي أن عبد الله
بن عمر خدرت رجله فقيل له اذكر أحب الناس إليك يزل عنك فصاح يا محمداه
يا محمداه فانشرت ولما احتضر بلال نادت امرأته واحرباه فقال
واطرباه غدا ألقى الأحبة محمدا وحزبه ويروى أن امرأة قال لعائشة
أكشفي لي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته لها فكت حتى ماتت
ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له أبو سفيان
بن حرب أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه
وأنك في أهلك فقال زيد والله ما أحب محمدا الآن في مكانه الذي هو

فيه تصيبه شوكة وأني جالس في أهلي فقال أبو سفيان ما رأيت من الناس
أحدا يحب أحد كحب أصحاب محمد محمدا صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس
كانت المرأة إذا أتت النبي صلى الله عليه وسلم حلفها بالله ما خرجت من بغض
زوج ولا رغبة بأرض عن أرض وما خرجت إلا حب الله ورسوله ووقف ابن
عمر على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر له وقال كنت والله ما علمت صواما
قواما لله ورسوله فصل في علامة محبته عليه السلام
اعلم أن من أحب شيئا آثره وآثر موافقته وإلا لم يكن صادقا في حبه
وكان مدعيا فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك
عليه وأولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع أقواله وأفعاله
وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في عسره ويسره
ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا قوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله وإيثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقه
شهوته قال الله تعالى والذين تبوؤ الدار والإيمان من قبلهم يحبون من
هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم
ولو كان بهم خصاصة وإشحاط العباد في رضي الله حدثنا القاضي أبو علي

الحافظ

الحافظ حدثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون قالا حدثنا أبو يعلى
البغدادي حدثنا أبو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا أبو عيسى حدثنا
مسلم بن حاتم حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن علي بن زيد عن
سعيد بن المسيب قال قال أنس بن مالك قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل ثم
قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن أحيى سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان
معي في الجنة فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها
في بعض هذه الأمور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله عليه السلام
للذي جلد في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله
عليه وسلم لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله ومن علامات محبة النبي صلى الله
عليه وسلم لكثرة ذكره له من أحب شيئا أكثر من ذكره ومنها كثرة شوقه إلى
لقائه وكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث الأشعريين عند قدومهم
المدينة أنهم كانوا يرجزون غدا نلقى الأحبة محمدا وصحبه وتقدم قول بلال
ومثله قال عمار قبل قتله وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان ومن
علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره وإظهار الخشوع

والانكسار مع سماع اسمه قال اسحق التجيبي كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
بعده لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من
التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا إليه ومنهم من يفعله تهيبا
وتوقيرا ومنها محبته لمن احب النبي صلى الله عليه وسلم ومن هو بسبيله من
اهل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار وعداوة من عاداهم وبغض من
ابغضهم وسبهم فمن احب شيئا احب من يحب وقد قال عليه السلام
في الحسن والحسين اللهم اني احبهما فاحبهما وفي رواية في الحسن فاحب
من يحبه وقال من احبهما فقد احبني ومن احبني فقد احب الله ومن ابغضهما
فقد ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض الله وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم
غرضا فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم
فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه
وقال في فاطمة انها بضعة مني يغضبني ما اغضبها وقال لعايشة في اسامة
بن زيد احبيه فاني احبه وقال اية الايمان حب الانصار واية النفاق بغضهم
وفي حديث ابن عمر من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم فالحقيقة
من احب شيئا احب كل شيء يحبه وهذه سيرة السلف حتى في المباحات

وشهوات

وشهوات النفس وقد قال انس حين راى النبي صلى الله عليه وسلم يتبع الدباء
من حوالي القصعة فما زلت احب الدباء من يومئذ وهذا الحسن بن علي
وعبد الله بن عباس وابن جعفر اتوا سلمى وسألوها ان تصنع لهم طعاما مما كان
يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ
بالصفرة اذ راى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض من ابغض
الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه
واستنقاله كل امر يخالف شريعته قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله
واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وهؤلاء اصحابه عليه السلام
قد قتلوا اخباءهم وقاتلوا ابناءهم واباءهم في مرضاته وقال له عبد الله
بن عبد الله بن ابي لو شئت لاتيتك براسه يعني اباه ومنها ان يحب القران
الذي اتى به عليه السلام وهدي به واهدى وخلق به حتى قالت عايشة
كان خلقه القران وحبة القران تلاوته والعمل به وتفهمه ويحب سنته
ويقف عند حدودها قال سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القران وعلامة
حب لله وحب القران حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله
عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب

شبكة الألوكة www.alukah.net

الآخرة بعض الدنيا وعلامة بعض الدنيا الآيد خزنها إلا ازداد ولعة إلى الآخرة
وقال بن مسعود لا يسأل أحد عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن
فهو يحب الله ورسوله ومن علامة حبة للنبي صلى الله عليه وسلم شفقته
على أمته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار عنهم كما كان عليه السلام
بالمؤمنين رؤوفا رحيما ومن علامة تمام محبته زهده مدعيها في الدنيا وإيثاره
الفقر وإيثاره وقد قال عليه السلام لأبي سعيد الخدري إن الفقر إلى
من يحبني منكم أسرع من السيل من أعلى الوادي أو الجبل إلى أسفله وفي
حديث عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله
إني أحبك ثلاث مرات قال إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافا فإنه أدنى
حديث أبي سعيد بمعناه فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله
عليه وسلم وحقيقتها اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله
عليه وسلم وكثرت عبارتهم في ذلك وليست ترجع بالحقيقة إلى اختلاف
مقال وإنما اختلاف أحوال فقال شفيان المحبة اتباع الرسول عليه السلام
كأنه التفت إلى قوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله والدب عن سنته
والانقياد لها والهيبة لمخالفته وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال

الصحابة رضي الله عنهم
وأرضاهم وروى حديثا

وصف ما تصنع به الإنسان وقال
عليه وسلم

أخر إيثار المحبوب وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال بعضهم المحبة
الشوق إلى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطأة القلب لمراد الرب يحب ما أحب
ويكره ما كره وقال أخر المحبة ميل القلب إلى موافقه وأكثر العبارات المتقدمة
إشارة إلى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة المحبة الميل إلى ما يوافق
الإنسان وتكون موافقته له إما لاستلذاذه بإدراكه كحب الصور الجميلة
والأصوات الحسنة والأطعمة والأشربة اللذيذة وأشباهها مما كل طبع سليم
مائل إليها لموافقتها له أو لاستلذاذه بإدراكه بحاسة عقله وقلبه معاني
باطنة شريفة كمحبة الصالحين للعلماء وأهل المعروف والمأثور عنهم
السير الجميلة والأفعال الحسنة فإن طبع الإنسان مائل إلى الشعف بأمثال
هؤلاء حتى سلع التعصب بقوم لقوم والتشيع من أمة في أخرين
ما يؤدي إلى الجلاء عن الأوطان وهتك الحرم واختراع النفوس أو يكون
حبه إياه لموافقته له من وجه إحسانه له وانعامه عليه فقد جبلت
النفوس على حب من أحسن إليها فإذا تقرر لك هذا نظرت هذه الأسباب
كلها في حقه عليه السلام فعلمت أنه عليه السلام جامع لهذه المعاني
الثلاثة الموجبة للمحبة أما جمال الصورة والظاهر وكمال الأخلاق والباطن

شبكة الألوكة www.alukah.net

فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج إلى زيادة وإما إحسانه
وإنعامه على أمته فكذلك قد مر منه في أوصاف الله تعالى له من رأفته
بهم ورحمته لهم وهدايته إياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار
وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله
بإذنه ويتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط
مستقيم فأي إحسان أجل قدرا وأعظم خطرا من إحسانه إلى جميع المؤمنين
وأي إفضال أعم منفعة وأكثر فائدة من إنعامه على كافة المسلمين إذ كان
ذريعهم إلى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم إلى الفلاح والكرامة
ووسيلتهم إلى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم
البقاء الدايم والنعيم السرمد فقد استبان لك أنه عليه السلام مستوجب
للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الآثار وعادة وجبلة بما ذكرناه
أيضا لإفاضته الإحسان وعمومه الإفضال فإذا كان الإنسان يحب
من منحه في دنياه مرة أو مرتين معروفا أو استنقذه من هلكة أو مضرة
مدة التأذي بها قليل منقطع ثم منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى
من عذاب الجحيم أولى بالحب وإذا كان يحب الطبع ملك الحسن سيرته

أو حاكم لما يؤثر من قوام طريقته أو قاض يعيد الدرار لما شاد من علمه أو
كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال على غايه مراتب الكمال أحق بالحب
وأولى بالميل وقد قال علي رضي الله عنه في صفته عليه السلام من
رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه وذكرنا عن بعض الصحابه
أنه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه صلى الله عليه وسلم

فصل في وجوب مناصحته عليه السلام قال الله تعالى
ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على
المحسنين من سبيل والله غفور رحيم قال أهل التفسير إذا نصحوا لله
ورسوله إذا كانوا مخلصين مسلمين في السر والعلانية حدثنا الفقيه
أبو الوليد بقراءتي عليه حدثنا حسين بن محمد حدثنا يوسف بن عبد الله حدثنا
بن عبد المؤمن حدثنا أبو بكر القاري حدثنا أبو داود حدثنا أحمد بن يونس
حدثنا زهير حدثنا سهيل بن أبي صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة
إن الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله
وأيمة المسلمين وعامتهم قال أيمتنا وجهم لله النصيحة لله ورسوله وأيمة

المسلمين وعامتهم وأجمعت قال الإمام أبو سليمان البستي هو الخطابي
النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة إرادة الخير للمنصوح له وليس يمكن أن يعبر عنها
بكلمة واحدة تجمعها ومعناها في اللغة الإخلاص من قولهم نصحت العسل
إذا خلصته من شمعه وقال أبو بكر الحفاف بن أي اسحق النصح فعل الشيء
الذي به الصلاح والملائمة مأخوذ من الناصح وهو الخيط الذي يخاط به
الثوب وقال أبو إسحق الزجاج نحوه فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد
له بالوحدانية ووصفه بما هو أهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة
في محابه والبعد من مساخطه والإخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه
الإيمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عند والتعظيم
له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من تأويل الغالين وطعن الملحدين
والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة له مما أمر به
ونهى عنه قاله أبو سليمان وقال أبو بكر موازرته ونصرته وحمايته
حيا وميتا وإحياء سنته بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق بأخلاقه
الكريمة وآدابه الجميلة وقال أبو إبراهيم إسحق التجيبي نصيحة رسول الله
صلى الله عليه وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها

والحط عليها والدعوة إلى الله وإلى كتابه وإلى رسوله وإليها وإلى العمل بها وقال
أحمد بن محمد بن مفرو ضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قال أبو بكر الآجري وغيره النصح له يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد
مماته ففي حياته نصح أصحابه له بالنصر والحماية عنه ومعاداة من عاداه
والسمع والطاعة له وبذل النفوس والأموال دونه كما قال الله تعالى
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية وقال وينصرون الله ورسوله
الآية وأما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والإجلال وشدة
المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة آل بيته وأصحابه
ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة
على أمته والبحث عن تعرف أخلاقه وسيره وآدابه والصبر على ذلك فعلى
ما ذكره تكون النصيحة إحدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه
وحكى الإمام أبو القاسم القشيري أن عمرو بن الليث أحد ملوك خراسان
ومشاهير الثوار المعروف بالصفار دخل في النوم فقيل له ما فعل الله بك
فقال غفر لي فقيل له بماذا قال صعدت درجة جعل يوما فاشرفت على
جنودي فأعجبني كثرتهم فمقتني فأتيت حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاعنته ونصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي وأما النصح لأئمة المسلمين فطاعتهم
في الحق ومعونتهم فيه وأمرهم به وتذكيرهم آياه على أحسن وجه وتنبيههم على
ما غفلوا عنه وكم عنهم من أمور المسلمين وترك الخروج عليهم وتأديب
الناس وإسناد قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين وإرشادهم إلى مصالحهم
ومعونتهم في أمر دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم
وردع محاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع إليهم

الباب الثالث

في تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره

قال الله تعالى يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا
بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وقال يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي
الله ورسوله ويا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآيات
الثلاث وقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فاوجب
الله تعزيره وتوقيره والزم إكرامه وتعظيمه قال ابن عباس تعزروه
تجلوه وقال المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الأخفش تنصروه
وقال الطبري تعينوه وقرئ تعزروه برايين من العز ونهى عن التقدم بين يديه

بالقول وسوء الأدب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو
اختيار ثعلب وقال سهل بن عبد الله لا يقولوا قبل أن يقول وإذا قال فانصتوا
واستمعوا ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء أمر قبل قضايه فيه وأن
يفتاتوا بشيء في ذلك من قال أو غيره من أمر دينهم إلا بأمره ولا يسبقوه
بالقول وإليه ذهب قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري
ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله إن الله سميع عليم
قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم قال السلمي اتقوا الله في إهمال حقه
وتضييع حرمته إنه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت
فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ورفع صوته وقيل كما
ينادي بعضهم بعضا باسمه قال أبو محمد مكي أي لا تناقوه بالكلام وتغلطوا
له الخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه
وناديه بأشرف ما يجب أن ينادى به رسول الله يا نبي الله وهذا قوله
في الآية الأخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على
أحد التأويلين قال غيره لا تخاطبوه إلا مستفهمين ثم حذرهم الله تعالى
بحبط أعمالهم إن هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل نزلت الآية في وفد

شبكة الألوكة www.alukah.net

بني تميم وقيل في غيرهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فناداه يا محمد
اخرج إلينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بأن أكثرهم لا يعقلون وقيل
نزلت الآية الأولى في محاورة كانت بين أبي بكر وعمر بين يدي النبي صلى الله
عليه وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت أصواتهما وقيل نزلت في
ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم
وكان في أذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الآية أقام في منزله وخشي
أن يكون حبط عمله وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد خشيت
أن أكون هلكت بها نانا الله أن تجهر بالقول وأنا امرؤ جهير الصوت فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا
وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروي أن أبا بكر لما نزلت هذه الآية
قال والله يا رسول الله لا أكلمك بعدها إلا كأخي السرار وإن عمر كان
إذا حدثه حدثه كأخي السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد هذه الآية حتى يستفهمه فأنزل الله تعالى فيهم إن الذين يغضون أصواتهم
عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم
وقيل نزلت إن الذين ينادونك من وراء الحجرات في عبر بني تميم نادوه باسمه

وروى صفوان بن عسال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر إذ ناداه
أعرابي بصوت له جهوري يا محمد أيا محمد فقال له اغضض من صوتك فإنك
قد نهيت عن رفع الصوت وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا
وقال بعض المفسرين هي لغة كانت في الأنصار نهوا عن قولها تعظيما
للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا له لأن معناها ارعنا نرعك فنهوا عن
قولها إذ مقتضاها كأنهم لا يرعونه إلا يرعاية لهم بل حقه أن يرعى على كل حال
وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة فنهى المسلمون عن
قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظة وقيل غير هذا

فصل في عادة الصحابة في تعظيمه عليه السلام وتوقيره وإجلاله

حدثنا القاضي أبو علي الصدفي وأبو بحر الأسدي سماعي عليهما في آخرين قالوا حدثنا
أحمد بن عمر حدثنا أحمد بن الحسن حدثنا محمد بن عيسى حدثنا إبراهيم بن سفيان
حدثنا مسلم حدثنا محمد بن المثنى وأبو معن الرقاشي وإسحق بن منصور حدثنا
الضحاك بن مخلد أخبرنا حيوة بن شريح حدثني يزيد بن أبي حبيب عن شماسة
المهري قال حضرنا عمرو بن العاصي فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان
أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني منه وما

شبكة الألوكة www.alukah.net

كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني
لم أكن أملأ عيني منه وروى الترمذي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر
فلا يرفع أحد منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمر فإنهما كانا ينظران إليه وينظر
إليهما ويتبسمان إليه ويتبسم إليهما وروى أسامة بن شريك أتيت النبي
صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله كأنما على رؤوسهم الطير وفي حديث صفته
إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير وقال عروة بن مسعود
حين وجهته قريش عام القضية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى وأنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه
وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة إلا تلقوها بأكفهم
فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها
وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما
يحدون إليه النظر تعظيما له فلما رجع إلى قريش قال يا معشر قريش إني
جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه وإني والله
ما رأيت ملكا قط في قوم مثل محمد في أصحابه وفي رواية إن رأيت ملكا

قط

قط يعظمه أصحابه ما يعظم محمدا أصحابه وقد رأيت قوما لا يسلمونه أبدا
وعن أنس لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه وأطاف
به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل ومن هذا لما أدنت
قريش لعثمان بالطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم إليهم في
القضية أبى وقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي حديث طلحة أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لأعرابي جاهل
سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه فسأله فأعرض عنه إذ طلع
طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه وفي حديث قيلة
فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء أرعدت من الفرق
وذلك هيبة له وتعظيما وفي حديث المغيرة كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
يقرعون بابه بالأظافير وقال البراء بن عازب لقد كنت أريد أسأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الأمر فأؤخر سنين من هيبته

فصل واعلم أن حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته
وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره عليه السلام
وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم

أهل بيته وصحابته قال أبو ابراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن متى ذكره أو ذكر
عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته وياخذ في هيبته واجلاله
بما كان ياخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتادب بما ادبنا الله به قال القاضي
أبو الفضل وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وائمتنا الماضيين رضي الله عنهم
حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأشيري وأبو القاسم أحمد بن بقي
الحاكم وغير واحد فيما أجازوه قالوا اخبرنا أبو العباس احمد بن عمر بن دلهاث
قالوا حدثنا أبو الحسن علي بن فهر حدثنا ابو بكر محمد بن أحمد بن الفرج حدثنا
أبو الحسن عبد الله بن المنتاب حدثنا يعقوب بن اسحاق بن ابي اسرائيل
حدثنا ابن حميد قال ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في
هذا المسجد فان الله عز وجل ادب قوما فقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت
النبي الآية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون أصواتهم الآية وذم قوما
فقال ان الذين ينادونك الآية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان
لها أبو جعفر وقال يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم استقبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة

ابيك

أبيك آدم عليه السلام بل استقبله واستشفع
به فيشفعك الله قال الله تعالى ولو انهم إذ ظلموا انفسهم الآية
وقال مالك وقد سئل عن أيوب السختياني ما حدثكم عن أحد الا وأيوب
افضل منه قال وحج حجتين فكنت ارمقه ولا اسمع منه غيرة انه كان اذا
ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى أرحمه فلما رأيت منه ما رأيت من اجلاله
للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان مالك
إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على
جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت لما انكرتم علي
ما ترون لقد كنت ارى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد
نسأله عن حديث أبدا الا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت ارى جعفر بن محمد
وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم
اصفر ومارايته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على
طهارة ولقد اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه الا على ثلاث خصال اما مصليا
واما صامتا واما يقرأ القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء
والعباد الذين يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم

هو عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي مولاهم المصري صاحب مالك

يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر إلى لونه كأنه يرف منه الدم وقد جف لسانه
في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنت أتى عامر بن عبد الله
بن الزبير فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه
دموع ولقد رأيت الزهري وكان من أهناء الناس وأقرهم فإذا ذكر عنده
النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت أتى صفوان
بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فإذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
بكى فلا يزال يبكي حتى تقوم الناس عنه ويتركوه وروي عن قتادة أنه كان
إذا سمع الحديث أخذه العويل والزويل ولما كثر على مالك الناس
قيل له لو جعلت مستملياً يسمعهم فقال قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا
لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حياً وميتاً سواء وكان
عبد الرحمن بن مهدي إذا قرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بالسكوت
وقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ويتأول أنه يجب له من الإنصات
عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله فصل
في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته
حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا أبو الفضل بن خيرون حدثنا أبو بكر

الرقاني

البرقاني وغيره حدثنا أبو الحسن الدارقطني حدثنا علي بن مبشر حدثنا أحمد بن
سنان القطان حدثنا يزيد بن هارون حدثنا المسعودي عن مسلم البطين
عن عمرو بن ميمون قال اختلفت إلى ابن مسعود سنة فما سمعته يقول قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه حدث يوماً فجرى على لسانه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته ثم
قال هكذا إن شاء الله أو فوق ذا أو ما دون ذا أو ما قرب من ذا وفي رواية
فشرد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخ أوداجه وقال إبراهيم
بن عبد الله بن قسيم الأنصاري قاضي المدينة مر مالك بن أنس على أبي حازم
وهو يحدث فجاءه وقال إني لم أجد موضعاً أجلس فيه فكرهت أن أخذ
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قائم وقال مالك جاء رجل إلى
ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل
وددت أنك لم تتعن فقال إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأنا مضطجع وروي عن محمد بن سيرين أنه قد يكون ليضحك فإذا
ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع وقال أبو مصعب كان
مالك بن أنس لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو على وضوء

إجلالا له وحكى مالك ذلك عن جعفر بن محمد وقال مصعب بن عبد الله
كان مالك بن أنس إذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وتهيأ
ولبس ثيابه ثم تحدث فقال مصعب فسئل عن ذلك فقال إنه حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطرف كان إذا أتى الناس ملكا
خرجت إليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أو المسايل
فإن قالوا المسايل خرج إليهم وإن قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب
ولبس ثيابا جددا ولبس ساحته وتعمم ووضع على رأسه رداءه وألقى له
منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يتحرى بالعود حتى يفرغ
من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبيد ولم يكن يجلس على
تلك المنصة إلا إذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن أبي أويس
فقيل لمالك في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا أحدث به إلا على طهارة متمكنا قال وكان يكره أن يحدث في
الطريق أو هو قايم أو مستعجل وقال أحب أن أفهم حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا
فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس قلت
يا أبا عبد الله لقد رأيت اليوم منك عجبا قال نعم إنما صبرت إجلالا لحديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بن مهدي مشيت يوما مع مالك إلى
العقيق فسألته عن حديث فانتهرني وقال لي كنت في عيني أجل من أن
تسأل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي وسأله حرير بن
عبد الحميد الضبي عن حديث وهو قايم فأمر بحبسه فقيل له إنه قاض قال الذهبي
أحق من أدب وذكر أن هشام بن الغازي سأل مالكا عن حديث وهو
واقف فضربه عشرين سوطا ثم أشفق فحدثه عشرين حديثا فقال هشام
وددت لو زادني سياطا ويزيدني حديثا قال عبد الله بن صالح كان مالك
والليث لا يكتبان الحديث إلا وهما طاهران وكان قتادة يشتهي
أن لا تقرأ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم إلا على وضوء ولا يحدث الا على
طهارة وكان الأعمش إذا أراد أن يحدث وهو على غير وضوء تيمم

فصل

ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره آله وذريته وأمهات المؤمنين أزواجه كما فرض عليه السلام وسلكه
السلف الصالح رضي الله عنهم قال الله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم

الرجس اهل البيت الاية وقال تعالى وازواجه امهاتهم اخبرنا الشيخ ابو محمد
بن احمد العدل من كتابه وكتبت من اصله حدثنا ابو الحسن المرى الرعاني
حدثني ام القاسم بنت الشيخ ابي بكر الحفاف حدثني ابي حدثنا حاتم هو بن
عقيل حدثنا يحيى هو بن اسمعيل حدثنا يحيى هو الحماني حدثنا وكيع عن
ابيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن ارقم قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم الله واهل بيتي ثلاثا فقلنا ليزيد
من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس
وقال عليه السلام اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لم تضلوا كتاب الله
وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال عليه السلام
معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية
لآل محمد امان من العذاب قال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم
من النبي صلى الله عليه وسلم واداعرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم
بسببه وعن عمر بن ابي سلمة لما نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت الاية وذلك في بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا
وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي

فاذهب

فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن ابي وقاص لما نزلت اية
المباهلة دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة
وقال اللهم هؤلاء اهلي وقال النبي صلى الله عليه وسلم في علي من كنت مولاه
فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك الا مؤمن
ولا يبغضك الا منافق وقال للعباس والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل
الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ومن اذى عمي فقد اذاني وانما عم الرجل صنو ابيه
وقال للعباس اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءة وقال هذا عمي
وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي فاستروهم من النار كستري اياهم فاستت
اسكفة الباب وحوائط البيت امين امين وكان يأخذ اسامة بن زيد
والحسن ويقول اللهم اني احبهما فاحبهما وقال ابو بكر رضي الله عنه ارقبوا
محمدا في اهل بيته وقال ايضا والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
احب الي ان اصل من قرابتي وقال صلى الله عليه وسلم احب الله من احب
حسنا وقال من احبني واحب هذين واشار الى حسن وحسين وابا هما
وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من اهان
قريشا اهانه الله وقال قدموا قريشا ولا تقدموها وقال عليه السلام لام سلمة

لاتؤذيني في عايشة وعن عقبة بن الحرث رأيت ابا بكر رضي الله عنه
وجعل الحسن على عنقه وهو يقول باي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي
وعلي يضحك وروي عن عبد الله بن حسن بن حسين قال اتيت عمر بن عبد العزيز
في حاجة فقال لي ادا كانت لك حاجه فارسل الي واكتب فاني استحيي من
الله ان يراك على بابي وعن الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة امه ثم قربت
له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا نفعل بالعلماء فقبل زيد يد
بن عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا ورأى بن عمر
محمد بن اسامة بن زيد فقال ليت هذا عبدي فقيل له هو محمد بن اسامة فطأطأ
بن عمر راسه وتقريره الارض وقال لو راه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه
وقال الاوزاعي دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها تمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها
حتى جعل يدها بين يديه ويديه في ثيابه ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه
وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة الا قضاها ولما فرض عمر بن الخطاب
لابنه عبد الله في ثلاثة الاف ولاسامة بن زيد في ثلاثة الاف وخمس مائة

قال عبد الله لابيه لم فضلته فوالله ما سبقني الى مشهد فقال له لان زيدا كان
احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك واسامة احب اليه منك
فاثرت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي وبلغ معوية ان كابس
بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار
قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه المرغاب لشبهه صورة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي ان ملكا رحمه الله لما ضربه جعفر بن
سليمان ومال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل عليه الناس فأفاق فقال
اشهدكم اني جعلت ضاربي في حل فسئل بعد ذلك فقال خفت ان اموت
فالقي النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيي منه ان يدخل بعض آله النار بسببي
وقيل ان المنصور افاده من جعفر فقال له اعوذ بالله والله ما ارتفع منها
سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ابو بكر بن عياش لو اتاني ابو بكر وعمر وعلي لبدأت بحاجة علي لقربهما
لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان احر من السماء الى الارض
احب الي من ان اقدمه عليهما وقيل لابن عباس ماتت فلانة لبعض ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له اتسجد هذه الساعة قال اليس قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم آية فاسجدوا وأي آية أعظم من ذهاب
ارواح النبي صلى الله عليه وسلم فصل ومن توقيره وبره
عليه السلام توقير أصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء
عليهم والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم
والاضراب عن أخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين
القادحة في أحد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل من مثل ذلك فيما كان بينهم
من الفتن أحسن التأويلات وتخرج لهم أصوب المخارج إذ هم اهل ذلك ولا
يذكر أحد منهم بسوء ولا يغض عليه أمر بل يذكر حسناتهم وفضائلهم ويحمد
سيرهم ويسكت عما وراء ذلك كما قال عليه السلام إذا ذكر اصحابي فامسكوا
قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء
بينهم الى آخر السورة وقال والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار
الآية وقال لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية حدثنا القاضي أبو علي حدثنا أبو الحسين
وأبو الفضل قالا حدثنا أبو يعلى حدثنا أبو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب
حدثنا الترمذي حدثنا الحسن بن الصباح حدثنا سفيان بن عيينة عن

زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن خراش عن حذيفة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر وقال اصحابي
كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل أصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا به وقال الله الله
في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي
ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله
يوشك أن يأخذه وقال لا تسبوا أصحابي فلو أنفق احدكم مثل احد ذهبا
ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وقال من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة
والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال اذا ذكر اصحابي فامسكوا
وقال في حديث جابر ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين
والمرسلين واختار لي منهم اربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا
فجعلهم خير اصحابي وفي أصحابي كلهم خير وقال من احب عمر فقد احبني ومن
ابغض عمر فقد ابغضني قال مالك بن انس وعبر من ابغض الصحابة وسبهم
فليس له في المسلمين حق ونزع بآية الحشر والذين جاءوا من بعدهم الآية
وقال من غاظه أصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال

شبكة الألوكة www.alukah.net

عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم قال ايوب السختياني من احب ابا بكر فقد اقام الدين
ومن احب عمر فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد استضاء بنور الله
ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء على اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص احدا منهم فهو
مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل الى السماء
حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما وفي حديث خالد بن سعيد ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا ذلك له
ايها الناس اني راض عن عمر وعثمان وعن علي وطلحة والزبير وسعد وسعيد واني عنه
وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا ذلك لهم ايها الناس ان الله غفر لاهل بدر
ولاهل بيعة الحديبية ايها الناس احفظوني في اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبكم
احد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب يوم القيمة غدا وقال رجل للعافي
بن عمران عمر بن عبد العزيز من معوية فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم احد معوية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه على
وحي الله واتى النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان

يبغض عثمان فابغضه الله وقال عليه السلام في الانصار اعفوا عن مسيئهم
واقبلوا من محسنهم وقال احفظوني في اصحابي واصهاري فانه من حفظني
فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى
الله منه يوشك ان يأخذه وعنه عليه السلام من حفظني في اصحابي كنت
له حافظا يوم القيمة وقال من حفظني في اصحابي ورد علي الحوض ومن لم
يحفظني في اصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني الا من بعيد قال مالك رحمه الله
هذا النبي مؤدب الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج في
جوف الليل الى البقيع فيدعو لهم ويستغفر كالمودع لهم وبذلك امره الله
وامر النبي عليه السلام بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم وروي عن كعب
ليس احد من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا له شفاعة يوم القيمة
وطلب من المغيرة بن نوفل ان يشفع له يوم القيمة قال سهل بن عبد الله
التستري لم يؤمن بالرسول من لم يوقر اصحابه ولم يعزرا وامره

فصل

ومن اعظامه واكباره اعظام جميع اسبابه
واكرام مشاهده وامكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه عليه السلام
او عرف به وروي عن صفية بنت نجدة قالت كان لابي محذورة قصة في مقدم

شبكة الألوكة www.alukah.net

راسه إذا قعد وارسلها أصابت الأرض فقيل له الا يحلقها فقال لم أكن بالذي
احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وكانت في قلنسوة
خالد بن الوليد شعرات من شعره عليه السلام فسقطت قلنسوته في بعض
حروبه فشد عليها شدة أنكر عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة
من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره عليه السلام
ليلا اسلب بركتها وتقع في أيدي المشركين وروي ان عمر واضعا
يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه ولهذا
كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول استحي من الله ان اطأ تربة
فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة وروي انه وهب للشافعي كراعا
كثيرا كان عنده فقال له الشافعي امسك فيها دابة فاجابه بمثل هذا الجواب
وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي عن احمد بن فضلوية الزاهد وكان من الغزاة
الرماة أنه قال ما مسست القوس بيدي الا على طهارة مذ بلغني ان النبي
صلى الله عليه وسلم لمس القوس بيده وقد افتى مالك فيمن قال تربة المدينة
ردية بضرب ثلثين درة وأمر بحبسه وكان له قدر وقال ما أحوجه الى
ضرب عنقه تربة دفن فيها النبي صلى الله عليه وسلم يزعم أنها غير طيبة وفي

العلم علمه من عند الله

الصحيح أنه قال عليه السلام في المدينة من أحدث فيها حدثا او اوى محدثا
فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا تقبل لله منه صرفا ولا عدلا
وحكى أن حجاجا الغفاري احد قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان
رضي الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فأخذته الأكلة
في ركبته فقطعها ومات من قبل الحول وقال عليه السلام من حلف على
منبري كاذبا فليتبوأ مقعده من النار وحدث أن أبا الفضل الجوهري
لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة لمن بان عنه أن نلم به ركبا

وحكى عن بعض المريدين أنه لما اشرف على مدينة الرسول انشا يقول متمثلا

رفع الحجاب لنا فلاح لناظرنا قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطي بنا بلغن محمدا فطهورهن على الرجال حرام
قربتنا من خير من وطئ الثرى فلها علينا حرمة وذمام

وحكى عن بعض المشايخ أنه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد الآبق
يأتي الى باب مولاه راكبا لو قدرت أني امشي على رأسي ما مشيت على قدمي

قال القاضي وجديد لواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل
وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت
تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر
مدارس آيات ومساجد وصلوات ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد
البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين
ومنبوا خاتم النبيين حيث انبجرت النبوة وأنار فاض عبابها ومواطن مهبط
الرسالة واول ارض مس جلد المصطفى ترابها أن عظم عرصاتها وتستسم نسماتها
وتقبل ربوعها وجدرانها

يا دار خير المرسلين ومن به هدي الأنام وخص بالآيات
عندي لأجلك لوعة وصبابة وتشوق متوقد الجمرات
وعلي عهدك ان ملأت محاجري من تلكم الجدران والعرصات
لأعفرن مضون شيبي عندها من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والأعادي زرتها أبدا ولو سحبا على الوجنات
لكن سأهدي من حنين تحيتي لثرى تلك الدار والحجرات
أذكى من المسك الفتيق نفحة تغشاه بالأصال والبكرات

وتخصه بغوادي الصلوات ونوامي التسليم والبركات

الباب الرابع

في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته

قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية قال ابن عباس
معناه ان الله وملائكته يباركون على النبي وقيل ان الله يترحم على
النبي وملائكته يدعون له قال المبرد واصل الصلاة الترحم فمن الله
رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله وقد ورد في الحديث
صفة صلاة الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة اللهم اغفر له اللهم ارحمه
فهذا دعاء وقال بكر القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي رحمة
وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة وقال أبو العالية
صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء قال القاضي
أبو الفضل وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلاة عليه
بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدل أنهما بمعنيين وأما التسليم الذي
امر الله تعالى به عباده فقال القاضي أبو بكر بن بكير نزلت هذه الآية
على النبي صلى الله عليه وسلم فامر الله اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك

شبكة الألوكة www.alukah.net

من بعدهم أمروا أن يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم
قبره وعند ذكره وفي معنى السلام عليه ثلاثة وجوه احدها السلامة لك
ومعك ويكون السلامة مصدرا كالملاذ واللذاذ الثاني أي السلام
على حفظك ورعايتك متولٍ له وكفيل به ويكون هنا السلام اسم الله
الثالث أن السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما

فصل اعلم أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
فرض على الجملة غير محدد بوقت لأمر الله تعالى بالصلاة عليه وحمل الائمة
والعلماء له على الوجوب وأجمعوا عليه وحكى أبو جعفر الطبري ان محمل
الآية عندهم على الندب وادعى فيه الاجماع ولعله فيما زاد على مرة
والواجب منه للذي يسقط به الحرج وما تم ترك الفرض مرة كالشهادة
له بالنبوة وما عدا ذلك فندوب مرغب فيه من سنن الاسلام
وشعار اهله قال القاضي أبو الحسن بن القصار المشهور عن اصحابنا
أن ذلك واجب في الجملة على الانسان وفرض عليه أن يأتي بها مرة
من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي أبو بكر بن بكير افترض الله

على خلقه أن يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت
معلوم فالواجب أن يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضي أبو محمد بن نصر
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة قال القاضي أبو عبد الله
محمد بن سعيد ذهب مالك وأصحابه وغيرهم من أهل العلم أن الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الايمان لا يتعين في
الصلاة وإن من صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال
أصحاب الشافعي الفرض منها الذي امر الله به ورسوله عليه السلام هو في
الصلاة وقالوا أما في غيرها فلا خلاف انها غير واجبة واما في الصلاة
فحكى الامام ابو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما اجماع جميع المتقدمين
والمتأخرين من علماء الامة على أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
في التشهد غير واجبة وشذ الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على النبي
صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الأخير وقبل السلام فصلاته فاسدة
وإن صلى عليه قبل ذلك لم تجز ولا سلف له في هذا القول ولا سنة
يتبعها وقد بالغ في انكار هذه المسئلة عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة
وشنعوا عليه لخلافه فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد وقال ابو بكر

بن المنذر يستحب أن لا يصلي أحد صلاة الا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فإن ترك ذلك تارك فصلاته مجزية في مذهب مالك وأهل المدينة وسفيان الثوري
وأهل الكوفة من أصحاب الرأي وغيرهم وهو قول جل أهل العلم وحكي عن مالك
وسفيان أنها في التشهد الأخير مستحبة وإن تركها في التشهد سهوا وشذ
الشافعي فأوجب على تاركها في الصلاة الإعادة وأوجب استحق الأعادة مع تعمد
تركها دون النسيان وحكى أبو محمد بن أبي زيد عن محمد بن المواز أن الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة قال أبو محمد يزيد ليست من فرائض
الصلاة وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى بن القصار وعبد الوهاب أن محمد
بن المواز يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي وقد خالف الخطابي بن
أصحاب الشافعي وغيره الشافعي في هذه المسئلة قال الخطابي وليست بواجبة
في الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء إلا الشافعي ولا أعلم له فيها قدوة
والدليل على أنها ليست من فروض الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعي
وإجماعهم عليها وقد شنع الناس عليه هذه المسئلة جدا وهذا تشهد بن مسعود
الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه
ليس فيه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من روى

التمهد

التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم كأبي هريرة وبن عباس وجابر وابن عمر
وأبي سعيد الخدري وأبي موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير لم يذكر وافيه
صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال بن عباس وجابر كان النبي صلى الله
عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ونحوه عن أبي سعيد
وقال بن عمر كان أبو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما يعلمون الصبيان
في الكتاب وعلمه أيضا على المنبر عمر بن الخطاب وفي الحديث لا صلاة
لمن لم يصل علي قال ابن القصار معناه كاملة أو لمن لم يصل علي مرة في
عمره وضعف أهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث وفي حديث أبي جعفر عن
بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل فيها علي
وعلى أهل بيتي لم تقبل منه قال الدارقطني الصواب إنه قول أبي جعفر
محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم أصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم
ولا على أهل بيته لرأيت أنها لا تتم فصل في المواطن
التي يستحب فيها الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم
ويرغب من ذلك في تشهد الصلاة كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل
الدعاء حدثنا القاضي أبو علي رحمه الله بقراءتي عليه قال حدثنا

الإمام أبو القاسم البلخي قال حدثنا الفارسي عن أبي القاسم الخراعي عن الهيثم
عن أبي عيسى الحافظ قال حدثنا محمود بن غيلان حدثنا عبد الله بن يزيد
المقبري حدثنا حيوة بن شريح حدثني أبو هانئ الخولاني أن عمرو بن مالك
الحبي أخبره أنه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم
رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره إذا صلى
أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي ثم ليدع بعد
بما شاء ويروى من غير هذا السند بتحميد الله وهو أصح وعن عمر
بن الخطاب قال الدعاء والصلاة معلق بين السماء والأرض لا يصعد
إلى الله منه شيء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعن علي عن
النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال وعلى آل محمد ويروى أن الدعاء
محجوب حتى يصلى الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم وعن بن مسعود
إذا أراد أحدكم أن يسأل الله شيئا فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما
هو أهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليسأل فإنه أحرى أن ينجح
وعن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب
فإن

فإن الراكب يملأ قدحه ثم يصبه ويرفع متاعه فإن احتاج إلى شراب شربه
أو الوضوء توضأ والا هراقه ولكن اجعلوني في أول الدعاء واوسطه
وآخره وقال بن عطاء للدعاء أركان وأجنحة وأسباب وأوقات فإن
وافق أركانه قوي وإن وافق أجنحته طار في السماء وإن وافق مواقيته
فاز وإن وافق أسبابه أنجح فأركانه حضور القلب والرقة والاستكانة
والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه من الأسباب وأجنحته الصدق
ومواقيته الأسحار وأسبابه الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وفي الحديث
الدعاء بين الصلاتين على لا يرد وفي حديث آخر كل دعاء محجوب
دون السماء فإذا جاءت الصلاة على صعد الدعاء وفي دعاء بن عباس
الذي رواه عنه جنش فقال في آخره واستجب دعائي ثم تبدأ بالصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم أن تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك
أفضل ما صليت على أحد من خلقك أجمعين أمين ومن مواطن الصلاة
عليه عند ذكره وسماع اسمه أو كتابه أو عند الأذان وقد قال عليه السلام
رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وكره بن حبيب ذكر النبي صلى الله
عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون الصلاة عليه عند التعجب وقال لا

شبكة الألوكة www.alukah.net

يصلي عليه إلا على طريق الاحتساب وطلب الثواب قال اصبغ عن ابن القاسم
موطنان لا يذكر فيهما إلا الله الذبيحة والعطاس فلا يقل فيهما بعد ذكر
الله محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله صلى الله على محمد لم تكن تسميته
له مع الله وقاله أشهب قال ولا ينبغي أن تجعل الصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم فيه استنانا وروى النسائي عن أوس بن أوس عن النبي
صلى الله عليه وسلم الأمر بالإكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة ومن مواطن
الصلاة والسلام دخول المسجد قال أبو إسحق بن شعبان وينبغي لمن
دخل المسجد أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليه
وعلى آله ويترك عليه وعلى آله وسلم تسليما ويقول اللهم اغفر ذنوبي
وافتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك
فضلك وقال عمر بن دينار في قوله فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم
قال إن لم يكن في البيت أحد فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة
الله وبركاته قال ابن عباس المراد بالبيوت هنا المساجد وقال
النخعي إذا لم يكن في المسجد أحد فقل السلام على رسول الله وإذا لم
يكن

يكن في البيت أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
وعن علقمة إذا دخلت المسجد أقول السلام عليك أيها النبي ورحمة
الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد ونحوه عن كعب إذا دخل
وإذا خرج ولم يذكر الصلاة واحتج بن شعبان لما ذكر بحديث فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلمه
إذا دخل المسجد ومثله عن أبي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام
والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث آخر القسم والاختلاف في ألفاظه
ومن مواطن الصلاة عليه أيضا الصلاة على الجنائز وذكر عن أبي أمامة
أنها من السنة ومن مواطن الصلاة التي مضى عليها عمل الأمة ولم تزل
الصلاة على النبي وآله في الرسائل وما كتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر
الأول وأحدث عند ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في أقطار الأرض
ومنهم من يختم به أيضا الكتب وقال عليه السلام من صلى علي في كتاب
لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد الصلاة حدثنا أبو القاسم خلف بن إبرهيم
المري الخطيب رحمه الله وغيره قال حدثتني كريمة بنت أحمد قالت حدثنا

أبو الهيثم حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسمعيل حدثنا أبو نعيم حدثنا
الأعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال إذا صلى أحدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك
أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإنكم
إذا قلتموها أصابت كل عبد صالح في السماء والأرض هذا أحد مواطن التسليم
عليه وسنته أول التشهد وقد روى مالك عن نافع عن عمر أنه كان
يقول ذلك إذا فرغ من تشهده وأراد أن يسلم واستحب مالك في المنبوط
أن يسلم قبل ذلك قبل السلام قال محمد بن مسلمة أراد ما جاء عن عائشة
وابن عمر أنهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك أيها النبي ورحمة
الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم
واستحب أهل العلم أن ينوي الإنسان حين سلامه كل عبد صالح في
السماء والأرض من الملائكة وبني آدم والجن قال مالك في المجموعة وأحب
للمأموم إذا سلم إمامه أن يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم

فصل في كيفية الصلاة عليه والتسليم حدثنا

الواحو

أبو إسحق إبرهيم بن جعفر الفقيه بقرأتي عليه حدثنا القاضي أبو الأصبغ
حدثنا أبو عبد الله بن عتاب حدثنا أبو بكر بن واقد وعين حدثنا أبو عيسى
حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى حدثنا مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن
أبيه عن عمرو بن سليم الزرقي أنه قال أخبرني أبو حميد الساعدي أنهم
قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه
وذريته كما صليت على إبرهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل
إبرهيم إنك حميد مجيد وفي رواية مالك عن أبي مسعود الأنصاري قال قولوا
اللهم صل على محمد وعلى أله كما صليت على آل إبرهيم وبارك على محمد
كما باركت على آل إبرهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم
وفي رواية كعب بن عجرة اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبرهيم
وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبرهيم إنك حميد مجيد وعن عقبة
بن عمرو في حديثه اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد وفي رواية
أبي سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه
وحدثنا القاضي أبو عبد الله التميمي سماعا عليه وأبو علي الحسن بن طريف
اليحصبي بقرأتي عليه قالا حدثنا أبو عبد الله بن سعدون الفقيه قال

شبكة الألوكة www.alukah.net

حدثنا أبو بكر المطوعي قال حدثنا أبو عبد الله الحاكم عن أبي بكر بن أبي دارم الحافظ
عن علي بن أحمد العبسي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد
عن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه علي عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي
طالب قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علمهن في
يدي جبريل وقال هكذا نزلت من عند رب العزة اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم
بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد
اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك
حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على إبراهيم وعلى
آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على
إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم من سره أن كال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل
البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل
بيته كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الأنصاري
سألت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا واجتهدوا
في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على
إبراهيم إنك حميد مجيد وعن سلامة الكندي كان علي يعلمنا الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم داحي الدحوات وبارئ المسموكات
اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورأفة تحننك على محمد عبدك
ورسولك الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق
والدامغ لجيشات الأباطيل كما حمل فاضطلع بأمرك بطاعتك مستوفزا
في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ أمرك
حتى أورى قبسا لقابس الاه الله تصل بأهله أسبابه به هديت القلوب
بعد خوضات الفتن والآثام وموضحات الأعلام ونيرات الأحكام
ومنيرات الإسلام فهو أمينك المأمون وخازن علمك المخزون
وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح
له في عدلك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهيئات له غير مكدرات
من فور توابك المحلول وجزيل عطاياك المعلول اللهم اعل على بناء الباني
بناءه وأكرم مثواه لديك ونزله وأتمم له نوره وأجزه من ابتعاثك
له مقبول الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان

عظيم وعنه أيضا في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إن الله وملائكته
يصلون على النبي الآية لبيك اللهم وسعديك صلوات الله البر الرحيم
والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما
سبح لك من شيء يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد
المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير
الداعي إليك بإذنك السراج المنير وعليه السلام وعن عبد الله بن
مسعود اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين
وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير ورسول
الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الأولون والآخرون
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد
وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد
مجيد وكان الحسن البصري يقول من أراد أن يشرب بالكأس الأوفى
من حوض المصطفى فليقل اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه
وأولاده وأزواجه وذريته وأهل بيته وأنصاره وأشياعه
ومحبيه وأمته وعلينا معهم أجمعين يا أرحم الراحمين وعن طاوس

عن ابن عباس أنه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا
وآته سؤله في الآخرة والأولى كما آتيت إبراهيم وموسى وعن وهب بن الورد أنه
كان يقول في دعائه اللهم أعط محمدا أفضل ما سألك لنفسه وأعط محمدا
أفضل ما سألك له أحد من خلقك وأعط محمدا أفضل ما أنت مسئول له إلى
يوم القيامة وعن ابن مسعود أنه كان يقول إذا صليتم على النبي عليه السلام
فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا
اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين
وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول
الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الأولون والآخرون
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد
اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد
وما يؤثر في تطويل الصلاة وتكثير الثناء عن أهل البيت وغيرهم كثير
وقوله والسلام كما قد علمتم هو ما علمهم في التشهد من قوله السلام
عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين وفي تشهد علي السلام على نبي الله السلام على أنبياء الله ورسله

شبكة الألوكة www.alukah.net

السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى
المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته
واغفر لأهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولد وارحمهما السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته
جاء في هذا الحديث عن علي الدعاء للنبي بالغفران وفي حديث الصلاة
عليه أيضا قبل الدعاء له بالرحمة ولم يات في غيره من الأحاديث المرفوعة
المعروفة وقد ذهب أبو عمر بن عبد البر وغيره إلى أنه لا يدعى للنبي
بالرحمة وإنما يدعى له بالصلاة والبركة التي تختص به ويدعى لغيره بالرحمة
والمغفرة وقد ذكر أبو محمد بن أبي زيد في الصلاة على النبي اللهم ارحم
محمدا وآل محمد كما ترحمت على ابراهيم وآل ابراهيم ولم يات هذا في حديث
صحيح وجملته قوله في السلام السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته

فصل في فضيلة الصلاة على النبي والتسليم عليه والدعاء له

حدثنا أحمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه حدثنا القاضي يونس بن مغيث
حدثنا أبو بكر بن معوية حدثنا النسائي أخبرنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله
عن حيوة بن شريح قال أخبرني كعب بن علقمة أنه سمع عبد الرحمن بن جبير

مولى نافع انه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي
فانه من صلى علي صلى الله عليه عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في
الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل
لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وروى أنس بن مالك أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشر صلوات وحط
عنه عشر خطيات ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب له عشر حسنات
وعن أنس عنه عليه السلام أن جبريل نادى فقال من صلى عليك
صلاة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن
بن عوف عنه عليه السلام لقيت جبريل فقال اني أبشرك أن الله يقول
من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه من رواية
أبي هريرة ومالك بن أوس بن الحدثان وعبيد الله بن أبي طلحة وعن زيد
بن الحباب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد
وأنزله المنزل المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود
أولى الناس بي يوم القيمة أكثرهم علي صلاة وعن أبي هريرة عنه عليه السلام

من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب
وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي
صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد أو ليكثر
وعن أبي بن كعب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ربع الليل
قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت
بما فيه فقال أبي بن كعب يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك
من صلاتي قال ما شئت قال الربع قال ما شئت وإن زدت فهو خير
قال الثلث قال ما شئت وإن زدت فهو خير قال النصف قال ما شئت
وإن زدت فهو خير قال الثلثين قال ما شئت وإن زدت فهو خير قال
يا رسول الله فاجعل صلاتي كلها لك قال إذا تكفى ويغفر ذنبك وعن
أبي طلحة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت من بشره وطلاقته ما
لم أره قط فأتيته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل آنفا فأتاني ببشارة
من ربي أن الله تعالى يعتني إليك بشرك أنه ليس أحد من أمتك يصلي
عليك إلا صلى الله وملائكته عشرا وعن جابر بن عبد الله قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة

التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما
محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم القيمة وعن سعد بن أبي وقاص
من قال حين يسمع المؤذن وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
وأن محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالإسلام دينا
غفر له وروي عن ذهب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا
فكأنما أعتق رقبة وفي بعض الآثار ليردن علي أقوام ما أعرفهم إلا بكثرة
صلاتهم علي وفي أخرى إن أحاكم يوم القيمة من أهولها وبواطنها أكثركم علي
صلاة وعن أبي بكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أمحق للذنوب من
الماء البارد للنار والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب

فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم وإثمه

حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله حدثنا أبو الفضل بن خيرون وأبو الحسن
الصيرفي قالا حدثنا أبو بعلي حدثنا السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا أبو عيسى
حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا ربعي بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن إسحق
عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم أنف رجل دخل رمضان

ثم انسلخ قبل أن تغفر له ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر
فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن وأظنه قال أو أحدهما وفي حديث آخر
أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين ثم صعد فقال آمين
ثم صعد فقال آمين فسألته معاذ عن ذلك فقال إن جبريل صلى الله
عليه وسلم أتاني فقال يا محمد من سمعت اسمه يذكر به فلم يصل عليك فمات فدخل
النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين وقال فيمن أدرك رمضان فلم يغفر
له فمات مثل ذلك ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات مثله
وعن علي بن أبي طالب عنه عليه السلام أنه قال البخيل الذي ذكرت
عنده فلم يصل علي وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي خطئ به طريق الجنة
وعن علي بن أبي طالب عنه عليه السلام أنه قال إن البخيل كل البخيل
من ذكرت عنده فلم يصل علي وعن أبي هريرة قال أبو القاسم صلى الله
عليه وسلم أيما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل أن يذكروا الله
ويصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة إن شاء
عذبهم وإن شاء غفر لهم وعن أبي هريرة من نسي الصلاة علي نسي طريق

الجنة وعن قتادة عنه عليه السلام من الجفاء أن أذكر عند الرجل
ولا يصلي علي وعن جابر عنه عليه السلام ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا
على غير صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلا تفرقوا عن أنتن من ريح
الجيفة وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم
مجلسا لا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة
وإن دخلوا الجنة لما يرون من الثواب حكى أبو عيسى الترمذي عن
بعض أهل العلم قال إذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم
مرة في المجلس أجزأ عنه ما كان في ذلك المجلس

فصل في تخصيصه عليه السلام تبليغ صلاة من صلى عليه
أو سلم من الأنام حدثنا القاضي أبو عبد الله التميمي حدثنا الحسين
بن محمد حدثنا أبو عمر الحافظ حدثنا بن عبد المؤمن حدثنا ابن داسة
حدثنا ابو داود حدثنا ابن عوف حدثنا المقري حدثنا حيوة بن شريح
عن أبي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد يسلم علي إلا
رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام وذكر أبو بكر بن أبي شيبة

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي
عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته وعن أبي مسعود إن لله
ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام ونحوه عن أبي هريرة
وعن بن عمر أكثروا من السلام علي يوم كل جمعة فإنه يوتى به منكم
في كل جمعة وفي رواية فإن أحدا لا يصلي علي إلا عرضت صلاته علي
حين يفرغ منها وعن الحسن عنه عليه السلام حيثما كنتم فصلوا علي
فإن صلاتكم تبلغني وعن بن عباس ليس أحد من أمة محمد يسلم عليه
ويصلي عليه إلا بلغه وذكر بعضهم أن العبد إذا صلى علي النبي صلى الله
عليه وسلم عرض عليه اسمه وعن الحسن بن علي إذا دخلت المسجد
فسلم علي النبي فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي
عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم فإن صلاتكم تبلغني
حيث كنتم وفي حديث أوس أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فإن صلاتكم
معروضة علي وعن سليمان بن سحيم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم
في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه
سلامهم قال نعم وأرد عليهم وعن بن شهاب بلغنا أن رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم قال أكثروا من الصلاة علي في الليلة الزهراء
واليوم الأزهر فإنهما يؤديان عنكم وإن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء
وما من مسلم يصلي علي إلا حملها ملك حتى يؤدها إلي وينميه حتى
إنه ليقول إن فلانا يقول كذا وكذا

فصل

في الاختلاف في الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام
قال القاضي وفقه الله عامة أهل العلم متفقون على جواز الصلاة
على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن بن عباس أنه لا يجوز
الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه لا ينبغي الصلاة
على أحد إلا النبيين وقال سفيان يكره أن يصلي إلا على نبي ووجد
بخط بعض شيوخي مذهب مالك إنه لا يجوز أن يصلى على أحد من
الأنبياء سوى محمد عليه السلام وهذا غير معروف من مذهبه وقد قال
مالك في المبسوط ليحيى بن إسحق أكره الصلاة على غير الأنبياء فلا ينبغي أن تعدى
ما أمر به قال يحيى بن يحيى لست أخذ بقوله ولا بأس بالصلاة على الأنبياء
كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث بن عمر ما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم
الصلاة عليه وفيه وعلى أزواجه وعلى آله قالوا والأشهر عن بن عباس أنه

والصلاة في لسان العرب معنى الترحم والدعاء وذلك على الاطلاق حتى
تمسح منه حديث صحيح أو إجماع وقد قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته
الآية وقال خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم الآية
وقال أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم صل على آل أبي أوفى وكان إذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على
آل فلان وفي حديث الصلاة اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته
وفي آخر وعلى آل محمد قيل أتباعه وقيل أمته وقيل الأتباع والرهط
والعشيرة وقيل آل الرجل ولده وقيل قومه وقيل أهله الذين حرمت
عليهم الصدقة وفي رواية أنس سئل النبي صلى الله عليه وسلم من آل
محمد قال كل تقي وبني على مذهب الحسن ان المراد بآل محمد محمد نفسه
فإنه كان يقول في صلاته على النبي اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على
آل أحمد يريد نفسه لأنه كان لا يحل بالفرض ويأتي بالنفل لأن الفرض
الذي أمر الله به هو الصلاة على محمد نفسه وهذا مثل قوله عليه السلام
لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود يريد من مزامير داود وفي حديث
أبي حميد الساعدي في الصلاة اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته

وفي

وفي حديث بن عمر أنه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر
وعمر ذكره مالك في الموطا من رواية يحيى الليثي وروي بن وهب
عن أنس بن مالك كان دعوة الأصحاب يا لبيب فقول اللهم اجعل منك
على فلان صلوات قوم أبرار الذين يقومون الليل ويصومون النهار
قال القاضي والذي ذهب إليه المحققون وأميل إليه ما قاله مالك وسفيان
رحمهما الله وروي عن بن عباس وأحمد عن واحد من الفقهاء والمتكلمين
أنه لا يصلى على غير الأنبياء عند ذكرهم بل هو شيء يختص به الأنبياء
توقيرا لهم وتعزيزا كما خص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس
والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم
وسائر الأنبياء بالصلاة والتسليم ولا يشارك فيه سواهم كما أمر الله بقوله
صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الأئمة وغيرهم بالغفران
والرضى كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا
بالإيمان وقال والتابعون لهم بإحسان رضي الله عنهم وأيضا فهو أمر
لم يكن معروفا في الصدر الأول كما قال أبو عمران وإنما أحدثه الرافضة
والمشيعة في بعض الأئمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة وساووهم

شبكة الألوكة www.alukah.net

بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وأيضا فإن التشبه بأهل البدع منهي عنه
فيجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك وذكر الصلاة على الآل والازواج مع النبي
صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والإضافة إليه لا على التخصيص وصلاة النبي
صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه مجراها مجرى الدعاء والمواجهة للبس فيها
بمعنى التعظيم والتوقير قالوا وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا فكذلك يجب أن يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض
وهذا اختيار الإمام أبي المظفر الاسفرايني من شيوخنا

فصل في حكم زيارة قبره عليه السلام وفضيلة من
زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره عليه السلام
سنة من المسلمين مجتمع عليها وفضيلة مرغب فيها وروي عن عمر
قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي وعن أنس
بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا
كان في جواري وكنت له شفيعا يوم القيمة وفي حديث آخر من زارني
بعد موتي فكأنما زارني في حياتي وكره مالك أن يقال زرنا قبر النبي صلى الله
عليه وسلم وقد اختلف في معنى ذلك فقيل كراهة الاسم لما ورد من قوله

عليه

عليه السلام لعن الله زوارات القبور وهذا يرده قوله نهيتكم عن زيارة
القبور فزوروها وقوله من زار قبري فقد أطلق اسم الزيارة وقيل
لأن ذلك لما قيل إن الزائر أفضل من المزور وهذا أيضا ليس بشيء إذ
ليس كل زائر بهذه الصفة وليس عموما وقد ورد في حديث أهل الجنة
زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا اللفظ في حقه والاولى عندي أن منعه
وكراهة مالك لم لإضافة إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأنه لو قال زرنا
النبي لم يكرهه لقوله عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي
اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فمحى إضافة هذا
اللفظ إلى القبر والتشبه بفعل أولئك قطعا للذريعة وحسما للباب والله أعلم
قال اسحق بن ابرهيم الفقيه وما لم يزل من شأن من حج المرور بالمدينة
والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك
برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامسته ومواطئ قدميه
والعمود الذي كان يستند إليه وينزل جبريل بالوحي فيه عليه وممن
عمره وقصده من الصحابة وأئمة المسلمين والاعتبار بذلك كله
وقال ابن أبي ذئب سمعت بعض من أدركت يقول بلغنا أنه من وقف عند قبر

النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية إن الله وملائكته يصلون على
النبي ثم قال صلى الله عليك يا محمد من قولها سبعين مرة ناداه ملك صلى
الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة وعن يزيد بن أبي سعيد المهري
قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لي إليك حاجة إذا أتيت المدينة
ستري قبر النبي صلى الله عليه وسلم فأقرئه مني السلام قال عتبة فكان
يبرد إليه البريد من الشام قال بعضهم رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي
صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة فسلم
على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف قال مالك في رواية بن وهب إذا
سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة
ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوط لا أرى أن يقف
عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي قال
بن أبي مليكة من أحب أن يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل
القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه وقال نافع كان بن عمر
يسلم على القبر رأيته مائة مرة وأكثر يجيء إلى القبر فيقول السلام على
النبي السلام على أبي بكر السلام على أبي ثم ينصرف وفي الموطأ من

رواية

رواية يحيى بن يحيى الليثي أنه كان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فيصلي على النبي صلى عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر وعند القاسم
والقعنبي ويدعو لأبي بكر وعمر قال مالك في رواية بن وهب يقول المسلم
السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته قال في المبسوط ويسلم على
أبي بكر وعمر قال القاضي أبو الوليد الباجي وعندي أنه يدعو للنبي بلفظ
الصلاة ولأبي بكر وعمر كما في حديث بن عمر من الخلاف وقال بن حبيب يقول
إذا دخل مسجد الرسول بسم الله وسلام على رسول الله عليه السلام
السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي
ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم
ثم اقصد إلى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين
قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيها وتسأله تمام ما خرجت إليه والعون
عليه وإن كانت ركعتاك في غير الروضة أجزتاك وفي الروضة أفضل
وقد قال عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري
على ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلي عليه وتثني
بما يحضرك وتسلم على أبي بكر وعمر وتدعو لهما وأكثر من الصلاة

شبكة الألوكة www.alukah.net

في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا ندع أن نأتي مسجد
قباء وقبور الشهداء قال مالك في كتاب محمد وسلم على النبي صلى الله عليه وسلم
إذا دخل وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك قال محمد وإذا خرج جعل آخر
عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا وروى ابن وهب عن فاطمة بنت
النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا دخلت المسجد
فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب
فضلك وفي رواية أخرى فليسلم كان فليصل فيه ويقول إذا خرج اللهم
إني أسألك من فضلك وفي أخرى اللهم احفظني من الشيطان وعن محمد
بن سيرين كان الناس يقولون إذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته على
محمد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا
وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون إذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة أيضا
كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم
ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على
النبي صلى الله عليه وسلم وذكر مثله وفي رواية بسم الله والسلام
على رسول الله وعن غيرها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد
قال

قال اللهم افتح لي أبواب رحمتك ويسر لي أبواب رزقك وعن أبي هريرة
إذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل
اللهم افتح لي وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج
منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر وإنما ذلك للغرباء وقال فيه أيضا
لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبي صلى الله
عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر فقيل له إن ناسا
من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في
اليوم مرة أو أكثر ودائما وقفوا في الجمعة أو في الأيام المرة والمرتين أو
أكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن أحد
من أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصل آخر هذه الأمة إلا ما أصلح
أولها ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك
ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده قال ابن القاسم ورأيت أهل
المدينة إذا خرجوا منها أو دخلوها أتوا القبر فسلموا قال وذلك رأيي قال
الباجي ففرق بين أهل المدينة والغرباء لأن الغرباء قصدوا لذلك وأهل
المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من أجل القبر للتسليم وقال عليه السلام اللهم

لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور
أنبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب أحمد بن سعيد
الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا
وفي العتبية بدا بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
واجب مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود
المخلق وأما في الفريضة فالتقدم إلى الصفوف والتنفل فيه للغرباء أحب
إلي من التنفل في البيوت فصل فيما يلزم من دخل
مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الأدب سوى ما قدمناه وفضله وفضل
الصلاة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة
قال الله تعالى لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه
روي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي مسجد هو قال مسجدي هذا
وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن أنس وغيرهم
وعن ابن عباس أنه مسجد قبا حدثنا هشام بن أحمد الفقيه بقرأتي
عليه حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا أبو عمر النمري حدثنا أبو محمد
بن عبد المؤمن حدثنا أبو بكر بن داسه حدثنا أبو داود حدثنا مسدد حدثنا

سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا
والمسجد الأقصى وقد تقدمت الآثار في الصلاة والسلام على النبي صلى الله
عليه وسلم عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل المسجد قال أعوذ بالله العظيم وبوجهه
الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وقال مالك رحمه الله سمع
عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن
أنت قال رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين القريتين إن مسجدنا لا
يرفع فيه الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغي لأحد أن يعتمد المسجد برفع الصوت
ولا شيء من الأذى وأن يتره عما يكره قال القاضي على ذلك كله القاضي
إسمعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والعلماء
كلهم متفقون أن حكم سائر المساجد هذا الحكم قال القاضي إسمعيل
وقال محمد بن مسلمة ويكره في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر على المصلين
فيما تخلط عليهم صلاتهم وليس مما تخص به المساجد رفع الصوت فذكره رفع
الصوت بالتلبية في مساجد الجماعات إلا المسجد الحرام ومسجدنا وقال أبو هريرة

شبكة الألوكة www.alukah.net

عنه عليه السلام صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه
إلا المسجد الحرام قال القاضي اختلف الناس في معنى هذا الاستثناء
على أحد عشر قولا في الفاضلة بين مكة والمدينة فذهب مالك في رواية أشهب
عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة أصحابه إلى أن معنى الحديث أن الصلاة
في مسجد الرسول أفضل من الصلاة في سائر المساجد بألف صلاة إلا المسجد الحرام
فإن الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من الصلاة فيه بدون
الألف واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب صلاة في المسجد الحرام خير
من مائة صلاة فيما سواه فنأتي فضيلة مسجد الرسول عليه السلام بتسع مائة
وعلى غيره بألف وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمنا
وهو قول عمر بن الخطاب ومالك وأكثر المدنيين وذهب أهل مكة
والكوفة إلى تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب
من أصحاب مالك وحكاه الساجي عن الشافعي وحملوا الاستثناء
في الحديث المتقدم على ظاهره وإن الصلاة في المسجد الحرام أفضل
واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم
مثل حديث أبي هريرة وفيه وصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة

في مسجدي هذا بمائة صلاة وروى قتادة مثله فأتى فضل الصلاة في المسجد
الحرام على هذا على الصلاة في سائر المساجد بمائة ألف ولا خلاف أن موضع
قبره أفضل بقاع الأرض قال القاضي أبو الوليد الباجي الذي يقتضيه الحديث
مخالفة حكم مكة لسائر المساجد ولا نعلم منه حكمها مع المدينة وذهب
الطحاوي إلى أن هذا التفضيل إنما هو في صلاة الفرض وذهب
مطرف من أصحابنا إلى أن ذلك في النافلة أيضا قال وجمعة خير من
جمعة ورمضان خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل
رمضان المدينة وغيرها حديثا نحوه وقال عليه السلام ما بين
بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومثله عن أبي هريرة وأبي سعيد
وزاد ومنبري على حوضي وفي حديث آخر منبري على ترعة من ترع الجنة
قال الطبري فيه معنيان أحدهما أن المراد بالبيت بيت سكناه على
الظاهر مع أنه روي ما بيته بين حجرتي ومنبري والثاني أن البيت هنا
القبر وهو قول زيد بن أسلم في هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري
قال الطبري وإذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينهما
خلاف لأن قبره في حجرته وهو بيته وقوله ومنبري على حوضي فلن يحمل أنه

منبره بعينه الذي كان في الدنيا وهو أظهر والثاني أن يكون له هناك
منبر والثالث أن قصد منبره والحضور عنده لملازمة الأعمال الصالحة
يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجي وقوله روضة من رياض
الجنة يحتمل معنيين أحدهما أنه موجب لذلك وأن الدعاء والصلاة
فيه يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف والثاني
أن تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها قاله الداودي
وروي عن عمر وجماعة من الصحابة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
في المدينة لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شهيدا
أو شفيعا يوم القيمة وقال فيمن تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم
لو كانوا يعلمون وقال إنما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها
وقال لا يخرج أحد من المدينة رغبة عنها إلا أبدلها الله خيرا منه
وروي عنه عليه السلام من مات في أحد الحرمين حاجا أو معتمرا بعثه
الله يوم القيمة لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق أخرى بعث من الآمنين
يوم القيمة وعن بن عمر من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها
فإني أشفع لمن يموت بها وقال تعالى إن أول بيت وضع للناس للذي

ببكة إلى قوله آمنا قال بعض المفسرين أمنا من النار وقيل كان يأمن
من الطلب من أحدث حدثا ولجأ إليه في الجاهلية وهذا مثل قوله وإذ
جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا على قول بعضهم وحكي أن قوما أتوا سعدون
الحولاني بالمنستير فأعلموه أن كتامة قتلوا رجلا وأضرموا عليه النار
طول الليل فلم تعمل فيه وبقي أبيض البدن فقال لعله حج ثلاث حجج قالوا نعم
قال حدثت أن من حج حجة أدى فرضه ومن حج ثانية داين ربه فينادي غدا
ملك من عند الله من كان له عند الله دين فليقم ومن حج ثلاث حجج حرم الله
شعره وبشره على النار ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
الكعبة قال مرحبا بك من بيت ما أعظمك وأعظم حرمتك وفي
الحديث عنه عليه السلام ما من أحد يدعو الله عند الركن الأسود
إلا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب وعنه عليه السلام من صلى
خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيمة
من الآمنين وقرأ على القاضي الحافظ أبي علي رحمه الله حدثك أبو العباس
العذري قال حدثنا أبو أسامة محمد بن احمد بن محمد الهروي حدثنا الحسن
بن رشيق سمعت أبا الحسن محمد بن الحسن بن راشد سمعت أبا بكر محمد

بن ادريس سمعت الحميدي قال سمعت سفيان بن عيينة قال سمعت
عمرو بن دينار سمعت بن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما دعا أحد بشيء في هذا الملتزم إلا استجيب له قال بن عباس
وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلا استجيب لي وقال عمرو بن دينار وأنا فما دعوت الله
تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من بن عباس إلا استجيب لي
وقال سفيان وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من عمرو إلا استجيب لي قال الحميدي وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان إلا استجيب لي وقال محمد بن ادريس
وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي
إلا استجيب لي وقال ابو الحسن محمد بن الحسن وأنا فما دعوت الله بشيء
في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس إلا استجيب لي قال
أبو أسامة وما أدري الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وأنا فما دعوت
الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق إلا
استجيب لي من أمر الدنيا وأنا ارجو أن يستجاب لي من أمر الآخرة

قال العدري وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من
أبي أسامة إلا استجيب لي قال أبو علي وأنا فقد دعوت الله فيه بأشياء
كثيرة استجيب لي بعضها وأرجو من سعة فضله أن يستجيب لي بقيتها
قال القاضي أبو الفضل ذكرنا بدا من هذه النكت في هذا الفصل وإن
لم تكن من الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفائدة
والله الموفق للصواب برحمته

القسم الثالث

فيما يجب النبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل أو يجوز عليه
وما يمتنع أو يصح من الأحوال البشرية أو يضاف إليه

قال الله تعالى وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل
الآية وقال ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه
صديقة كانا يأكلان الطعام وقال وما أرسلنا قبلك من المرسلين
إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وقال قل إنما
أنا بشر مثلكم يوحى إلي الآية فمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر

الأنبياء من البشر أرسلوا إلى البشر ولولا ذلك لما طاق الناس مقاومتهم
والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا
أي لما كان إلا في صورة البشر الذين يمكنكم مخاطبتهم إذ لا تطيقون مقاومة
الملك ومخاطبته ورؤيته إذا كان على صورته وقال قل لو كان في الأرض
ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا أي لا
يمكن في سنة الله إرسال الملك إلا لمن هو من جنسه أو من خصه الله
تعالى واصطفاه وقواه على مقاومته كالأنبياء والرسل فالأنبياء
والرسل وسائط بين الله وبين خلقه يبلغونهم أوامره ونواهيه
ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه من أمره وخلقه وجلاله
وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم وأجسادهم وبنيتهم
متصفة بأوصاف البشر طاري عليها ما يطرأ على البشر من الأعراض
والأسقام والموت والفناء ونعوت الإنسانية وأرواحهم وبواطنهم
متصفة بأجلاد من أوصاف البشر متعلقة بالملأ الأعلى متشبهة
بصفات الملائكة سليمة من التغيير والآفات لا يلحقها عالبا عجز
البشرية ولا ضعف الإنسانية إذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية
كظواهرهم لما أطاقوا الأخذ عن الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالتهم
كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت أجسامهم وظواهرهم منسمة
بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر لما أطاق البشر ومن أرسلوا
إليه مخاطبتهم كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا من جهة الأجسام
والظواهر مع البشر ومن جهة الأرواح والبواطن مع الملائكة كما قال
عليه السلام لو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن
أخوة الإسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال نام عيناي ولا ينام قلبي
وقال إني لست كهيئتكم إني أظل يطعمني ربي ويسقين فبواطنهم منزهة
عن الآفات مطهرة من النقايص والاعتلالات وهذه جملة لن تكفي
بمضمونها كل همة بل الأكثر يحتاج إلى بسط وتفصيل على ما يأتي به
بعد هذا في الباب بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل

الباب الأول

فيما يختص بالأمور الدينية والكلام في عصمة نبينا وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم

شبكة الألوكة www.alukah.net

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه اعلم أن الطواري من التغيرات والآفات
على آحاد البشر لا تخلو أن تطرأ على جسمه أو على حواسه بغير قصد واختيار
كالأمراض والأسقام أو تطرأ بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل
ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله إلى ثلاثة أنواع عقد بالقلب وقول
باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم الآفات والتغيرات
بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم
وإن كان من البشر ويجوز على جملته ما يجوز على جملة البشر فقد قامت
البراهين القاطعة وتمت كلمة الإجماع على خروجه عنهم وتنزيهه
عن كثير من الآفات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما
سنبينه إن شاء الله تعالى فيما يأتي به من التفاصيل فصل
في حكم عقد قلب النبي من وقت نبوته اعلم منحنا الله وإياك توفيقه
أن ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والإيمان به وبما
أوحي إليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن
الجهل بشيء من ذلك أو الشك أو الريب فيه والعصمة من كل ما
يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا ما وقع إجماع المسلمين عليه ولا
يصح

يصح بالبراهين الواضحة أن يكون في عقود الأنبياء سواه ولا
يعترض على هذا بقول إبرهيم عليه السلام قال بلى ولكن ليطمئن قلبي
إذ لم يشك إبرهيم في أخبار الله تعالى له بإحياء الموتى ولكن أراد طمأنينة
القلب وترك المنازعة لمشاهدة الإحياء فحصل له العلم الأول لوقوعه
وأراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته الوجه الثاني أن إبرهيم
عليه السلام إنما أراد اختبار منزلته عند ربه وعلم إجابة دعوته
بسؤال ذلك من ربه ويكون قوله أولم تؤمن أي تصدق بمنزلتك مني
وخلتك واصطفائك الوجه الثالث أنه سأل زيادة يقين وقوة طمأنينة
وإن لم يكن في الأول شك إذ العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل
في قوتها وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز في النظريات
فأراد الانتقال من النظر أو الخبر إلى المشاهدة والترقي من علم اليقين إلى
عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد الله سأل
كشف غطاء العيان ليزداد نور اليقين تمكنا في حاله الوجه الرابع
إنه لما احتج على المشركين بأن ربه يحيي ويميت طلب ذلك من ربه ليصح
احتجاجه عيانا الوجه الخامس قول بعضهم هو سؤال على طريق الأدب

المراد اقدرني على احياء الموتى وقوله ليطمئن قلبي عن هذه الامنية الوجه
السادس انه اري من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب فيزداد قربه
وقول نبينا صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابرهيم نفي لان يكون
ابرهيم شك وابعاد للخواطر الضعيفة ان تظن هذا بابرهيم اي نحن
موقنون بالبعث واحياء الله الموتى فلو شك ابرهيم لكنا اولى بالشك
منه اما على طريق الادب او ان يريد امته الذين يجوز عليهم الشك
او على طريق التواضع والاشفاق ان جعلت قصة ابرهيم على اختبار
حاله او زيادة يقينه فان قلت فما معنى قوله فان كنت في شك مما
انزلنا اليك فاسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك الآيتين فاحذر
ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس
او غيره من اثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه فانه من
البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي
صلى الله عليه وسلم ولم يسئل ونحوه عن ابن جبير والحسن وعلي قتادة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا اشك ولا اسئل وعامة المفسرين
على هذا واختلفوا في معنى الآية فقيل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت في
شك

شك الآية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التاويل قوله قل يا ايها
الناس ان كنتم في شك من ديني الآية وقيل المراد الخطاب العرب وغير
النبي صلى الله عليه وسلم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك الآية الخطاب
له والمراد غيره ومثله فلانك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير
قال بكر بن العلاء الارتياب يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله
وهو عليه السلام كان المكذب فيما يدعوا اليه فكيف يكون من كذب
به فهذا كله يدل ان المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الآية قوله الرحمن
فاسئل به خبيرا المأمور بها غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسئل النبي
والنبي عليه السلام هو الخبير المسئول لا المستخبر السائل وقال ان
هذا الشك الذي امر غير النبي بسؤال الذين يقرءون الكتاب
انما هو فيما قصه من اخبار الامم لا فيما دعا اليه من التوحيد والشريعة
ومثل هذا قوله تعالى واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا الآية
المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم قاله
الفتيي وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا من قبلك فحذف الحافض وتم الكلام
ثم ابتدا اجعلنا من دون الرحمن الى آخر الآية على طريق الانكار اي ما

جعلناه حكاه مكي وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسئل الانبياء ليلة الاسراء
عن ذلك فكان اشد يقينا من ان يحتاج الى السؤال فروي انه قال لا اسئل
قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل سل امم من ارسلنا هل جاءوهم بغير التوحيد
وهو معنى قول مجاهد والسدي والضحاك وقتادة والمراد بهذا والذي
قبله اعلامه بما بعثت به الرسل وانه تعالى لم يأذن في عبادة غيره لاحد
ردا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى
وكذلك قوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق
فلا تكونن من الممترين اي في علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك
وليس المراد به شكه فيما ذكر في اول الاية وقد يكون ايضا على مثل ما
تقدم اي قل لمن امتري يا محمد في ذلك لا تكونن من الممترين بدليل قوله
اول الاية افغير الله ابتغي حكما الاية وان النبي صلى الله عليه وسلم
يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير كقوله انت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين وقد علم انه لم يقل وقيل معناه ما كنت في شك فسل
تزدد طمانينة وعلما الى علمك ويقينك وقيل ان كنت تشك فيما
شرفناك وفضلناك به فسلهم عن صفتك في الكتب وشرفها يلك وحكي عن

ابي عبيدة ان المراد ان كنت في شك من غيرك فيما انزلنا فان قيل فما معنى
قوله حتى اذا استيئس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف
قلنا المعنى في ذلك ما قالته عايشة معاذ الله ان تظن ذلك الرسل بربها
وانما معنى ذلك ان الرسل لما استيأسوا ظنوا ان من وعدهم النصر من
اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل ان الضمير في ظنوا عائد
على الاتباع والامم لا على الانبياء والرسل وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير
وجماعة من العلماء وبهذا المعنى قرا مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك
من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبياء
وكذلك ما ورد في حديث السيرة ومبتدا الوحي من قوله لخديجة لقد
خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما اتاه الله بعد رؤية الملك ولكن
لعله خشي ان لا تحمل قوته مقاومة الملك واعباء الوحي لينخلع قلبه او توهق
نفسه هذا على ما ورد في الصحيح انه قاله بعد لقاء الملك او يكون ذلك
قبل لقياه الملك واعلام الله تعالى له بالنبوة لاول ما عرضت عليه من العجايب
وسلم عليه الحجر والشجر ورؤيته المنامات والتباشير كما روي في بعض طرق
هذا الحديث ان ذلك كان اولا في المنام ثم في اليقظة مثل ذلك تانيسا

شبكة الألوكة www.alukah.net

له عليه السلام ليلا انجاه الامر مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله لاول حاله بنية
البشرية وفي الصحيح عن عايشة اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الوحي الرويا الصادقة قالت ثم حبب اليه الخلاء وقالت الى ان جاءه
الحق وهو في غار حراء الحديث وعن ابن عباس مكث النبي صلى الله عليه وسلم
بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا
يرى شيئا وثمان سنين يوحى اليه وقد روي بن اسحق عن بعضهم ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال وذكر جواره بغار حراء قال فجاءني وانا نايم فقال
اقرأ فقلت ما اقرأ وذكر نحو حديث عايشة في غطه له واقرأه اقرأ باسم
ربك السورة قال فانصرف عني وهببت من نومي كأنما صورت في قلبي ولم
يكن ابغض الي من شاعر او مجنون قلت لا يتحدث عني قريش بهذا ابدا
لاعمدن الى جالق من الجبل فلاطرحن نفسي منه فلاقتلها فبينا انا عامد
لذلك اذ سمعت منادي ينادي من السماء يا محمد انت رسول الله وانا
جبريل فرفعت راسي فاذا جبريل على صوره رجل وذكر الحديث فقد بين
في هذا ان قوله لما قال وقصده ما قصد انما كان قبل لقاء جبريل عليهما
السلام وقبل اعلام الله له بالنبوة واظهاره اصطفاءه له بالرسالة

ومثله

ومثله حديث عمرو بن شرحبيل انه عليه السلام قال لخديجة اني اذا خلوت
وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله ان يكون هذا الامر ومن رواية
حماد بن سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اني لاسمع صوتا واري
ضوءا واخشى ان يكون بي جنون وعلي هذا يتأول لو صح قوله في
بعض هذه الاحاديث ان الابعد شاعر او مجنون والفاظا يفهم منها معاني
الشك في تصحيح ما راه وانه كان كله في ابتداء امره وقبل لقاء الملك
له واعلام الله انه رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ لا يصح طرقها واما
بعد اعلام الله تعالى له ولقاء الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه
شك فيما القي اليه وقد روى ابن اسحق عن شيوخه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يرى بمكة من العين قبل ان ينزل عليه فلما
نزل عليه القرآن اصابه نحو ما كان يصيبه فقال له خديجة اوجه اليك
من يرقيك قال اما الآن فلا وحديث خديجة واختيارها امر جبريل
بكشف راسها الحديث وانما ذلك في حق خديجة لتحقق صحة نبوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وان الذي ياتيه ملك ويزول الشك عنها لانها فعلت
ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وليختبر هو حاله بذلك بل قد ورد في

حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه عن عائشة ان
ورقة امر خديجة ان تخبر الامر بذلك وفي حديث اسمعيل بن ابي حكيم انها
قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك
اذا جاءك قال نعم فلما جاء جبريل اخبرها فقالت له اجلس الى شقي وذكر
الحديث الى اخره وفيه فقالت ما هذا بشيطان ان هذا الملك يا ابن عم فاثبت
وابشر وامتثله فهذا يدل انها مستثبته بما فعله لنفسها ومستظهرة
لايمانها للنبي صلى الله عليه وسلم وقول معمر في فترة الوحي فحزن النبي
صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من شواهق
الجبال لا يقدح في هذا الاصل قول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر
رواته ولا من حدثه به ولا ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل
هذا الا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم مع انه قد يحمل على انه كان اول
الامر اذ كرناه او انه فعل ذلك لما اخرجه من تكذيب من بلغه كما قال تعالى فلعلك
باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث ويصح معنى هذا التاويل
حديث رواه شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله ان
المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في شان النبي صلى الله عليه وسلم واتفق

الامر

راءهم

رايهم على ان يقولوا انه ساحر اشتد ذلك عليه وتململ في ثيابه وتدثر
فيها فاتاه جبريل فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر او خاف ان الفترة لامر
او سبب منه فخشي ان يكون عقوبة من ربه فتعمل ذلك بنفسه ولم يرد
بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعترض به ونحو هذا فرار يونس عليه السلام خشيه
تكذيب قومه لما وعدهم به من العذاب وقول الله في يونس فظن ان لن نقدر
عليه معناه ان لن نضيق عليه قال مكي طمع في رحمة الله وان لا يضيق
عليه مسلكه في خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه
العقوبة وقيل نقدر عليه ما اصابه وقد قرئ نقدر عليه بالتشديد
وقيل نواخذه بغضبه وذهابه وقال بن زيد معناه اوظن ان لن نقدر
عليه على الاستفهام ولا يليق ان يظن بنبي ان يجهل صفة من صفات
ربه وكذلك قوله اذ ذهب مغاضبا الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم
وهو قول بن عباس والضحاك وغيرهما لا لربه اذ معاصبة الله معاداة له
ومعاداة الله كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء وقيل مستحيا من قومه
ان يسموه بالكذب او يقتلوه كما ورد في الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك
فيما امره به من التوجه الى امر امره الله به على لسان نبي اخر فقال له يونس

غيري اقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك معاضبا وقد روي عن
ابن عباس ان ارسال يونس ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت واستدل
من الاية بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه
ويستدل ايضا بقوله ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصة ثم قال
فاجتباه ربه فجعله من الصالحين فتكون هذه القصة ادا قبل نبوته فان قيل
فما معنى قوله عليه السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله كل يوم
مائة مرة وفي طريق في اليوم اكثر من سبعين مرة فاجدر ان يقع بالك
ان يكون هذا الغين وسوسة او ريبا وقع في قلبه عليه السلام بل اصل
الغين في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه قاله ابو عبيد واصله من غين
السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره والغين شيء يغشى القلب ولا
يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس
وكذلك لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين
في اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه وهو اكثر الروايات وانما هذا
عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات
قلبه وفرات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق

بما كان صلى الله عليه وسلم يدفع اليه من مقاساة البشر وسياسة الامة
ومعاناة الاهل ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفة من
اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة وهو في كل هذا في طاعة ربه وعباده
خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة
واعلاهم درجة والتهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو
همه وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه هناك ارفع
حاليه راى عليه السلام حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من
علي حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك وهذا اولى
وجوه الحديث واشهرها والى معنى ما اشرنا اليه مال كثير من الناس
وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قررنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد
محياه وهو مبني على جواز الفترات والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ
على ما سياتي وذهبت طائفة من ارباب القلوب ومشيخة المتصوفة
ممن قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة واجله ان يجوز
عليه في حال سهو او فترة الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من امر
امته عليه السلام لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفرهم قالوا وقد

يكون الغين هنا على قلبه السكينة التي تغشاه لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره عليه السلام عندها اظهار للعبودية والافتقار وقال ابن عطاء استغفاره وفعله هذا تعريف للامة تحملهم على الاستغفار قال غيره ويستشعرون الحصر ولا يركنون الى الامن وقد يحتمل ان يكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله وملازمة لعبوديته كما قال في ملازمة العبادة افلا اكون عبدا شكورا وعلى هذه الوجوه الاخيرة يحمل ما روي في بعض طرق هذا الحديث عنه عليه السلام انه ليغان على قلبي في اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد عليه السلام ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وقوله لنوح عليه السلام فلا تسئلني ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين فاعلم انه لا يلتفت في ذلك الى قول من قال في اية نبينا عليه السلام لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى وفي اية نوح لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق لقوله وان وعدك الحق اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله وذلك لا يجوز على الانبياء والمقصود وعظهم الا يتشبهوا في امورهم بسمات

الجاهلين كما قال اني اعظك وليس في اية منها دليل على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها فكيف واية نوح قبلها فلا تسئلني ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما قبلها اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى اذن وقد يجوز اباحة السؤال فيه ابتداء فنهاه الله ان يسأله عما طوى عنه علمه واكنه من غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم اكمل الله نعمته عليه باعلامه ذلك بقوله انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح حكي معناه مكي كذلك امر نبينا في الاية الاخرى بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا يخرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامة محمد اي فلا تكونوا من الجاهلين حكاه ابو محمد مكي وقال مثله في القرآن كثير بهذا الفصل وجب القول بعصمة الانبياء منه بعد النبوة قطعا فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا والله لا يجور عليهم شيء من ذلك فما معنى اذا وعيد الله لنبينا عليه السلام على ذلك ان فعله وتحذيره منه كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك الاية وقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الاية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة الاية وقوله لاخذنا منه باليمين

وقوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله وقوله فان يشاء
الله يختم على قلبك وقوله وان لم تفعل فما بلغت رسالته وقوله اتق الله
ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا الله واياك انه عليه السلام
لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا
يتقول على الله ما لا يجب او يفتري عليه او يضل او يختم على قلبه
او يطيع الكافرين لكن يشرح امره بالمكاشفة والبيان في البلاغ للخالقين
وان البلاغة ان لم يكن هذا السبيل فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوي قلبه
بقوله والله يعصمك من الناس كما قال لموسى وهرون لا تخافا لتشد بصايرهم
في الابلاغ واظهار دين الله ويذهب عنهم خوف العدو والضعف للنفس
واما قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية وقوله اذا لاذقناك ضعف
الحياة فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله
وهو لا يفعله وكذلك قوله وان تطع اكثر من في الارض فالمراد غيره
كما قال ان تطيعوا الذين كفروا الاية وقوله ان يشا الله يختم على قلبك
ولين اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد غيره وان هذا حال من
اشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله اتق

الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فليس فيه انه اطاعهم والله ينهاه عما
يشاء ويامره بما يشاء كما قال ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية وما كان
طردهم عليه السلام ولا كان من الظالمين فصل
واما عصمتهم من هذا القبيل قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب انهم
معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والشك في شيء من
ذلك وقد تعاضدت الاخبار والاثار عن الانبياء بنزههم عن هذه النقيصة
منذ ولدوا ونشأهم على التوحيد والايمان بل على اشراق انوار المعارف
ونجابات الطاف السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الاول
من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا نبي واصطفي
ممن عرف بكفر او اشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد
استدل بعضهم بان القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا اقول ان
قريشا قد رمت نبينا عليه السلام بكل ما افترته وعير كفار الامم انبياءها
بكل ما اتتهما واختلقته فما نص الله تعالى عليه او نقلته الينا الرواية ولم
نجد في شيء من ذلك تعييرا لواحد منهم برفضه لالهته وتقريعه بذمه
بترك ما كان قد اجتمعوا عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين

وبلوته في معبوده محجتين ولكان بتوبيخهم له بتهيبهم عما كان يعبد وقيل قطع
واقطع في الحجة من توبيخه بتهيبهم عن تركهم الهتهم وما كان يعبد اباؤهم
من قبل فهي اطباقهم على الاعراض عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه
اذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة وقالوا
ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه الله عنهم وقد استدل الماضي
القشيري على تبريهم عن هذا بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك الاية وبقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه
قال طهره الله في الميثاق وبعد ان يأخذ منه الميثاق قبل خلقهم ما يأخذ
ميثاق النبيين بالايمان به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك
او غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون
ذلك وقد اتاه جبريل وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة وقال
هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملأه حكمة وايمانا كما تظاهرت به
اخبار المبدا ولا يشتبه عليك بقول ابرهيم في الكوكب والقمر والشمس هذا
ربي فانه قد قيل كان هذا في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال
وقبل لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين
الى انه انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه الاستفهام
الوارد مورد الانكار والمراد هذا ربي قال الزجاج قوله هذا ربي
اي على قولكم كما قال ابن شركاي اي عندكم ويدل على انه لم يعبد شيئا
من ذلك ولا اشرك قط بالله طرفة عين قول الله تعالى عنه اذ قال لابيه
وقومه ما تعبدون ثم قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم وابآؤكم الاقدمون
فانهم عدو لي الا رب العالمين وقال اذ جاء ربه بقلب سليم اي من الشرك
وقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام فان قلت ما معنى قوله لئن لم يهدني
ربي لاكونن من القوم الضالين قيل انه ان لم يوفقني بمعونته اكن مثلكم في
ضلالكم وعبادتكم على معنى الاشفاق والحذر والا فهو معصوم في الازل
من الضلال فان قلت فما معنى قوله وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من
ارضنا او لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله كذبا
ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فلا يشكل عليك لفظة العود
وانها تقتضي انهم انما يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تاتي هذه اللفظة
في كلام العرب لغير ما ليس له ابتداء معنى الصيرورة كما جاء في حديث الخثعميين
عادوا جما ولم يكونوا قبل ذلك ومثله قول الشاعر

هدى المكارم لاقعبان من لبن شيبا بماء فعاد بعد أبوالا

وما كانا قبل كذلك فان قلت فما معنى قوله ووجدك ضالا فهدى فليس هو
الضلال الذي هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك اليها قاله الطبري
وقيل وجدك بين أهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك الى الايمان
والى ارشادهم ونحوه عن السدي وغيره واحد وقيل ضالا عن شريعتك
اي لا تعرفها فهداك اليها والضلال هاهنا التحير ولهذا كان عليه السلام
يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به الى ربه ويتشرع به حتى هداه
الله الى الاسلام قال معناه القشيري وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه
وهذا مثل قوله وعلمك ما لم تكن تعلم قاله علي بن عيسى قال ابن عباس
لم تكن له ضلالة معصية وقيل هدى اي بين لك انك على ملة ابراهيم وقيل
وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة وقيل المعنى وجدك
فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن محبتي لك
في الأزل اي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي وقال الحسن بن علي ووجدك
ضال فهدى اي اهتدى بك وقال ابن عطاء ووجدك ضالا اي محبا
لمعرفتي والضال المحب كما قال انك لفي ضلالك القديم اي محبتك القديمة

ولم يريدوا هاهنا في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا ومثله
عند هذا قوله انا لنراها في ضلال مبين اي محبة بينة وقال الجنيد
ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله وانزلنا اليك
الذكر الآية وقيل وجدك لم يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك فهديك
السعداء ولا اعلم احدا قال من المفسرين فيها ضالا عن الايمان وكذلك
في قصة موسى عليه السلام قوله فعلتها اذا وانا من الضالين اي من المخطئين
الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة وقال الأزهري معناه من الناسين
وقد قيل ذلك في قوله ووجدك ضالا فهدى اي ناسيا كما قال تعالى ان
تضل احداهما فان قلت فما معنى قوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان
فالجواب ان السمر قندي قال معناه ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرأ
القرآن ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان وقال بكر القاضي لجوء
قال والايمان الذي هو الفرايض والاحكام قال فكان قبل مؤمنا
بوحيه ثم نزلت الفرايض التي لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف ايمانا
وكذلك الحديث الذي يرويه عثمان بن ابي شيبه بسنده عن جابر
ان النبي صلى الله عليه وسلم قد كان سيشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع

شبكة الألوكة www.alukah.net

ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه فقال الاخر
كيف اقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام فلم يشهدهم بعد هذا حديث
انكره احمد بن حنبل جدا وقال هذا موضوع او شبيه بالموضوع وقال
الدارقطني يقال ان عثمان وهم في اسناده والحديث بالجملة منكر غير
متفق على اسناده فلا يلتفت اليه والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم
خلافه عند اهل العلم من قوله بغضت الي الاصنام وقوله في قصة
بحيرا حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى ادلقيه
بالشام في سفرته مع عمه ابي طالب وهو صبي ورأى فيه علامات النبوة
فاخبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسلني بهما فوالله
ما ابغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا اخبرتني
عما اسألك عنه فقال سل عما بدا لك وكذلك المعروف من سيرته
عليه السلام وتوفيق الله له انه كان قبل نبوته يخالف المشركين في
وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان يقف هو بعرفة لانه كان موقف ابراهيم عليه السلام

فصل قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه فقد بان
بما قدمناه عصمة الانبياء في التوحيد والايمان والوحي وعصمتهم
في

مرء الرواية وقوله في الحديث الآخر الذي رواه ام ايمن حين كلمه عمه وآله في حضور بعض اعيادهم وعرضوا عليه فيه بعد ذا هته اذلك نحج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل لي كهيكل طويل يصيح ورائي لا تمسه فما شهد بعد لهم عيدا مرء الرواية وهو صحيح الاصل

في ذلك على ما بيناه فاما ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم واجماعها
انها مملوة علما ويقينا على الجملة وانها قد احوت من المعرفة والعلم بامور
الدين والدنيا ما لا شيء فوقه ومن طالع الاخبار واعتنى بالحديث وتأمل
ما قلناه وجده وقد قدمنا منه في حق نبينا في الباب الرابع اول قسم
من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراءه الا ان احوالهم في هذه المعارف تختلف
فاما ما تعلق منها بامر الدنيا فلا تشترط في حق الانبياء العصمة من
عدم معرفة الانبياء ببعضها او اعتقادها على خلاف ما هي عليه ولا وصم
عليهم فيه اذ هم متعلقه بالاخرة وانبائها وامر الشريعة وقوانينها وامور
وامور الدنيا نضادها بخلاف غيرهم من اهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا
من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون كما سنبين هذا في الباب الثاني
ان شاء الله ولكنه لا يقال انهم لا يعلمون شيئا من امر الدنيا فان ذلك
يؤدي الى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل قد ارسلوا الى اهل
الدنيا وقلدوا اسياستهم وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم ودنياهم
وهذا لا يكون مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية واحوال الانبياء
وسيرهم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك كله مشهورة واما

نسخة الألوكة www.alukah.net

ان كان هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي الا العلم به ولا يجوز
عليه جهله لانه لا يخلوا ان يكون حصل عنده ذلك عن وحي من الله فهو
ما لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين
او يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شيء على القول بجواز وقوع
الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين وعلى مقتضى حديث ام سلمة اني انما
اقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه خرجه النقاش وكقصة اسرى بدر
والاذن للمتخلفين على رأي بعضهم فلا يكون ايضا ما يعتقده مما يمر به اجتهاده
الا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي لا نلتفت الى خلاف من خالف فيه لا على
القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا ولا على القول
الاخر بان الحق في طرف واحد بعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطا
في الاجتهاد في الشرعيات ولان القول في تخطئة المجتهدين انما هو بعد
استقرار الشرع ونظر النبي واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء
ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه صلى الله عليه وسلم قلبه فاما ما لم
يعقد عليه قلبه من امر النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم منها اولا
الا ما علمه الله شيئا شيئا حتى استقر علم جملتها عنده اما بوحي من الله
او

او اذن ان يشرع في ذلك ويحكم بما اراه الله وقد كان شطر الوحي كثيرا منها
ولكنه لم يمت حتى استقر علم جميعها عنده عليه السلام وتقررت معانيها
لديه على التحقيق ورفع الشك والريب وانتفاء الجهل والجملة فلا يصح
منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي امر بالدعوة اليه اذ لا تصح دعوته
الى ما لا يعلمه واما ما تعلق بعقده من ملكوت السماوات والارض وخلق
الله وتعيين اسمائه الحسنى واياته الكبرى وامور الاخرة واشراط
الساعة واحوال السعداء والاشقياء وعلم ما كان ويكون مما لم يعلمه
الا بوحي فعلى ما تقدم من انه معصوم فيه لاياخذه فيما اعلم منه شك
ولا ريب بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل
ذلك وان كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله اني لا اعلم
الا ما علمني ربي ولقوله ولا خطر على قلب بشر ولا تعلم نفس ما اخفي لهم
من قرة اعين وقول موسى لخضر هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا
وقوله صلى الله عليه وسلم اسلك باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم
اعلم وقوله اسلك بكل اسم سميت به نفسك او استاثرت به في علم
الغيب عندك وقد قال الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم قال زيد

بن اسلم وغيره حتى ينتهي العلم الى الله وهذا ما لا احصائه اذ معلوماته تعالى
لا تحاط ولا منتهى لها هذا حكم عقد النبي في التوحيد والشرع والمعارف
والامور الدينية فصل واعلم ان الامة مجمعة على عصمة
النبي من الشيطان وكفايته منه لا في جسمه بانواع الاذى ولا على خاطره
بالوساوس وقد اخبرنا القاضي الحافظ ابو علي رحمه الله قال حدثنا ابو الفضل
بن خيرون العدل حدثنا ابو بكر البرقاني وغيره حدثنا ابو الحسن الدارقطني
حدثنا اسمعيل الصفار حدثنا عباس الترقفي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا
سفيان عن منصور عن سالم بن ابي الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وكل به قرينه
من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي ولكن
الله تعالى اعانني عليه فاسلم زاد غيره عن منصور فلا يامرني الا بخير
وعن عائشة بمعناه روي فاسلم بضم الميم اي فاسلم انا منه وصحح بعضهم
هذه الرواية ورجحها وروي فاسلم يعني القرين انه انتقل عن حال كفره
الى الاسلام فصار لا يامر الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم
فاستسلم قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه فاذا كان هذا حكم

سطان

شيطانه وقرينه المسلط على بني آدم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته
ولا اقدر على الدنو منه وقد جاءت الآثار بتصدي الشياطين له في
غير موطن رعبه في اطفاء نوره واماتة نفسه وادخال شغل عليه اذ
يئسوا من اغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له في صلاته فاخذه النبي
صلى الله عليه وسلم واسره ففي الصحاح قال ابو هريرة عنه عليه السلام
ان الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في صورة هر فشد علي يقطع علي
الصلاة فامكنني الله منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الى سارية حتى
تصبحوا تنظرون اليه فذكرت قول اخي سليمن رب اغفر لي وهب لي ملكا
الآية فرده الله خاسئا وفي حديث ابي الدرداء عنه عليه السلام ان
عدو الله ابليس جاءني بشهاب من نار ليجعله في وجهي والنبي صلى الله عليه وسلم
في الصلاة وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له ثم اردت اخذه وذكر نحوه
وقال لاصبح موثقا يلاعب به ولدان اهل المدينة وكذلك في حديثه في
الاسراء وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه ذكره
في الموطا ولما لم يقدر على اذاه مباشرة تسبب بالتوسط الى عداه لقضيته
مع قريش في الايمان بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة الشيخ

التجدي ومرة اخري في غزوة يوم بدر في صورة سراقة بن مالك وهو
قوله تعالي واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الاية ومرة ببدر بشابه عند
بيعه العقبة وكل هذا فقد كفاه الله امره وعصمه ضره وشره وقد
قال عليه السلام ان عيسي عليه السلام كفي من لمسه فجاء ليطعن بيده
في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب وقال عليه السلام حين لد
في مرضه وقيل له حشينا ان يكون بك ذات الجنب فقال انها من
الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي فان قيل فما معني قوله تعالي واما
ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الاية فقد قال بعض المفسرين انها
راجعة الي قوله واعرض عن الجاهلين ثم قال واما ينزغنك اي يستخفنك
غضب يحملك علي ترك الاعراض عنهم فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد
كما قال من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي وقيل ينزغنك
يغرينك ويحركنك والنزغ ادني الوسوسة فامره الله تعالي انه متي
تحرك عليه غضب علي عدوه اوزام الشيطان من اغرائه به وخواطر
اداني وساوسه ما لم يجعل له سبيل اليه ان يستعذ منه فيكفي
امره ويكون سبب تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض

له ولم يجعل له قدرة عليه وقد قيل في هذه الاية غير هذا وكذلك
لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا في
اول الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك دليل المعجزة بل لا شك
النبي ان ما اتاه من الله الملك ورسوله حقيقة اما بعلم ضروري
يخلقه الله له او برهان يظهره له ليتم كلمة ربك صدقا وعدلا
لا مبدل لكلماته فان قيل فما معني قوله وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي الا اذا تمني القي الشيطان في امنيته الاية فاعلم
ان للناس في معني هذه الاية اقاويل منها السهل والوعث والسمين
والغث واولي ما يقال فيها ما عليه الجمهور من المفسرين ان التمني ها
هنا التلاوة والقاء الشيطان فيها شغله لخواطر واذكار من امور
الدنيا التالي حتي يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل غير
ذلك علي افهام السامعين من التحريف وسوء التاويل ما يزيله الله وينسخه
ويكشف لبسه ويحكم اياته وسياتي الكلام علي هذه الاية بعد باشبع
من هذا ان شاء الله وقد حكي السمرقندي انكار قول من قال بتسليط
الشيطان علي ملك سليمان وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح وقد

ذكرنا قصة سليمان مبينة بعد هذا ومن قال ان الجسد هو الولد الذي
ولد له وقال ابو محمد مكي في قصة ايوب وقوله اني مسني الشيطان
بنصب وعذاب انه لا يجوز لاحد ان يتأول ان الشيطان هو الذي امرضه
والقى الضر في بدنه ولا يكون ذلك الا بفعل الله وامره ليبتليهم ويثيبهم
قال مكي وقيل ان الذي اصابه الشيطان ما وسوس به الى اهله
فان قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما انسانيه الا الشيطان وقوله
عن يوسف فانساه الشيطان ذكر ربه وقول فتيا عليه السلام
حين نام عن الصلاة يوم الوادي ان هذا واد به شيطان وقول موسى
عليه السلام في وكزته هذا من عمل الشيطان فاعلم ان هذا
الكلام قد يرد في جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب في وصفهم
كل قبح من شخص او فعل بالشيطان او نعله كما قال تعالى كانه رؤوس
الشياطين وقال صلى الله عليه وسلم فليقاتله فانما هو شيطان
وايضا فان قول يوشع لا يلزمنا الجواب عنه اذ لم تثبت له في ذلك الوقت
نبوة مع موسى قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه والمروي انه انما
نبي بعد موت موسى وقيل قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته بدليل

القرآن وقصة يوسف قد ذكرانها كانت قبل نبوته وقد قال المفسرون
في قوله انساه الشيطان قولين احدهما ان الذي انساه الشيطان ذكر
ربه احد صاحبي السجن وربه الملك اي انساه ان يذكر للملك شان يوسف
عليه السلام وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط
على يوسف ويوشع بوساوس وترغ وانما هو يشغل خواطرهما بامور
اخر وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما ما نسيا واما قوله عليه السلام
ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته
له بل ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان
الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهدئه كما هدأ الصبي حتى نام فاعلم ان
تسلط الشيطان في ذلك الوادي انما كان على بلال الموكل بكلاءة
الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم
عن الصلاة واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة
لترك الصلاة به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض به
في هذا الباب لبنائه وارتفاع اشكاله

فصل

واما اقواله عليه السلام فقامت الدلايل الواضحة بصحة المعجز على صدقه

شبكة الألوكة www.alukah.net

واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شيء
منها بخلاف ما هو به لا قصدا وعمدا ولا سهوا او غلطا اما تعمد الخلف
في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله صدق فيما قال
اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا واما وقوعه على جهة الغلط في ذلك
فهذه السبيل عند الاستاذ ابي اسحق الاسفرايني ومن قال بقوله ومن
جهة الاجماع فقط ووروود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي صلى الله
عليه وسلم لامن مقتضى المعجز نفسها عند القاضي ابي بكر الباقلاني
ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجز لانطول بذكره
فنخرج عن عرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع المسلمين انه
لايجوز عليه خلف في القول في ابلاغ الشريعة والاعلام بما اخبر
عن ربه وما اوحاه اليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد
ولا في حالي الرضا والسخط والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمر
وقلت يا رسول الله اكتب كل ما اسمع منك قال نعم قلت في الرضى والغضب
قال نعم فاني لا اقول في ذلك كله الا حقا ولنرد ما اشرنا اليه من
دليل المعجز عليه بيانا فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه وانه لا يقول

الا حقا فلا يبلغ عن الله الا صدقا وان المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت
فيما تذكره عني وهو يقول اني رسول الله اليكم لابلغكم ما ارسلت
به اليكم وابين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي
يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما اتاكم الرسول فخذوه وما
نهاكم عنه فانتهوا فلا يصح ان يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره
على اي وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولا
خلط الحق بالباطل والمعجز مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص
فتريه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا واجماعا
كما قاله ابو اسحق فصل وقد توهمت ها هنا بعض الطاعنين
سؤالات منها ما روي من ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم
وقال افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق
العلا وان شفاعتها لترتجى ويروى ترتضى وفي رواية ان شفاعتها لتجتبى
وانها لمع الغرانيق العلى وفي اخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى
فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه اتى على
الهتهم وما وقع في بعض الروايات ان الشيطان القاها على لسانه

وان النبي صلى الله عليه وسلم كان تمنى ان لو ترك عليه شيء يقارب بينه وبين
قومه وفي رواية اخرى ان لا يزال عليه شيء ينفرهم عنه وذكر هذه القصة
وان جبريل جاءه فعرض عليه السوره فلما بلغ الكلمتين قال له ما جيئك بهاتين
فحزن لذلك النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تسلية له وما ارسلنا من
قبلك من رسول ولا نبي الآية وقوله وان كادوا ليفتنونك الآية فاعلم
اكرمك الله ان لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث ماخذين احدهما في
توهين اصله والثاني على تسليمه اما الماخذ الاول فيكفيك ان هذا
حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل
وانما اولع به ومثله المفسرون والمورخون المولعون بكل غريب
الملفقون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضي بكر بن العلا
المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء والتفسير ويعلق بذلك
الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده
واختلاف كلماته فقايل يقول الله في الصلاة واخر يقول قالها في نادي
قومه حين انزلت عليه السوره واخر يقول قالها وقد اصابته سنة
واخر يقول بل حدثت نفسه فنسيها واخر يقول ان الشيطان قالها على

لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا
اقرأتك واخر يقول بل اعلمهم الشيطان ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأها
فلما بلغ النبي ذلك قال والله ما هكذا انزلت الي غير ذلك من اختلاف الرواة
ومن حكيت عنه هذه الحكاية من المفسرين والتابعين لم يسندها احد
منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر الطرق عنهم فيها ضعيفه واهية والمرفوع
فيه حديث شعبه عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما احسب
الشك في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة
قال ابو بكر الزبار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
باسناد متصل يحفظ ذكره الا هذا ولم يسنده عن شعبة الا امية بن خالد
وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وانما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح عن
ابن عباس فقد بين لك ابو بكر رحمه الله انه لا يعرف من طريق يحفظ ذكره
سوى هذا وفيه من الضعف ما بينه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه
الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه واما حديث الكلبي فلا يجوز الرواية
عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه الزبار رحمه الله والذي
منه في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد

معه المسلمون والمشركون والجن والانس هذا توهينه من طريق النقل واما من
جهة المعنى فقد قامت الحجة واجمعت الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم
وتراهته عن مثل هذه الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا
من مدح الهة غير الله وهو كفر او ان تسور عليه الشيطان وشبه
عليه القران حتى جعل فيه ما ليس منه ونعقد النبي صلى الله عليه وسلم
ان من القران ما ليس منه حتى نبهه جبريل عليه السلام وذلك كله
ممتنع في حقه عليه السلام او يقول ذلك النبي من قبل نفسه عمدا
وذلك كفر او سهو وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبرهان
والاجماع عصمته عليه السلام من جريان الكفر على قلبه او لسانه ولا عمدا
ولا سهوا او ان تشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان او يكون
للشيطان عليه سبيل او ان يتقول على الله لا سهوا ولا عمدا اما لم ينزل
عليه وقد قال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية وقال اذا لاذقناك
ضعف الحيوة وضعف الممات الاية ووجه ثان وهو استحالة هذه
القصة نظرا وعرفا وذلك ان هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعد
الالتيام متناقض الاقسام ممتزج المدح بالذم متحاذل التاليف والنظم

ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ولامن حضرته من المسلمين وصنايد
المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا الخفي على ادنى متامل فكيف بمن رجح
حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه وجه ثالث
انه قد علم من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب
والجهلة من المسلمين فورهم لاول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله
عليه وسلم لاقل فتنة وتعييرهم المسلمين والشمات بهم الفينة بعد الفينة
وارتداد من في قلبه مرض ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة ولم يحك احد
في هذه القصة شيا سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل ولو كان ذلك
لوجدت قريش بها على المسلمين الطولة ولاقامتها اليهود عليهم الحجة
كما فعلوا مكابرة في قصة الاسراء حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة
وكذلك ما روي في قصة الغرانيق ولافتنة اعظم من هذه البلية لو وجدت
ولا تشغب المعادي حينيذ اشد من هذه الحادثة لو امكنت فما روي عن
معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث
اصلها ولا شك في ادخال بعض شياطين الانس او الجن هذا الحديث
على بعض مغفلي المحدثين ليلبس على ضعفاء المسلمين وجه رابع ذكر

الرواة لهذه القصة ان فيها نزلت وان كادوا ليفتنونك الايتين وهاتان
الآيتان تردان الخبر الذي رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه
حتى يفتري وانه لولا ان ثبته لكاد يركن اليهم فمضمون هذا ومفهومه
ان الله عصمه من ان يفتري وثبته حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف كثيرا
وهم يروون في اخبارهم الواهيه انه زاد على الركون والافتراء بمدح
الهتهم وانه قال عليه السلام افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهذا
ضد مفهوم الآية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا
مثل قوله في الآية الاخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة
منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وقد
روي عن ابن عباس كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون قال الله تعالى
يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ولم يذهب واكاد اخفيها ولم يفعل
قال القشيري القاضي ولقد طالبه قريش وتيقف اذ مر بالهتهم ان
يقبل بوجهه اليها وعدوه الايمان به ان فعل فما فعل ولا كان ليفعل
قال ابن الانباري ما قارب الرسول ولا ركن وقد ذكرت في معنى الآية
تفاسير اخر ما ذكرناه من نص الله على عصمة رسوله تردّ شفشاقها

فلم يبق في الآية الا ان الله امتن على رسوله بعصمته وتثبيته بما كاد
به الكفار وراموا من فتنته ومرادنا من ذلك تنزيهه وعصمته صلى الله
عليه وسلم وهو مفهوم الآية واما المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم
الحديث لو صح وقد اعاذنا الله من صحته ولكن على ذلك من حال فقد اجاب
عن ذلك ائمة المسلمين باجوبة منها العتب والتسمين فمنها ما روي قتادة
ومقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم اصابته سنة عند قراءته هذه
السورة فجرى هذا الكلام على لسانه لحكم النوم وهذا لا يصح اذ لا
يجوز على النبي مثله في حالة من احواله ولا خلقه الله على لسانه ولا يستولي
الشيطان عليه في نوم ولا يقظة لعصمته في هذا الباب من جميع
العمد والسهو وفي قول الكلبي ان النبي صلى الله عليه وسلم حدث نفسه
فقال ذلك الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن ابي بكر
بن عبد الرحمن قال وسها فلما اخبر بذلك قال اتماد لك من الشيطان
وكل هذا لا يصح ان يقوله عليه السلام لا سهوا ولا قصدا ولا ينقوله
الشيطان على لسانه وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله اثناء
تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار كقول ابرهيم هذا ربي على

شبكة الألوكة www.alukah.net

احد الثلاث وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد الشك وبيان الفصل
بين الكلامين ثم رجع الى تلاوته وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة
تدل على المراد وانه ليس من المتلو وهو احد ما ذكره القاضي ابو بكر ولا
يعترض على هذا ما روي انه كان في الصلاة فقد كان الكلام قبل
فيها غير ممنوع والذي يظهر ويترجح في تاويله عنده وعند غيره من المحققين
على تسليمه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه يترتل القران
ترتيلا ويفصل الاي تفصيلا في قراءته كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد
الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات
محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار
فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم واشاعوها ولم يقدح ذلك
ذلك عند المسلمين لحفظ السوره قبل ذلك على ما انزلها الله وتحققهم
من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الاوثان وعيبها ما عرف منه
وقد حكى موسى بن عقبة في مغازيه نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما
القى الشيطان ذلك في اسماع المشركين وقلوبهم ويكون ما روي من حزن
النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنه

وقد قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى
تلا قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة وقوله فينسخ الله
ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم اياته وقيل معنى
الاية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو اذا قرا فينبه لذلك
ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الاية انه حدث نفسه وقال اذا تمنى
اي حدث نفسه وفي رواية ابي بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو في
القراءة انما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس
من القران بل السهو عن اسقاط اية منه او كلمة ولكنه لا يقر على هذا
السهو بل ينبه عليه ويذكر به الحين على ما سنذكره في حكم ما يجوز عليه
من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تاويله ايضا ان مجاهدا روى هذه
القصة والغرانيق العلا فان سلمنا القصة قلنا لا يبعد ان هذا كان
قرانا والمراد بالغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه
الرواية وهذا فسر الكلبي الغرانيق انها الملائكة وذلك ان الكفار
كانوا يعتقدون الاوثان والملائكة بنات الله كما حكى الله عنهم وردّ
عليهم في هذه السورة بقوله الكم الذكر وله الانثى فانكر الله كل هذا

من قولهم ورجاء الشفاعة من الملئكة صحيح فلما تاولة المشركون على ان
المراد هذا الذكر الهتهم ولبس الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم والقاه
اليهم نسخ الله ما القي الشيطان واحكم ايانه ورفع تلاوة تلك الفطنين
اللذين وجد الشيطان بها سبيلا للتلبيس كما نسخ كثير من القران ورفعت
تلاوته وكان في انزال الله تعالى لذلك حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به من
يشاء ويهدي من يشاء وما يضل به الا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان
فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق
بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيومنوا به فتخبت له
قلوبهم الاية وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قراهذه السورة وبلغ
ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى خاف الكفار ان ياتي بشيء
من ذمها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله
عليه وسلم ويشيعوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القران
والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل الى الشيطان لحمله لهم
عليه واشاعوا ذلك واذاعوه وان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن
لذلك من كيدهم وافترائهم عليه وسلاه الله بقوله وما ارسلنا من قبلك

الاية

الاية وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القران واحكم ايانه
ودفع ما ليس به العدو وكما ضمنه تعالى من قوله انا نحن نزلنا الذكر الاية
ومن ذلك ما روي من قصة يونس عليه السلام انه وعد قومه العذاب
عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا
فذهب مغاضبا فاعلم اكرمك الله ان ليس في خبر من الاخبار الواردة
في هذا الباب ان يونس قال لهم ان الله مهلككم وانما فيه انه
دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس بحر يطلب صدقه من كذبه لكنه
قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع
الله عنهم العذاب وتدارکهم قال الله تعالى الا قوم يونس لما امنوا كشفنا
عنهم عذاب الخزي الاية وروي في الاخبار انهم راود لايل العذاب ومحايله
قاله بن مسعود وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشى الثوب القبر
فان قلت فما معنى ما روي من ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا وصار الى قريش فقال لهم اني
كنت اصرف محمدا حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم
فيقول نعم كل صواب وفي حديث اخر فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم

اكتب كذا فاقول اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت ويقول اكتب عليما
حكيما فاقول اكتب سميعا بصيرا فيقول له اكتب كيف شئت وفي الصحيح
عن انس ان نصرانيا كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم بعدما اسلم ثم ارتد
وكان يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله واياك على
الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل الينا سبيلا ان
مثل هذه الحكاية اولا لا توقع في قلب مؤمن ريبا اذ هي حكاية عمن ارتد
وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر افتري هو ومثله
على الله ورسوله ما هو اعظم من هذا والعجب لسليم العقل يشغل بمثل
هذه الحكاية سترة وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين مفتر
على الله ورسوله ولم يرد عن احد من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة
انه شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله وانما يفتري الكذب الذين لا
يؤمنون بايات الله واولئك هم الكاذبون ولو كانت صحيحة لما
كان فيها قدح ولا توهين للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه ولا
جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن في نظم
القرآن وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان الكاتب قال

له عليم حكيم او كتبه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو
فسبقه لسانه او قلمه لكلمة او كلمتين ثم انزل على الرسول قبل اظهار
الرسول لها اذ كان ما تقدم من ما املاه الرسول دل عليها ويقضي
وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجوده حسه
وفطنته كما يتفق ذلك للعارف اذ سمع البيت ان يسبق الى قافيته
او مبتدا الكلام الحسن الى ما يتم به ولا يتفق ذلك في جملة الكلام
كما لا يتفق ذلك في ايه ولا سوره وكذلك قوله عليه السلام ان صح
كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من مقاطع الآي وجهان وقرآنان
انزلا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فاملى احداهما وتوصل الكاتب
بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام الى الاخرى فذكرها النبي صلى الله
عليه وسلم كما قدمناه فصوبها له النبي صلى الله عليه وسلم ثم احكم
الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع
الآي مثل قوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز
الحكيم وهذه قراءة الجمهور وقد قرا جماعة فانك انت الغفور الرحيم وليست
من المصحف وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير المقاطع قرا بهما معا

الجمهور وتبتا في المصحف مثل وانظر الى العظام كيف ننشزها وننشرها
ويقض الحق ويقص الحق وكل هذا لا يوجب ريبا ولا تشنيب للنبي صلى الله
عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل ان هذا المحتمل ان تكون فيما كتبه
عن النبي صلى الله عليه وسلم الى الناس غير القران فيصف الله ويسميه
في ذلك كيف شاء فصل هذا القول فيما طريقه البلاغ واما
ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار التي لا مستند لها الى الاحكام
ولا اخبار المعاد ولا تضاف الى وحي بل في امور الدنيا واحوال نفسه
فالذي يجب تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يقع خبره في شيء
من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه معصوم من ذلك في
حال رضاه وفي حال تخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه ودليل
ذلك اتفاق السلف واجماعهم عليه وذلك انا نعلم من دين الصحابة
وعادتهم مبادرتهم الى تصديق جميع احواله والنقه بجميع اخباره في
اي باب كانت وعن اي شيء وقعت وانه لم يكن لهم توقف ولا تردد
في شيء منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو ام لا
ولما احتج ابن ابي الحقيق اليهودي على عمر حين اجلاهم من خيبر

باقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليه عمر بقوله
صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا اخرجت من خيبر فقال اليهودي كانت
هريلة من ابي القسم فقال عمر كذبت يا عدو الله وايضا فان اخباره
واثاره وسيره وشمايله معتنى بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد في شيء
منها استدراكه عليه السلام لغلط في قول قاله او اعترافه بوهم في شيء
اخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل من نصه عليه السلام رجوعه
عما اشار به على الانصار في تلقيح النخل وكان ذلك رايا لا خبرا وغير ذلك
من الامور التي ليست من هذا الباب كقوله والله لا احلف على يمين فارى
خيرا منها الا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله انكم لتختصمون
الي الحديث وقوله اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل ما
في هذا من مشكل في هذا الباب والذي بعده ان شاء الله مع اشباهها
وايضا فان الكذب متى عرف من احد في شيء من الاخبار بخلاف ما
هو على اي وجه كان استريب بخبره وانهم في حديثه ولم يقع قوله في
النفوس موقعا ولهذا ما ترك المحدثون والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم
والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع تقته وايضا فان تعمد الكذب

في امور الدنيا معصية والاكثار منه كبيرة باجماع مسقط للمروءة وكل
هذا ما تنزه عنه منصب النبوة والمرء الواحد منه فيها يستشنع
ويشنع مما يخل بصاحبها ويزري بقائلها لاحقة بذلك واما فيما لا يقع
هذا الموقع فان عددناها من الصغائر فهل تجري على حكمها في الخلاف
فيها مختلف فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره سهوه وعمده
اذ عمدة النبوة البلاغ والاعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبي
صلى الله عليه وسلم وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه
مناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين بانه لا يجوز على الانبياء خلف في القول في
وجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا يتسامح مع من سامح في تجويز
ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبانه لا يجوز عليهم
الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به في امورهم واحوال دنياهم لان
ذلك كان يزري وينفر القلوب عن تصديقهم بعد وانظر
احوال اهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرها من الامم
وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترافهم بما
عرف واتفق النقل على عصمه نبينا صلى الله عليه وسلم منه قبل وبعد

وقد

وقد ذكرنا من الاثار فيه في الباب الثاني اول الكتاب ما يبين لك صحة
ما اشرنا اليه فصل فان قلت فما معنى قوله عليه السلام في
حديث السهو الذي حدثنا به الفقيه ابو اسحق ابرهيم بن جعفر حدثنا
القاضي ابو الاصبغ بن سهل قال حدثنا حاتم بن محمد حدثنا ابو عبد الله بن
الفخار حدثنا ابو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى عن مالك عن داود بن
الحصين عن ابي سفيان مولى بن ابي احمد انه قال سمعت ابا هريرة يقول
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم في ركعتين
فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله اقصرت الصلاة ام نسيت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن وفي الرواية الاخرى
ما قصرت وما نسيت الحديث بقصته فاخبر بني الحالتين وانها لم تكن
وقد كان احد ذلك كما قال ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله
فاعلم وفقنا الله واياك ان للعلماء في ذلك اجوبة بعضها بصدد الاصاء
ومنها ما هو بنيه التعسف والاعتساف وها انا اقول اما على القول
بتجويز الوهم والغلط فيما ليس طريقه من القول البلاغ وهو الذي نفيناه
من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه واما على مذهب من يمنع

السهو والنسيان في افعاله جملة ويري انه في مثل هذا عامد لصورة النسيان
ليس فهو صادق في خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول
تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول
مرغوب عنه تذكره في موضعه واما على احالة السهو عليه في الاقوال
وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه اجوبة
منها ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره اما
انكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا واما النسيان فاخبر صلى الله
عليه وسلم عن اعتقاده وانه لم ينس في ظنه فكأنه قصد الخبر
هذا عن ظنه وان لم ينطق به وهذا اصدق ايضا وجه ثان
ان قوله ولم انس راجع الى السلام اي اني سلمت قصدا وسهوت عن
العدد اي لم اسه في نفس السلام وهذا محتمل وفيه بعد وجه
ثالث وهو ابعدها ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله اللفظ من قوله
كل ذلك لم يكن اي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما ومفهوم
اللفظ خلافه مع الرواية الاخرى الصحيحة وهو قول ما قصرت الصلاة
وما نسيت هذا ما رأيت فيه لامتنا وكل من هذه الوجوه محتمل للفظ

على بعد بعضها وبعسف الاخر منها قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه والذي
اقول ويظهر لي انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله لم انس انكار اللفظ الذي
نفاه عن نفسه وانكره على غيره بقوله بئس ما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا
وكذا ولكنه نسي وبقوله في بعض روايات الحديث الاخر لست انسى ولكن
ولكن انسى فلما قال له السايل اقصرت الصلاة ام نسيت انكر قصرها كما
كان ونسيانه هو من قبل نفسه وانه ان كان جرى شيء من ذلك فقد
نسي حتى سال غيره فتحقق انه نسي واجرى عليه ذلك ليسن بقوله على هذا
لم انس ولم تقصر او كل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم انس حقيقة
ولكنه نسي ووجه اخر استنثره من كلام بعض المشايخ وذلك انه قال
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهو ولا ينسى وكذلك نفى عن نفسه
النسيان قال لان النسيان غفله وانه والسهو انما هو شغل قال
فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ولا يغفل عنها وكان
يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا لها لا غفلة عنها هذا ان
تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله ما قصرت ولا نسيت خلف في
قول واما قصة كلام ابرهيم عليه السلام المذكورة في الحديث

انها كذباته الثلاث المنصوصة في القرآن منها اثنتان قوله اني سقيم وبل
فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته انها اختي فاعلم اكرمك
الله ان هذه كلها خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة
في باب المعاريض التي فيها سدوحه عن الكذب اما قول اني سقيم فقال
الحسن وغيره معناه ساسقم اي ان كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر
لقومه من الخروج معهم الى عيدهم هذا وقيل بل سقيم مما قدر علي من
الموت وقيل سقيم القلب مما اشاهد من كفركم وعنادكم وقيل بل
كانت الحمى تاخذه عند طلوع نجم معلوم فلما رآه اعتذر بعادته وكل
هذا ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق وقيل بل عرض بسقم
حجته عليهم وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا يشتغلون
وانها انناء نظره في ذلك وقيل استقامة حجته عليهم في حال سقم
ومرض حال مع انه لم يشك هو ولا ضعف ايمانه ولكنه ضعف في
استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول حتى
الهمه الله باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس والقمر
ما نصه الله وقدمنا بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الاية فانه

على خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعله على طريق
التبكيت لقومه وهذا صدق ايضا ولا خلف فيه واما قوله اختي فقد
بين في الحديث قال فانك اختي في الاسلام وهو صدق والله تعالى
يقول انما المؤمنون اخوة فان قلت فهذا النبي صلى الله عليه وسلم
قد سماها كذبات وقال لم يكذب ابرهيم الا ثلاث كذبات وقال في
حديث الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة
الكذب وان كان حقا في الباطن لاهذه الكلمات ولما كان مفهوم
ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابرهيم عليه السلام من مواخذته بها
واما الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها
فليس فيه خلف في القول انما هو ستر مقصده ليلا ياخذ عدوه حذره
وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع اخروا البحث عن اخباره
والتعريض بذكره لانه يقول تجهزوا الى غزوة كذا او وجهنا الى موضع
كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر بدخله الخلف
فان قلت فما معنى قول موسى عليه السلام وقد سئل اي الناس اعلم
فقال انا اعلم فعتب الله عليه ذلك اذ لم يرد العلم اليه الحديث

وفيه قال لي عبد لنا بمجمع البحرين أعلم منك وهذا خضر فدانبا الله انه ليس
كذلك فاعلم انه وقع في هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن ابن
عباس هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان جوابه على علمه فهو حق وصدق
لا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق الاخر فحمله على ظنه ومعتقده كما
لو صرح به لان حاله في النبوة والاصطفاء يقتضي ذلك فيكون اخباره
بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد يريد بقوله
انا اعلم بما تقتضيه وظايف النبوة من علوم التوحيد واصول الشريعة
وسياسة الامة ويكون الخضر اعلم منه بامور اخر مما لا يعلمه احد
الا باعلام الله من علوم غيبه كالقصص المذكورة في خبرهما فكان
موسى اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم على الخصوص بما اعلم ويدل
عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وعتب الله ذلك عليه فيما قاله
العلما انكار هذا القول عليه لانه لم يرد العلم اليه كما قال الملك له
لا علم لنا الا ما علمتنا لولا انه لم يرض قوله شرعا وذلك والله اعلم
ليلا يقتدى به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته من
امته فيهلك لما تضمنه من مدح الانسان نفسه ويورثه ذلك من الكبر

والعجب والتعاظي والدعوى وان نزه عن هذه الرذايل الانبياء فغيرهم
بمدرجة سيلها ودرك ليلها الا من عصمه الله فالتحفظ منها اولى لنفسه
وليقتدى به ولهذا قال عليه السلام لحفظا من مثل هذا مما قد علم
به انا سيد ولد ادم ولا فخر وهذا الحديث احدى حجج القايلين بنبوة
الخضر لقوله فيه انا اعلم من موسى ولا يكون الولي اعلم من النبي واما
الانبياء فينفاضلون في المعارف وبقوله وما فعلته عن امري فدل
انه بوحي ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل ان يكون فعله بامر نبي
آخر وهذا ضعيف لانه ما علمنا كان في زمن موسى نبي غيره الا اخاه
هرون وما نقل احد من اهل الاخبار في ذلك شيا يعول عليه
واذا جعلنا اعلم منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص وفي
قضايا معينة لم يحج الى اثبات نبوة خضر ولهذا قال بعض الشيوخ كان
موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله والخضر اعلم فيما دفع اليه من موسى
وقال آخر انما الجى موسى الى الخضر للتاديب لا للتعليم

فصل

واما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال والاخرج من
جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام والاعتقاد

بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون
على عصمة الانبياء من الفواحش والكبائر الموبقات ومستند الجمهور
في ذلك الاجماع الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي ابي بكر ومنعها غيره
بدليل العقل مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاذ ابو اسحق
وكذلك لاخلاف انهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في
التبليغ لان كل ذلك مقتضى العصمة منه المعجزة مع الاجماع على ذلك
من الكافة واما الصغاير فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبياء
وهو مذهب ابي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين
وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طايفة اخرى الى الوقف
وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يات في الشرع قاطع باحد الوجهين
وذهبت طايفة اخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم
من الصغاير كعصمتهم من الكباير قالوا لاختلاف الناس في الصغاير
وتعيينها من الكباير واسكال ذلك وقول بن عباس وغيره ان كل
ما عصي الله به فهو كبيرة وانه انما سمي منها الصغير بالاضافة الى ما هو
اكبر منه ومخالفة الباري في اي امر كان يحب كونه كبيرة قال

القاضي ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال في معاصي الله صغيرة الا
على معنى انها تغفر باجتناب الكباير ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف
الكباير اذا لم يتب منها فلا يخطها شيء والمشية في العفو عنها الى الله
وهو قول القاضي ابي بكر وجماعة ايمة الاشعرية وكثير من ايمة الفقهاء
وقال بعض ايمتنا ولا يجب على القولين ان يختلف انهم معصومون عن
تكرار الصغاير وكثرتها اذ يلحقها ذلك بالكباير ولا في صغيرة ادت
الى ازالة الحشمة واسقطت المروة واوجبت الازراء والخساسة فهذا
ايضا مما يعصم عنه الانبياء اجماعا لان مثل هذا الحط منصبه المتسم به
ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه والانبياء منزهون عن ذلك بل يلحق
بهذا ما كان من قبيل المباح فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم
المباح الى الحظر وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعه المكروه قصدا
وقد استدل بعض الايمة على عصمتهم من الصغاير بالمصير الى امتثال
افعالهم واتباع اثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك من
اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا
عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك وحكي بن خويز منداد

وابو الفرج عن مالك التزام ذلك وجوبا وهو قول الابهري وابن القصار
واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل العراق وابن سريج والاصطخري وابن جرير
من الشافعية واكثر الشافعية على ان ذلك ندب وذهبت طايفة
الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الامور الدينية وعلم
به مقصد القربة ومن قال بالاباحة في افعاله لم يفيد قال فلو جوزنا
عليهم الصغاير لم يمكن الاقتداء بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله
يتميز مقصده من القربة او الاباحة او الحظر او المعصية ولا يصح ان
يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية لاسيما على من يرى تقديم
الفعل على القول اذا تعارضا من الاصوليين ونزيد هذا حجة بان
نقول من جوز الصغاير ومن نفاها عن نبينا عليه السلام مجمعون انه
لا يقر على منكر من قول او فعل والله متى راى شيأ فسكت عنه صلى الله
عليه وسلم دل على جوازه فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم يحذر
وقوعه منه في نفسه وعلى هذا الماخذ تجب عصمتهم من مواقعة
المكروه كما قيل واذ الحظر او الندب على الاقتداء بفعله بنا في الزجر والنهي
عن فعل المكروه وايضا فقد علم من دين الصحابة قطعا الاقتداء بافعال

النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت وفي كل فن كالاقتداء باقواله
فقد شدوا خواتيمهم حين شد خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع واحتجاجهم
برويه ابن عمر اياه جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس واحتج
غير واحد منهم في غير شيء مما مانه العبادة او العادة بقوله رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وقال هلا اخبرتها اي افعل
وانا صايم وقالت عايشة محتجة كنت افعله انا ورسول الله صلى الله
عليه وسلم وغضب عليه السلام على الذي اخبر بمثل هذا عنه
فقال يحل الله لرسوله ما يشاء وقال اني لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده
والاثار في هذا اعظم من ان يحيط عليها لكنه يعلم من مجموعها
على القطع اتباعهم افعاله واقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة
في شيء منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك ولما انكر
عليه السلام على الاخر قوله واعتذاره بما ذكرناه واما المباحات
فيجوز وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح بل هي ماذون فيها وايديهم كايدي
غيرهم مسلطة عليها الا انهم ما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت
له صدورهم من انوار المعرفة واصطفوا به من تعلق الهمم بالله والدار

الاخره لا ياخذون من المباحات الا الضروري ممّا يقوّون به علي سلوك
طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما آخذ علي هذه السبيل التحق
طاعة وصار قربة كما بيّنا منه اوّل الكتاب طرفا في حصال نبيّنا عليه
السلام فبان لك عظيم فضل الله علي نبيّنا وعلي ساير انبيايه عليهم السلام
بان جعل افعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية
فصل وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة فمنعها
قوم وجوزها اخرون والصحيح ان شاء الله تنزيههم من كل عيب وعصمتهم
من كل ما يوجب الريب فكيف والمسلة تصورها كالممتنع فان المعاصي
والنواهي انما تكون بعد تقرر الشرع وقد اختلف الناس في حال
نبينا عليه السلام قبل ان يوحي اليه هل كان متبعا لشرع قبله ام لا
فقال جماعة لم يكن متبعا لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي علي
هذا القول غير موجودة ولا معتبرة في حقه حينيذ اذ الاحكام
الشرعيه انما تتعلق بالاوامر والنواهي وتقرر الشريعة ثم اختلفت
حجج القايلين بهذه المقاله عليها فذهب سيف السنة ومقتدى فرق
الامة القاضي ابو بكر الى ان طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر

من طريق السمع وجملته انه لو كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره في
العادة اذ كان من مهم امره واولي ما اهتبل به في سيرته ولتحدث اهل
تلك الشريعه ولاحتجوا به عليه ولم يوثر شيء من ذلك جملة وذهبت
طايفة الي امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا من
عرف تابعا وسواهذا علي التحسين والتقبيح وطريقة غير سديدة
واستناد ذلك الي النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولي واظهر وقالت
فرقة اخري بالوقف في امره عليه السلام وترك قطع الحكم عليه
بشيء في ذلك اذ لم يحل الوجهين منها العقل ولا استبان عندها
في احدهما طريق النقل وهو مذهب ابي المعالي وقالت فرقة
ثالثة انه كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل تعين ذلك
الشرع ام لا فوقف بعضهم عن تعيينه واحجم وجسر بعضهم علي التعيين
وصمم بل اختلفت هذه المعينة فمن كان يتبع نقيل نوح وقيل
ابرهيم وقيل موسي وقيل عيسي صلوات الله عليهم فهذه جملة المذاهب
في هذه المسلة والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها
مذاهب المعينين اذ لو كان شيء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف

جملة ولا حجة لهم في ان عيسى اخر الانبياء فلزمت شريعته من جاء بعدها
اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه لم يكن لنبي دعوة عامة
الا لنبينا عليه السلام ولا حجة ايضا للآخرين في قوله تعالى ان اتبع ملة
ابرهيم حنيفا وللآخرين في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
لمجمل هذه الآية اتباعهم في التوحيد كقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه
كيوسف بن يعقوب على قول من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله
تعالى جماعة منهم في هذه الآية شرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل
ان المراد ما اجمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا
فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول في سائر الانبياء غير نبينا
او يخالفون بينهم اما من منع الاتباع عقلا فيطرد اصله في كل
رسول بلا مرية واما من مال الى النقل فانما نصور له وتقرر اتبعه
ومن قال بالوقف فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله يلزمه
بمساق حجته في كل نبي فصل وهذا حكم ما يكون المخالفة
فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية وندخل تحت التكليف

واما

واما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظايف الشرعية
مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المواخذة عليه فاحوال
الانبياء في ترك المواخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع انهم سواء
تم ذلك على وجه ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام
وتعليم الامة بالفعل واخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا
مما اختص بنفسه اما الاول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو
في القول في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك
في حق النبي صلى الله عليه وسلم وعصمته من جوازه عليه قصدا
او سهوا فكذلك قالوا الافعال في هذا الباب لا يجوز طرد المخالفة
فيها لا عمدا ولا سهوا لانها مع في القول من جهة التبليغ والادا
وطرو هذه العوارض عليها يوجب التشكيك وتسبب المطاعن
واعتذروا عن احاديث السهو بوجهات نذكرها بعد هذا والى هذا
مال ابو اسحق وذهب اكثر من الفقهاء والمتكلمين الى ان المخالفة
في الافعال البلاغية والاحكام الشرعية سهوا وعن غير قصد منه
جايز عليه كما تقرر من احاديث السهو في الصلاة وفرقوا بين ذلك وبين

الاقوال البلاغية لقيام المعجز على الصدق في القول ومخالفة ذلك تناقضها
واما السهو في الافعال فغير مناقض لها ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل
وغفلات القلب من سمات البشر كما قال عليه السلام انما انا بشر انسى كما
تنسون فاذا نسيت فذكروني نعم بل حالة النسيان والسهو هنا
في حقه عليه السلام سبب افادة علم وتقرير شرع كما قال عليه السلام
اني لا انسى او انسى لاسن بل قد روي لست انسى ولكن انسى لاسن وهذه
الحالة زيادة له في التبليغ وتمام عليه في النعمه بعده عن سمات النقص
واعراض الطعن فان القايلين بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل
لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور على
قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم على قول الاخرين واما
ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الاحكام من افعاله عليه السلام وما
خص به من امور دينه واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه فالاكثر
من طبقات علماء الامة على جواز السهو والغلط عليه فيها وحوق الفترات
والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق وسياسات
الامة ومعاناة الاهل وملاحظة الاعداء ولكن ليس على سبيل التكرار
ولا

ولا الاتصال بل على سبيل الندور كما قال عليه السلام انه ليغان على
قلبي فاستغفر الله وليس في هذا شي يحط من رتبته وينافض معجزته
وذهبت طايفة الى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في
حقه عليه السلام جملة وهو مذهب جماعة المتصوفه واصحاب علم
القلوب والمقامات ولهم في هذه الاحاديث مذاهب نذكرها بعد
هذا ان شاء الله فصل في الكلام على الاحاديث
المذكور فيها السهو منه عليه السلام قد قدمنا في الفصول قبل هذا
ما يجوز فيه عليه السهو عليه السلام وما يمتنع واحلناه في الاخبار
جملة وفي الاقوال التبليغيه قطعا واجزما وتوعه في الافعال الدنيويه
على الوجه الذي رتبناه واشرنا الى ما ورد في ذلك ونحن نبسط القول
فيه الصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه عليه السلام في الصلاة
ثلاثة احاديث اولها حديث ذي اليدين في السلام من اثنتين الثاني
حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين الثالث حديث بن مسعود ان النبي
صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا وهذه الاحاديث مبنية على السهو
في الفعل الذي قررناه وحكمه الله فيه ليستن به اذ البلاغ بالفعل

اجلي منه بالقول وارفع للاحتمال وشرطه انه لا يقر على هذا السهو بل
يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر فايدة الحكمة فيه كما قدمناه وان
النسيان والسهو في الفعل في حقه عليه السلام غير مضاد للمعجزة
ولا قادح في التصديق وقد قال عليه السلام انما انا بشر انسى كما تنسون
فاذا نسيت فذكروني وقال رحم الله فلانا لقد اذكرني كذا وكذا
اية كنت اسقطهن ويروى انسيتهن وقال عليه السلام اني لانسى او
انسى لاسن قيل هذا اللفظ شك من الراوي وقد روي اني لانسى ولكن
انسى لاسن وذهب بن نافع وعيسى بن دينار انه ليس بشك وان معناه
انسى لاسن وذهب بن نافع وعيسى بن دينار انه ليس بشك وان معناه
التقسيم اي انسى انا او ينسيني الله قال الناصي ابو الوليد الباجي يحتمل
ما قالاه ان يريد اني انسى في اليقظة وانسى في النوم او انسى على سبيل
عادة البشر من الذهول عن الشيء والسهو او انسى مع اقبالي عليه
وتفرغي له فاضاف احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب
فيه ونفي الاخر عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر وذهبت طايفة
من اصحاب المعاني والكلام على الحديث الى ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان ينسى في الصلاة ولا ينسى لان النسيان ذهول وغفلة وافة قال

والى

والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان عليه السلام يسهو
في صلاته وتشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا لها لا غفلة
عنها واحتج بقوله عليه السلام في الرواية الاخرى اني لا انسى ولكن
طايفة الى منع هذا كله عنه وقالوا ان سهوه عليه السلام كان عمدا
وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض للمقاصد لا يحلى منه
بطايل لانه كيف يكون متعمدا ساهيا في حال ولا حجة لهم في قولهم انه
امر بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله اني لانسى او انسى وقد اثبت احد
الوصفين ونفي مناقضة التعمد والقصد وقال انما انا بشر مثلكم انسى
كما تنسون وقد مال الى هذا عظيم من المحققين من ائمتنا وهو ابو المظفر
الاسفرايني ولم يرتض غيره منهم ولا ارتضيه ولا حجة لهاتين الطايفتين
في قوله اني لا انسى ولكن انسى اذ ليس فيه نفي حكم النسيان بالجملة
وانما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله بئسما لاحدكم ان يقول
نسيت اية كذا ولكنه نسي او نفي الغفلة وقلة الاهتمام بامر الصلاة
عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي بعضها بعضها كما ترك الصلاة يوم
الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة

وقيل ان الذي تُرك يوم الخندق اربع صلوات الظهر والعصر والمغرب
والعشاء وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلاة في الخوف اذا لم
يتمكن من اداءها الى وقت الامن وهو مذهب الشافعيين والصحيح
ان حكم صلاة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له فان قلت فما تقول في
نومه عليه السلام عن الصلاة يوم الوادي وقد قال ان عيني تنام ولا
ينام قلبي فاعلم ان للعلماء عن ذلك اجوبة منها ان المراد بان هذا
حكم قلبه عند نومه وعينيه في غالب الاوقات وقد ندر منه غير ذلك
كما يندر من غيره خلاف عادته ويصح هذا التاويل قوله عليه السلام
في الحديث نفسه ان الله قبض ارواحنا وقول بلال فيه ما القيت على نومة
مثلها قط ولكن مثل هذا انما يكون منه لامر يريده من اثبات حكم
وتاسيس سنة واظهار شرع وكما قال في الحديث الاخر لو شاء الله
لايقظنا ولكن اراد ان يكون لمن بعدكم الثاني ان قلبه لا يستغرقه
النوم حتى يكون منه الحدث فيه لما روي انه كان محروسا وانه كان
ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضا وحديث بن عباس
المذكور فيه وضوه عند قيامه من النوم فيه نومه مع اهله فلا يمكن الاحتجاج

به على وضوه لمجرد النوم اذ لعل ذلك للامسة الاهل او لحدث اخر
فكيف وفي اخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلاة
فصلى ولم يتوضا وقيل لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم وليس في
قصة الوادي الا نوم عينيه عن رويه الشمس وليس هذا من فعل القلب
وقد قال عليه السلام ان الله قبض ارواحنا ولو شاء لردها الينا في حين
غير هذا فان قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال اكلا
لنا الصبح فقيل في الجواب انه كان من شانه عليه السلام التغليس بالصبح
ومراعاة اول الفجر لا يصح ممن نامت عيناه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح
الظاهرة فوكل بلالا بمراعاته اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل
غير النوم عن مراعاته فان قيل فما معنى نهيه عليه السلام عن القول
نسيت وقد قال عليه السلام اني انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني
وقال لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت انسيتها فاعلم اكرمك الله انه
لا تعارض في هذه الالفاظ اما نهيه عن ان يقال نسيت اية كذا
فمحمول على ما نسخ فعله من القران اي ان الغفلة في هذا لم تكن منه
ولكن سهوا وغفلة من قبله ذكرها صلح ان يقال فيه انسي وقد

شبكة الألوكة www.alukah.net

قيل انّ هذا منه صلّى الله عليه وسلّم على طريق الاستحباب ان يضيف
النعل الى خالقه والاخر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه واسقاطه
عليه السلام لما اسقط من هذه الايات جايز عليه بعد بلاغ ما امر ببلاغه
وتوصيله الى عباده ثم ينسخ ذكرها من امته او من قبل نفسه الا
ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره وقد يجوز ان
ينسي النبي صلّى الله عليه وسلّم ما هذا سبيله كرة ويجوز ان ينسيه منه
قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم
يذكره اياه ويتحمل دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليفه بلاغه
فصل في الرد على من اجاز عليهم الصغاير والكبار
على ما احتجوا به في ذلك اعلم ان المجوزين الصغاير على الانبياء من
الفقهاء والمحدثين ومن تابعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك
بظواهر كثيرة من القران والحديث ان الزموا ظواهرها افضت بهم
الى تجويز الكباير وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكلما
احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات في
مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف ما الزموه من ذلك فاذا لم

يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة
على خطا قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح وهاانا خذ
في النظر فيها ان شاء الله فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلّى الله عليه
وسلّم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقوله واستغفر لذنبك
وللمؤمنين والمؤمنات وقوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك
وقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وقوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما
اخذتم عذاب عظيم وقوله عبس وتولى ان جاءه الاعمى الايه وما قص من
قصص غيره من الانبياء كقوله وعصى ادم ربه فغوى وقوله فلما اتاهما
صالحا جعلا له شركا الاية وقوله عنه ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقوله
عن يونس سبحانك اني كنت من الظالمين وما ذكر من قصته وقصة
داود وقوله وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب الى
قوله مآب وقوله ولقد همت به وهم بها وما قص من قصته مع اخوته
وقوله عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان
وقول النبي صلّى الله عليه وسلّم في دعايه اغفر لي ما قدمت واخرت
واسررت واعلنت ونحوه من ادعيته عليه السلام وذكر الانبياء

في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة وقوله انه ليغان على قلبي فاستغفر
الله وفي حديث ابي هريرة اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر
من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح والا تغفر لي الاية وقد كان
قال الله له ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقال عن ابرهيم
والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقوله عن موسى تبت اليك
وقوله ولقد فتنا سليمان الى ما اشبه هذه الظواهر فاما احتجاجهم
بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقد اختلف فيه المفسرون
فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل المراد ما وقع لك من ذنب
وما لم يقع اعلمه انه مغفور له وقيل ما كان قبل النبوة والمتاخر
عصمتك بعدها حكاه احمد بن نصر وقيل المراد بذلك امته عليه
السلام وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتاويل حكاه الطبري
واختاره القشيري وقيل ما تقدم لابيك ادم وما تاخر من ذنوب امتك
حكاه السمرقندي والسلمي عن بن عطاء ومثله والذي قبله تاول
قوله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات قال مكي مخاطبة النبي
عليه السلام هاهنا هي مخاطبة لامته وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما امر ان يقول وما ادري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار فانزل
الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الاية وبما ال المومنين
في الاية الاخرى بعدها قاله بن عباس فمقصد الاية انك مغفور لك غير
مواخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم المغفرة هاهنا تبرية من العيوب
واما قوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقيل ما سلف
من ذنبك قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة وقيل
معناه انه حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك لانقل ظهره حتى معناه
السمرقندي وقل المراد بذلك ما انقل ظهره من اعباء الرسالة حتى
بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية
حكاه مكي وقيل سل شغل سرك وحزنك وطلب شريعتك حتى شرعنا
ذلك لك حكى معناه القشيري وقيل معناه حفظنا عليك ما احملت بحفظنا
لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى انقض اي كاد ينقطه فيكون المعنى على
من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور نعلها
قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق
منها او يكون الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت

شبكة الألوكة www.alukah.net

ظهره او يكون من ثقل الرسالة او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور
الجاهلية واعلام الله تعالى له لحظ ما استحفظه من وجيه واما
قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم
فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده الله عليه معصية
بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه
وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان
له ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال
الله له فاذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله مما لم يطلع عليه
من سرهم انه لو لم يأذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس
عفا هاهنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا
الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم
ذلك ونحوه للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب
من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك
ذنبا قال الداودي روي انها تكرمة قال مكي هو استفتاح
كلام مثل اصلحك الله واعزك وحكى النحاس قد ي ان معناه عافاك

الله واما قوله في اساري بدر ما كان لنبي ان تكون له اسرى الآيتين
فليس فيه الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به
وفضل من بين سائر الانبياء فكانه قال ما كان هذا النبي غيرك كما
قال عليه السلام احلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي فان قيل فما معنى
قوله تريدون عرض الدنيا الآية قيل المعني بالخطاب لمن اراد ذلك منهم
وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا
النبي صلى الله عليه وسلم ولا عليه اصحابه بل قد روي عن الضحاك
انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع
الغنائم عن القتال حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال
تعالى لولا كتاب من الله سبق فاختلف المفسرون في معنى الآية فقيل
معناها لولا انه سبق مني الا اعذب احدا الا بعد النهي لعدتكم بهذا
بنفي ان يكون امر الاسرى معصية وقيل المعنى لولا ايمانكم
بالقرآن وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنائم
ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بان يقال لولا ما كنتم مؤمنين بالقرآن
وكنتم ممن احلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل

لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب
والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم
حلالا طيبا وقيل بل كان عليه السلام قد خير في ذلك وقد روي
عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه
وسلم يوم بدر فقال خيرا اصحابك في الاساري ان شاءوا القتل
وان شاءوا الفداء على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل
منا وهذا دليل على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه
لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان
والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار
غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين والى نحو هذا اشار الطبري
وقوله عليه السلام في هذه القضية لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه
الا عمر اشارة الى هذا من تصويب رايه ورأى من اخذ ما اخذه في
اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة عدوه وان هذه القضية لو استوجبت
عذابا نجا منه عمر ومثله وعين عمر لانه اول من اشار بقتلهم ولكن
الله لم يقدر عليهم في ذلك عذابا لحلة لهم فيما سبق وقال الداودي

والخبر هذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز ان يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم
حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر اليه فيه وقد نزهه
الله عن ذلك وقال القاضي بكر بن العلاء اخبر الله نبيه في هذه
الآية ان تاويله وافق ما كتبه له من احلال الغنايم والفداء وقد كان
قبل هذا فادى في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم
بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد
من عام فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في
شان الاسرى كان على تاويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره
الله عليهم لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها والله اعلم
اظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل
ذلك لهم لا على وجه عتاب وانكار او تذنيب هذا معنى كلامه واما
قوله عبس وتولى الايات فليس فيه اثبات ذنب له عليه السلام بل اعلام
الله ان ذلك المتصدي له ممن لا يتزكى وان الصواب والاولى كان لو
كشف لك حال الرجلين الاقبال على الاعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم
لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا عنه واستيلافا

شبكة الألوكة www.alukah.net

له كما شرعه الله لا معصية ومخالفة له وما قصه الله عليه من ذلك اعلام
بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه
بقوله وما عليك الا تزكى وقيل اراد بعبس وتولى الكافر الذى كان
مع النبى صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام واما قصة ادم عليه السلام
وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
وقوله الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله
وعصى ادم ربه فغوى اى جهل وقيل اخطا فان الله تعالى قد اخبر
بعذره بقوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسى ولم نجد له عزما قال
بن زيد نسى عداوة ابليس له وما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان هذا
عدو لك ولزوجك الاية قيل نسى ذلك مما اظهر لهما وقال بن عباس
انما سمى الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسى وقيل لم يقصد المخالفة
استحلالا لها ولكنهما اغتر الحلف ابليس لهما انى لكما لمن الناصحين
وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا وقد روى عذر ادم بمثل هذا فى
بعض الاثار وقال بن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع وقد
قيل نسى ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما اى قصد المخالفة

واكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم والصبر وقيل كان عند
اكله سكران وهذا فيه ضعف لان الله وصف خمر الجنة انها لا
تسكر فاذا كان ناسيا لم تكن معصية وكذلك ان كان ملبسا عليه
غالطا اذ الاتفاق على خروج الناسى والساهى عن حكم التكليف وقال
الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة
ودليل ذلك قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه
وهدى فذكر ان الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان وقيل بل
اكلها متأولا وهو لا يعلم انها الشجرة التى نهى عنها لانه تاول نهى
الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك
التحفظ لا من المخالفة وقيل تاول ان الله لم ينهه عنها نهى تحريم فان
قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى ادم ربه وقال فتاب عليه
وقوله فى حديث الشفاعة ويذكر ذنبه واني نهيت عن اكل الشجرة
فعصيت فسيأتى الجواب عنه وعن اشباهه مجملا اخر الفصل ان
شاء الله واما قصة يونس فقد مضى الكلام على بعضها انفا وليس فى
قصة يونس نص على ذنب وانما فيه ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا

شبكة الألوكة www.alukah.net

عليه وقيل انما نقم الله عليه خروجه عن قومه فارا من نزول
العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم قال والله لا
القاهم بوجه كذاب ابدا وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف
ذلك وقيل ضعف عن حمل اعباء الرسالة وقد تقدم الكلام انه
لم يكن بهم وهذا كله ليس فيه نص على معصيته الا على قول مرغوب
عنه وقوله ابق الى الفلك المشحون قال المفسرون تباعد واما
قوله اني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء في غير موضعه هذا
اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن قومه
فلم يواخذ وقال الواسطي معناه نزهه ربه عن الظلم واضاف الظلم
الى نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول ادم وحواء ربنا ظلمنا
انفسنا اذ كانا السبب في وضعهما غير الموضع الذي انزلا فيه واخراجهما
من الجنة وانزالهما الى الارض واما قصة داود عليه السلام فلا
يجب ان يلتفت الى ما سطره فيها الاخباريون عن اهل الكتاب الذين بدلوا
وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شيء من ذلك ولا ورد
في حديث صحيح والذي نص الله عليه قوله وظن داود انما فتناه

نعم اردن به او ضعفه عما
حمله او الرعاية بالعذاب على
قومه وقد دعا عليهم فعذبوا
قومه

الى قوله وحسن مآب وقوله فيه اوابا فعني فتناه اي اختبرناه واوابا
قال قتادة مطيع وهذا التفسير اولى قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد
داود على ان قال للرجل انزل لي عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله
على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وهذا الذي ينبغي ان
يعول عليه من امره وقد قيل خطبها على خطبته وقيل بل احب بقلبه
ان يستشهد وحكي المنجم قديما ان ذنبه الذي استغفر منه قوله لاحد
الخصمين لقد ظلمك بظلمه بقول خصمه والى نفي ما اضيف في الاخبار الى
داود من ذلك ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من المحققين قال
الداودي ليس في قصة داود وأوريا خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة
قتل مسلم وقيل ان الخصمين اللذين اختصما رجلان في ناحية غنم على طاهر
الآية واما قصة يوسف واخوته فليس على يوسف منها بعقب واما
اخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم
في القرآن عند ذكر الانبياء قال المفسرون يريد من نبي من ابناء الاسباط
وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوه صغار الاسنان ولهذا لم
يمر وا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسل معنا اخانا نرتع ونلعب

وان تستلهم نبوة فبعد هذا والله اعلم واما قول الله تعالى فيه ولقد همت به وهم
بها لولا ان راى برهان ربه فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان
هم النفس لا يواخذ به وليست سيئة لقوله عليه السلام عن ربه اذا هم
عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية في همه اذا واما على
مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطن عليه النفس
سيئة واما ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه
وهذا هو الحق ويكون ان شاء الله تم يوسف من هذا ويكون قوله وما
ابرئ نفسي لا يه اى ما ابرئها من هذا الهم او يكون ذلك منه على طريق
التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل ويرى فيكف وقد حكى
ابو حاتم عن ابي عبيدة ان يوسف لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتاخير
اى ولقد همت به ولولا ان راى برهان ربه لهم بها وقد قال الله تبارك
وتعالى عن المراة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تبارك وتعالى
كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال وغلقت الابواب وقالت هيت
لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي الاية قيل في ربي الله وقيل
الملك وقيل هم بها اى يزجرها ووعظها وقيل هم بها اى غمها امساعه

عنها

عنها وقيل هم بها نظر اليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله
كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن الى يوسف ميل
شهوة حتى نباه الله فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من
راه عن حسنه واما خبر موسى مع قتيله الذي وكزه فقد نص
الله تعالى انه من عدوه قال كان من القبط الذين على دين فرعون
ودليل السورة في هذا كله انه قبل نبوة موسى وقال قتادة وكزه
بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك وقوله هذا من
عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك
من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يؤمر وقال النقاش لم يقتله
عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه يريد بها دفع ظلمه قال وقد
قيل ان هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة وقوله تعالى في
قصته وفتناك فتونا اى ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء قيل في هل النصة
وما جرى له مع فرعون وقيل التعاوه في التابوت واليم وغير ذلك وقيل
معناه اخلصناك اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتن الفضة في
النار اذا خلصها واصل الفتنة معنى الاختبار واظهار ما بطن الا انه

استعمل في عرف الشرع في اختيار الدي الى ما يكره وكذلك ما روي في
الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاءه فلطم عينه ففقأها الحديث ليس
فيه ما نحكم على موسى عليه السلام بالتعدي وفعل ما لا يحب له اذ هو
ظاهر الامرين لوجه جاز الفعل لان موسى دافع عن نفسه من اتاه
لاتلافها وقد تصور له في صورة ادمي ولا يمكن انه علم حينئذ انه ملك
الموت فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عين تلك الصورة
الذي تصور له فيها الملك امتحانا من الله فلما جاءه بعد واعلمه الله انه
رسوله اليه استسلم وللمتقدمين والمتأخرين على هذا الحديث اجوبة
هذا اسدها عندي وهو تاويل شيخنا الامام ابي عبد الله المازري
وقد تاوله قديما ابن عائشة وغيره على صحته ولطمه بالحجة وفقئ عين
حجته وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف واما
قصة سليمان وما حكي فيها اهل التفسير من ذنبه وقوله لاطوفن
سليمان فعناه ابتلينا وابتلاه ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لاطوفن الليلة على مايه امراة او تسع وتسعين كلهن ياتين بفارس
يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن

الا

الا امراة واحدة جاءت بشق رجل قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله قال اصحاب المعاني
والشق هو الجسد الذي القي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته
ومحنته وقيل بل مات فالقي على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على
ذلك وتمنيه وقيل لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من
التمني وقيل عقوبته ان سلب ملكه وذنبه ان احب بقلبه ان يكون
الحق لاختياره على خصمهم وقيل اخذ بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح ما
نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه
في امته بالجور في حكمه لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا
وقد عصم الانبياء من مثله وان سئل لم يقل سليمان في القصة
المذكورة ان شاء الله فعنه اجوبة احدها ما روي في الحديث الصحيح انه
نسي ان يقولها وذلك لينفذ مراد الله تعالى والثاني انه لم يسمع صاحبه
وشغل عنه وقوله هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لم يسأل هذا
سليمان غيرة على الدنيا ولا نفاسة ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره
المفسرون الا يسلط عليه احدا كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه

اياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك وقيل بل اراد ان تكون له من الله
فضيلة وخاصة تختص بها كاختصاص غيره من انبياء الله ورسله بخواص
منه وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته كالانه الجديد لابيه
واحياء الموتى لعيسى واختصاص محمد بالشفاعة ونحو هذا واما قصته
نوح عليه السلام فظاهرة العذر وانه اخذ فيها بالتاويل وظاهر اللفظ
لقوله تعالى واهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوى عنه من
ذلك لا انه شك في وعد الله فبين الله تعالى عليه انه ليس من اهله
الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه انه معرق
الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاوخذ هذا التاويل وعتب عليه واشفق
هو من اقدامه على ربه لسواله ما لم يوذن له في السوال فيه وكان نوح
فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الاية غير هذا وكل
هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه من تاويله واقدامه بالسوال
فيمن لم يوذن له فيه ولا نهي عنه وما روي في الصحيح من ان نبيا قرصته
نملة فحرق قرية النمل فاوحى الله اليه ان قرصتك نملة احرقت امة من الامم
تسبح فليس في هذا الحديث ان هذا الذي اتى معصية بل فعل ما راه مصلحة

وصوابا

وصوابا بقتل من يوذي جسمه ومنع المنفعة بما اباح الله الا ترى ان هذا
النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما اذته النملة تحول برحله عنها مخافة
تكرار الاذي عليه وليس فيما اوحى الله اليه ما يوجب عليه معصية بل ندبه
الى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين
اذ ظاهر فعله انما كان لاجل انها اذته هو في خاصته فكان انتقاما
لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك ولم يات في كل
هذا امر انهي عنه فيعصي به ولا نص فيما اوحى الله اليه بذلك ولا بالتوبة
والاستغفار منه والله اعلم

فصل

فان قلت فاذا انفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته
من اختلاف المفسرين وتاويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى ادم ربه
فغوى وما تكرر في القرآن والحديث الصحيح من اعتراف الانبياء بذنوبهم
وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق
ويتاب ويستغفر من لا شي فاعلم وفقنا الله واياك ان درجة الانبياء
في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظم سلطانه
وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المواخذة

فان قلت فما معنى قوله عليه السلام ما نص الا ادم ربه
او كما قال وحكى انه كان اوكد ما قال عليه السلام فيما روي عنه كما تقدم
من ذنوب الانبياء التي نفخم عن ذكرها وغفلة

شبكة الألوكة www.alukah.net

بما لا يواخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها
ثم اوخذوا عليها وعوتبوا بسببها وحذروا من المواخذة بها واتوها على
وجه التاويل او السهو او زيد من امور الدنيا المباحة خائفون وجلون
وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم ومعاصٍ بالنسبة الى كمال طاعتهم
لانها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان الذنب ماخوذ من الشيء الدني الرذل
ومنه دبر كل شيء اي اخره واذناب الناس ردالهم فكان هذه ادنى
افعالهم واسوأ ما يجري من احوالهم لتطهيرهم وتنزيههم وعمارة بواطنهم
وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي والخشية
لله واعظامه في السر والعلانية وغيرهم يتلون من الكبائر والقبائح
والفواحش ما تكون بالاضافة اليه هذه الهنات في حقه كالحسنات كما
قيل حسنات الابرار سيئات المقربين اي يرونها بالاضافة الى علي احوالهم
كالسيئات وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة
كيفما كانت من سهو او تاويل فهي مخالفة وترك وقوله غوى اي جهل ان تلك
الشجرة هي التي نهي عنها والغي الجهل وقيل اخطا ما طلب من الخلود اذ
اكلها وخاب امنيته وهذا يوسف عليه السلام قد اوخذ بقوله لاحد

صاحبي

صاحبي السجن اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في
السجن بضع سنين قيل انثى يوسف ذكر الله وقيل انسى صاحبه ان يذكره
لسيده الملك قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث
في السجن ما لبث قال بن ديناز لما قال ذلك يوسف قيل له اتحزن من
دوني وكيلا لاطيلن حبسك قال يارب انسى قلبي كثرة البلوى
وقال بعضهم يواخذ الانبياء بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويجاوز عن سائر
الخلق لقلة ميالاتهم في اضعاف ما اتوا به من سوء الادب وقد
قال المحتج للفرقة الاولى على سياق ما قلناه اذا كان الانبياء يواخذون
بهذا مما لا يواخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم
ارفع فحالهم اذا في هذا اسوأ حالا من غيرهم فاعلم اكرمك الله انا
لا نثبت لك المواخذة في هذا على حد مواخذة غيرهم بل نقول انهم يواخذون
بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم ويبتلون بذلك
ليكون استشعارهم له سببا لمماة ربهم كما قال ثم اجتباه ربه فتاب
عليه وهدى وقال لداود فغفرنا له ذلك الاية وقال بعد قول
موسى تبت اليك اني اصطفيتك على الناس وقال بعد ذكر

شبكة الألوكة www.alukah.net

فتنة سليمان وانابته فتخر اله الركع الي وحسن مآب قال بعض المتكلمين
زلات الانبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف واشار
الي نحو مما قدمناه وايضا فليتنبه غيرهم من البشر منهم او ممن ليس في
درجتهم مواخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة
ليلتزموا الشكر على النعمة ويعدوا الصبر على المحن ملاحظة ما وقع باهل
هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف من سواهم ولهذا قال صالح المري
ذكر داود ليسطه للتوابين قال بن عطاء لم يكن مما نص الله من
قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن استزادة من نبينا عليه السلام
وايضا فيقال لهم فانكم ومن وافقكم يقولون بغفران الصغائر
باجتناب الكبائر ولا خلاف بعصمة الانبياء من الكبائر فما جوزتم من
وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة على هذا فما معنى المواخذة بها اداعندكم
وخوف الانبياء وتوبتهم منها وهي مغفورة لو كانت فما اجابوا به فهو جوابنا
عن المواخذة بافعال السهو والتاويل وقد قيل ان كثرة استغفار
النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من الانبياء على وجه ملازمة
الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله على نعمه كما قال
عليه

عليه السلام وقد امن من المواخذة بما تقدم وتاخر فلا اكون عبدا
شكورا وقال اني اخشاكم لله واعلمكم بما اتقي قال الحرث بن اسد
خوف الملائكة والانبياء خوف اعظام وتعبد لله لانهم امنون وقيل
فعلوا ذلك ليقتدي بهم ويستن بسنتهم كما قال عليه السلام
لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وايضا فان في التوبة والاستغفار
معنى اخر لطيفا اشار اليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله قال
الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فاحدث الرسل والانبياء
الاستغفار والتوبة والانابة والاوبة في كل حين استدعاء لمحبة الله
والاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
بعد ان غفر له ما تقدم وتاخر من ذنبه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار الاية وقال فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا

فصل قد استبان لك ايها الناظر مما قررناه ما هو الحق
من عصمته عليه السلام عن الجهل بالله وصفاته او كونه على حالة تنافي
العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا
ونقلا ولا بشيء مما قرره من امور الشرع واداه عن ربه من الوحي قطعا

شبكة الألوكة www.alukah.net

عقلا وشرعا وعصمته عن الكذب وخلف القول من نبأه الله وأرسله
قصدا أو غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا
وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكبائر اجماعا وعن الصغائر
تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان
عليه فيما شرعه للأمة وعصمته في كل حالاته من رضى وغضب وجد
ومزح فيجب عليك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين وتقدر
هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم فايدتها وخطرها فان من يجهل
ما يجب للنبي أو يجوز أو يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه لا يأمن
ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجب أن يضاف اليه
فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الأسفل من النار اذ ظن
الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل صاحبه دار البوار وهذا ما
احاط عليه السلام على الرجلين اللذين رآياه ليلا وهو معتكف في المسجد
مع صفية فقال لهما انها صفية ثم قال لهما ان الشيطان يجري من ابن آدم
مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيئا فتهلكا هذه اكرمك
الله احدى فوايد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول ولعل جاهلا لا يعلم جهله

اذا سمع شيئا منها يرى ان الكلام فيها جملة من فضول العلم وان السلوك أولى
وقد استبان لك انه متعين للفايدة التي ذكرناها وفايدة ثانيه يضطر اليها
في أصول الفقه وتبنى عليها مسايل لا تعد من الفقه وتخلص بها تشعيب مختلفي
الفقهاء في عدة منها وهي الحكم في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله
وهو باب عظيم وأصل كبير من أصول الفقه ولا بد من بنايه على صدق
النبي في اخباره وبلاغه وانه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة في
افعاله عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغاير وقع خلاف في امتثال الفعل
بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به وفايدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم والمفتي
فيمن اضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من هذه الامور ووصفه بها فمن
لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف كيف يصمم في الفتيا
في ذلك ومن اين يدري هل ما قاله فيه نقص أو مدح وأما ان يجرى على سفك
دم مسلم حرام أو يسقط حقا ويضيع حرمة للنبي صلى الله عليه وسلم وتسبيل
هذا ما قد اختلف ارباب الاصول وايمة العلماء والمحققين في عصمة الملايكة

فصل في القول في عصمة الملايكة اجمع المسلمون ان
الملايكة مؤمنون فضلاء واتفق ايمة المسلمين ان حكم المرسلين منهم

حكم النبيين سواء في العصمة فيما ذكرنا عصمتهم منه وانهم في حقوق الانبياء
والتبليغ اليهم كالانبياء مع الامم واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طايفة
الى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون وبقوله وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون
وانا لنحن المسبحون وبقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون
الاية وبقوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته الاية وقوله
كرام برره ولا يمسه الا المطهرون ونحوه من السمعيات وذهبت طايفة الى
ان هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا باشياء ذكرها اهل
الاخبار والتفاسير نحن نذكرها ان شا الله بعد وبين الوجه فيها ان شا الله
والصواب عصمة جميعهم وتنزيه بصايرهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبهم وينزلهم
عن جليل مقدارهم ورايت بعض شيوخنا اشار الاجاجة بالفقيه الى الكلام
في عصمتهم وانا اقول ان للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة الانبياء من الفوايد
التي ذكرناها سوى فايدة الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة هاهنا فما
احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها
اهل الاخبار ونقلة المفسرين وما روي عن علي وبن عباس في خبرهما

وابتلايهما فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها شي لا صحيح ولا
سقيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيا يوخذ بقياس والذي
منه في القران اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من
السلف كما سنذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود وافراههم كما نصه الله اول
الايات من افترايهم ذلك على سليمان وتكفيرهم اياه وقد انطوت العصة على
شنع عظيمة وها نحن نحرر في ذلك ما يكشف غطاها هذه الاشكالات ان شا الله
فاختلف اولا في هاروت وماروت هل هما ملكان او انسيان وهل
هما المراد بالملكين ام لا وهل القراة ملكين او ملكين وهل ما في قوله وما
انزل وما يعلمان من احد ما فيه او موجبه فاكثر المفسرين ان الله امتحن
الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه
امن قال الله تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم انذار
اي يقولان لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه
ولا تحتالوا بكذا فانه سحر فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة
وتصريحهما فيما امر به ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة وروي بن وهب
عن خالد بن ابي عمران الله ذكر عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان

السحر فقال نحن نترهما عن هذا فقرأ بعضهم وما انزل على الملكين فقال
حاله لم ينزل عليهما هذا حال دل على جلالته وعلم تنزههما عن تعليم السحر الذي
قد ذكر غيره انهما ماذون لهما في تعلمه بشريطة ان يبينا انه كفر وانه
امتحان من الله وابتلاء فكيف لا ينزههما عن كبائر المعاصي والكفر المذكور في
تلك الاخبار وقول حال لم ينزل ينزلان ما نافية وهو قول ابن عباس قال
مكي وتقدير الكلام وما كفر سليمان يريد بالسحر الذي افتعلته عليه
الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهود وما انزل على الملكين قال مكي
هما جبريل وميكايل ادعا اليهود عليهما المجيء به كما ادعوا على سليمان فاكذبهم
الله في ذلك ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر بابل هاروت وماروت
قيل هما رجلان تعلماه قال الحسن هاروت وماروت علجان من اهل بابل
وقرأ وما انزل على الملكين بكسر اللام وتكون ما نافية ايجابا على هذا وكذلك
يقرأه عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا داود
وسليمان وتكون ما نافية على ما تقدم وقيل كانا ملكين من بني اسرائيل
فسخهما الله حكاه السمرقندي والقراءة بكسر اللام شاذة فتحمل الاية على
تقدير اي محمد مكي حسن ينزه الملكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم

تطهيرا وقد وصفهم الله بانهم مطهرون وكرام برره ولا يعصون الله
ما امرهم وممن يذكرونه قصة ابليس وانه كان من الملائكة وريسيا
فيهم ومن خزان الجنة الى اخر ما حكوه وانه استثناه من الملائكة بقوله
فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه
ابو الجن كما ادم ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال
شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردتهم الملائكة في الارض حين
افسدوا والاستثناء من غير الجنس شايع في كلام العرب شايع وقد قال
الله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن ومما رووه في الاخبار ان
خلقا من الملائكة عصوا الله فحرقوا وامروا ان يسجدوا لادم فابوا فحرقوا
ثم اخرون كذلك حتى سجد له من ذكر الله الا ابليس في اخبار لا اصل
لها ترددها صحاح الاخبار فلا يشتغل بها

الباب الثاني

فيما خصهم من الامور النبوية وتطهرا عليهم من العوارض البشرية

قد قدمنا الله عليه السلام وسايد الانبيآء والرسل من البشر وان جسمه
وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الآفات والتغيرات والالام والاسقام
وجرع كاس الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه
لان الشيء انما يسمى ناقصا بالاضافة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه وقد
كتب الله على اهل هذه الدار فيها يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون
وخلق جميع البشر بمدرجة الغير فقد مرض عليه السلام واشتكى واصابه
الحر والقر وادركه الجوع والعطش ولحقه الغضب والضجر وناله
الاعياء والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط فخمش شقه
وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم
وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق
الاعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر التي
لا محيص عنها واصاب عينه من الانبياء ما هو اعظم منها فقتلوا قتلا
ورموا في النار ووشروا بالمناشير ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض
الاوقات ومنهم من عصمه كما عصم بعد بيننا من الناس فلئن لم يكف
بيننا ربه يا ابن قتيبة يوم احد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته

اهل الطايف فلقد اخذ على عيون قريش عند خروجه الى ثور وامسك
عنه سيف عوذ ثب وحجز ابي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر
بن الاعصم فلقد وقاه ما هو اعظم من سم اليهودية وهكذا سايد انبيايه
مبتلى ومعافا وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات
ويبين امرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع الالتباس
عن اهل الضعف فيهم لئلا يضلوا مما يظهر من العجايب على ايديهم ضلال
النصارى بعيسى وليكون في محنهم تسلية لامهم ووفور لاجورهم عند
ربهم تماما على الذي احسن اليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارى والتغيرات
المذكورة انما تخص باجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة
بني ادم لمشاكلة الجنس واما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة
منه متعلقة بالملاء الاعلى والملايكة لاخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم
قال وقد قال عليه السلام ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال اني لست
كهيتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني وقال لست انسى ولكن انسى ليستن
بي فاخبر ان سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره وان الافات
التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شيء باطنه بخلاف غيره

من البشر في حكم الباطن لأن غيره اذا نام استغرق النوم حسمه وقلبه وهو
عليه السلام في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض
الآثار انه كان محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظانا كما ذكرناه
وكذلك غيره اذا جاع ضعف لذلك جسمه وحارت قوته فبطلت الكلية جملته
وهو عليه السلام قد اخبر انه لا يعتريه ذلك وانه بخلافهم لقوله لست
كهيئتكم اني أبيت يطعمني ربي ويسقيني وكذلك اقول انه في هذه الاحوال
كلها من وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به
ولا فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر مما
ناخذ بعد بيانه فصل فان قلت فقد جاء الاحاد الصحيحة
انه عليه السلام سحر كما حدثنا الشيخ ابو محمد العتابي بقراءتي عليه حدثنا
حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن علي بن خلف حدثنا محمد بن احمد حدثنا
محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا عبيد بن اسمعيل حدثنا ابو اسامة عن هشام
بن عروة عن ابيه عن عائشة قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله وفي رواية اخرى حتى كان يخيل اليه
انه كان ياتي النساء ولا ياتهن الحديث واذا كان هذا من التباس الامر على

المسحور فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وكيف جاز عليه وهو
معصوم فاعلم وفقنا الله واياك ان هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد
طعنت به الملحدة وتذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على امثالها الى التشكيك
في الشرع وقد نزه الله تعالى الشرع والنبي عما يدخل في امره لبسا وانما السحر
مرض من الامراض وعارض من العلل يجوز عليه كانواع الامراض مما لا ينكر
ولا يقدح في نبوته واما ما ورد انه كان يخيل اليه انه فعل الشيء ولا يفعله
فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه او شريعته او يقدح
في صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا وانما هذا فيما يجوز
طروه عليه في امر دنياه التي لم يبعث بسببها ولا افضل من اجلها وهو فيها
عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد ان يخيل اليه من امورها ما لا حقيقة له
ثم ينجلي عنه كما كان وايضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الاخر من قوله حتى
يخيل اليه انه ياتي اهله ولا ياتيهن وقد قال سفيان وهذا اشد ما يكون من
السحر ولم يات في خبر منها انه نقل عنه في ذلك قول يخالف ما كان اخبر
انه فعله ولم يفعله وانما كانت خواطر وتخيلات وقد قيل ان المراد بالحديث
انه كان يتخيل الشيء انه فعله وما فعله لكنه تخيل لا يعتقد صحته فكون

اعتقادانه كلها على السداد واقواله على الصحة هذا ما وقفت عليه لائمتنا
من الاجوبة عن هذا الحديث مع ما اوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا
من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في هذا الحديث تاويل
اجلى وابعد من مضاعن ذوي الاضاليل مستفاد من نفس الحديث وهو
ان عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير
وقال فيه عنهما سحر يهودي زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه
في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينكر بصره ثم دله
الله على ما صنعوا فاستخرجه من البئر وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى
بن يعمر حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عايشة سنة فبينا هو
نايم اتاه ملكان فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه الحديث
قال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عايشة خاصة سنة
حتى انكر بصره فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات ان السحر انما
تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وانه انما اثر
في بصره وجلسه عن وطيء نسائه ويكون معنى قوله تخيل اليه انه ياتي
اهله ولا ياتيهن اي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء

فادا

فاذا دنا منهن اصابته اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن كما يعتري من اخذ
واعترض ولعله لمثل هذا اشار سفيان بقوله وهذا اشد ما يكون من
السحر ويكون قول عايشة في الرواية الاخرى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء
وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن انه راى شخصا من
بعض ازواجه او شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه في
بصره وضعف نظره لشيء طرا عليه في عينه واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر
من اصابة السحر له وتاثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض انسا

فصل هذه حاله في جسمه فاما احواله في امور الدنيا فنحن
نسردها على اسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل اما العقد منها فقد
نعتقد في امور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه او يكون منه على شك
او ظن بخلاف امور الشرع كما حدثنا ابو بحر سفيان بن العاصي وغير واحد سماعا
وقراءة قالوا حدثنا ابو العباس احمد بن عمر حدثنا ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد
بن عمرويه حدثنا بن سفيان حدثنا مسلم حدثنا عبد الله بن الرومي وعباس
العنبري واحمد المعقري قالوا حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة حدثنا ابو النجاشي
قال حدثنا رافع بن خديج قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم

يأبرون النخل فقال ما تصنعون فقالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان
خيرا فتركوه فنفضت فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر اذا امرتكم بشيء من
دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشيء من رايي فانما انا بشر وفي رواية انس
انتم اعلم بامر دنياكم وفي حديث اخر انما ظننت ظنا فلا تواخذوني بالظن وفي
حديث ابن عباس في قصة الحرض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا
بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فانما انا بشر اخطيء
واصيب وهذا على ما قررناه في ما قاله من قبل نفسه في امور الدنيا وظنه
من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة سنها
وكما جاء في ابن اسحق انه عليه السلام لما نزل بادي مياه بدر قال له الحباب بن
المنذر اهذا منزل انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه ام هو الراي والحرب
والمكيدة قال لا بل هو الراي والحرب والمكيدة قال فانه ليس بمنزل انهض
حتى ناتي ادنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب فنشرب ولا
يشربون فقال اشرت بالراي وفعل ما قاله وقد قال له الله وشاورهم في
الامر واراد مصالحة بعض عدوه على ثلث ثمر المدينة فاستشار الانصار فلما
اخبروه برايهم رجع عنه فمثل هذا واشباهه من امور الدنيا التي لا مدخل
فيها

فيها لعلم دنياه ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرنا اذ ليس في
هذا كله بقيصة ولا محطة وانما هي امور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها
همه وشغل نفسه بها والنبي صلى الله عليه وسلم مشغول القلب بمعرفة الربوبية
ملآن الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الامة الدينية والدنيوية ولكن
هذا انما يكون في بعض الامور يجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في
حراسة الدنيا واستيمارها لا في الكثير الموذن بالبلة والغفلة وقد تواتر النقل
عنه عليه السلام من المعرفة بامور الدنيا ودقايق مصالحها وسياسة فرق
اهلها ما هو معجز في البشر مما قدمنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب

فصل واما ما يعتقد في امور احكام البشر الجارية على يديه
وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد فهذه السبيل
لقوله عليه السلام انما انا بشر وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون
الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع فمن قضيت له من حق اخيه بشيء
فلا ياخذ منه شيئا فانما اقطع له قطعة من النار حدثنا الفقيه ابو الوليد رحمه الله
حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا ابو عمر حدثنا ابو محمد حدثنا ابو بكر حدثنا
ابو داود حدثنا محمد بن كثير اخبرنا سفيان عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب

بنت ام سلمة عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث
وفي رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب انه
صادق فاقضي له وبحري احكامه عليه السلام على الظاهر وموجب غلبات
الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة الاشبه ومعرفة العفاص
والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك فانه تعالى لو شاء لاطلعه على سرائر
عباده ومخبآت ضمائر امته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون
حاجة الى اعتراف او بينة او يمين او شبهة ولكن لما امر الله امته
باتباعه والاقتداء به في افعاله واحواله وقضاياه وسيره وكان هذا لو
كان مما اختص بعلمه ويوثره الله به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به في شيء
من ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لاحد في شريعته لانا لا نعلم ما
اطلع عليه هو في تلك القضية لحكمه هو اداء اني ذلك بالمكنون من اعلام
الله له بما اطلعه عليه من سرائرهم وهذا ما لا تعلمه الامة فاجرى الله احكامه
على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء امته به
في تعيين قضاياه وتنزيل احكامه ويأتون ما اتوا من ذلك على علم ويقين
من سنته اذ البيان بالفعل اوقع منه بالقول وارفع لاحتمال اللفظ وتاويل

المتأول وكان حكمه على الظاهر اجلى في البيان واوضح في وجوه الاحكام
واكثر فايدة لوجبات التشاجر والخصام وليقتدي بذلك كله حكام امته
ويستوسق بما يوثر عنه وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه من علم
الغيب الذي استاثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى
من رسول فيعلمه منه بما شاء ويستاثر بما شاء ولا يقدح هذا في نبوته
ولا يفصم عروة من عصمته فصل واما اقواله الدنيوية من
اخباره عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله فقد قدمنا ان الخلف
في هذا ممتنع عليه في كل حال وعلى اي وجه من عمد او سهو او صحة
او مرض او رضى او غضب وانه معصوم منه صلى الله عليه وسلم هذا فيما
طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب فاما المعاريض الموهمة
ظاهرها خلاف باطنها فجايز ورودها منه في الامور الدنيوية لا سيما القصد
المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه ليلا يأخذ العدو حذره وكما روي من مزاحته
ودعابته لبسط امته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وناكيد اني تحنيثهم
ومسرة نفوسهم كقوله لاحملنك على ابن الناقة وقوله للمراة التي سالته عن زوجها
اهو الذي بعينه بياض وهذا كله صدق لان كل جمل بن ناقة وكل

انسان بعينه بياض وقد قال عليه السلام اني لامزح ولا اقول الا حقا
هذا كله فيما بابه الخبر فاما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر والنهي في
الامور الدينية فلا يصح منه ايضا ولا يجوز عليه ان يامر احدا بشيء او ينهى احدا
عن شيء وهو يبطن خلافه وقد قال عليه السلام ما كان لنبي ان تكون له
خائنة الاعين فكيف ان يكون له خيانة قلب فان قلت فما معنى اذ اقوله تعالى
في قصة زيد واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك
الاية فاعلم اكرمك الله ولا تشتغل بما في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم
عن هذا الظاهر وان يامر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر
عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا ما حكاه اهل التفسير عن علي بن
حسين ان الله تعالى كان اعلم نبيه ان زينب ستكون من ازواجه
فلما شكاها اليه زيد قال له امسك عليك زوجك واتق الله واخفى منه في
نفسه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام
التزويج وطلاق زيد لها وروي نحوه عمرو بن فايد عن الزهري قال نزل جبريل
على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه ان الله يزوجه زينب بنت جحش وذلك الذي
اخفى في نفسه ويصحح هذا قول المفسرين في قوله بعد هذا وكان امر الله مفعولا

اى لابد لك ان تتزوجها ويوضح هذا ان الله لم يبد من امره معها غير زواجه
لها فدل انه الذي اخفاه عليه السلام مما كان اعلمه به تعالى وقوله تعالى
في القصة ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله الاية فدل
انه لم يكن عليه حرج في الامر قال الطبري ما كان الله ليوثم نبيه فيما
احل مثال فعله لمن قبله من الرسل قال الله سنة الله في الذين خلوا من
قبل اي من النبيين فيما احل لهم ولو كان على ما روي في حديث قتادة
من وقوعها من قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند ما اعجبته ومحبته طلاق
زيد لها لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما نهي عنه من
زهرة الحياة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا
يتسم به الاتقياء فكيف سيد الانبياء قال القشيري وهذا اقدام عظيم
من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف
يقال رآها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء
يحتجبن منه عليه السلام وهو زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق زيد لها
وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال سنته
كما قال ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال ليلا يكون على المؤمنين

خرج في ازواج ادعيائهم ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندي فان قيل
فما الفايدة في امر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها فهو ان الله اعلم نبيه
انها زوجته فنهاه النبي عن طلاقها اذ لم تكن بينهما الفة واخفى في نفسه ما
اعلمه الله به فلما طلقها زيد حتى قول الناس تزوج امراة ابنه فامره الله
بزواجها ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين
حرج في ازواج ادعيائهم وقد قيل كان امره لزيد بامساكها قبل النهي
ورد النفس عن هواها وهذا اذا جوزنا عليه انه راها فجاءة واستحسنها
ومثل هذا لا يكره فيه لما طبع عليه ابن ادم من استحسانه للحسن ونظره الفجاءة
معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها وانما انكر تلك الزيادات
التي في القصة والتعويل والاولى ما ذكرنا عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي
وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه القاضي القشيري وعليه عول ابو بكر
بن فورك وقال انه معنى ذلك عند المحققين من اهل التفسير قال والنبي صلى الله
عليه وسلم منزه من استعمال النفاق في ذلك واظهار خلاف ما في نفسه
وقد نزهه الله عن ذلك بقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له
وقال من ظن ذلك بالنبي فقد اخطا قال وليس معنى الخشية هنا الخوف وانما معناه

الاستحياء اي يستحي منهم ان يقولوا تزوج زوجة ابنه وان خشيته عليه
السلام من الناس كانت من ارجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين
بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلايل الابناء كما كان فعتبه
الله على هذا ونزهه عن الالتفات اليهم فيما احله لهم كما عتبه على مراعاة
رضى ازواجه في سورة التحريم بقوله لم تحرم ما احل الله لك الاية كذلك
قوله ها هنا وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وقد روي عن الحسن
وعايشة لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه الاية
لما فيها من عتبه وابداء ما اخفاه فصل فان قلت
قد تقرر عصمته عليه السلام في اقواله في جميع احواله وانه لا يصح منه
فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد
ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث في وصيته عليه
السلام الذي حدثناه القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله حدثنا القاضي
ابو الوليد قال حدثنا ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو الهيثم وابو اسحق قالوا
حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا علي بن عبد الله حدثنا عبد الرزاق
اخبرنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال لما حضر

شبكة الألوكة www.alukah.net

رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّم وَفي البيت رِجال فقال النبي صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّم
هَلُموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم ان رسول الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّم
قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ائتوني اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي ابدا
فتنازعوا فقالوا ما له اهجر استفهموه فقال دعوني فان الذي انا فيه خير
وفي بعض طرقه ان النبي صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّم يهجر وفي رواية هجر ويروى
اهجر ويروى اهجرا وفيه فقال عمر ان النبي صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّم قد اشتد
به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي
رواية واختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله
صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر قال ايمتنا في هذا
الحديث النبي صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّم غير معصوم من الامراض وما يكون
من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرا على جسمه معصوم ان
يكون منه من القول اثناء ذلك ما يطعن في معجزته ويودي الى فساد في
شريعته من هذيان او اختلال في كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى
في الحديث هجرا اذ معناه هذي يقال هجر يهجر هجرا اذا هذى واهجر هجرا اذا
افحش واهجر تعدية هجر وانما الاصح والاولى اهجر على طريق الانكار على من

قال لا يكتب وهكذا رواينا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة
في حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن بن عيينة وكذا
ضبطه الاصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق وكذا رويناه عن
مسلم في حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر
على حذف الف الاستفهام والتقدير اهجرا وان تحمل قول القايل هجرا او
اهجر دهشة من قايل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول
صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّم وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه
والامر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القايل لفظه واجرى الهجر
مجرى شدة الوجع لانه اعتقد انه يجوز عليه الهجر كما حملهم الاشفاق على
حراسته والله يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا واما على
رواية من روى اهجرا وهي رواية ابي اسحق المستملي في الصحيح في حديث
ابن جبير عن بن عباس من روايه قتيبة فقد يكون راجعا الى المختلفين
عنده صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّم ومخاطبة لهم من بعضهم اي حيثم باختلافكم
على رسول الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر
بضم الهاء الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث

وكيف اختلفوا بعد أمره لهم عليه السلام أن يأتوه بالكتاب فقال بعضهم أو أمر
النبي صلى الله عليه وسلم يفهم إياهما من ندبهما من إباحتها بقرائن فلعل
قد ظهر من قرائن قوله عليه السلام لبعضهم ما فهموا أنه لم يكن منه عزمة
بل أمر رده إلى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما
اختلفوا كف عنه إذ لم تكن عزمة ولما رأوه من صواب رأي عمر ثم هؤلاء
قالوا أو يكون امتناع عمر إما إشفاقا على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه
في تلك الحال املاء الكتاب وأن تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال إن
التي اشتد به الوجع وقيل خشي عمر أن تكتب أمورا يعجزون عنها فيحصلون
في الحرج بالمخالفة ورأي أن الأرفق بالأمة في تلك الأمور سعة الاجتهاد
وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطئ ماجورا وقد
علم عمر بتقرر الشرع وتأسيس الملة وإن الله قال اليوم أكملت لكم
دينكم وقوله عليه السلام أوصيكم بكتاب الله وعترتي وقول عمر
حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على أمر النبي صلى الله عليه وسلم
وقد قيل إن عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب في
ذلك الكتاب في الخلوة وإن يقولوا في ذلك الأقاويل كدعاء الرافضة الوصية

وغير ذلك وقالت طائفة أخرى أن معنى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لأنه ابتدا بالأمر به بل اقتضاه منه
بعض أصحابه فأجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل
في مثل هذه القصة بقول العباس لعلي انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم إن كان الأمر فينا علمناه وكراهة علي هذا وقوله والله لا أفعل
الحديث واستدل بقوله دعوني فإن الذي أنا فيه أي الذي أنا فيه خير
من ارتسام الأمر وتركتكم وكتاب الله وإن دعوني مما طلبتم ودكر ان الذي
طلب كتابة أمر الخلافة بعده وتعيين ذلك فصل
فإن قيل فما وجه حديثه أيضا الذي حدثناه الفقيه أبو محمد الخشني
بقرأتي عليه حدثنا أبو علي الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا
أبو أحمد الجلودي حدثنا ابرهيم بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا
قتيبة حدثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد عن سالم مولى النصريين قال
سمعت أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم
إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وإني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه
فأيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها

إليك يوم القيمة وفي رواية فأيما أحد دعوت عليه دعوة في رواية ليس
لها بأهل وفي رواية فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته
فاجعلها له زكاة وصلاة ورحمة وكيف يصح أن يلعن النبي صلى الله عليه وسلم
من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد
أو يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله فاعلم
شرح الله صدرك أن قوله أولا ليس لها بأهل أي عندك يا رب في باطن
أمره فإن حكمه عليه السلام على الظاهر كما قال والحكمة التي ذكرناها
فحكم عليه السلام بجلده وأدبه بسببه أو لعنه بما اقتضاه عنده حال
ظاهره ثم دعا عليه السلام لشفقته على أمته ورأفته ورحمته للمؤمنين
التي وصفه الله بها وحذره أن يتقبل في من دعا عليه دعوته أن تجعل
دعاءه عليه وفعله له رحمة فهو معنى قوله ليس لها بأهل لأنه عليه السلام
يحمله الغضب ويستفزه الضجر لأن يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم
وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله أغضب كما يغضب البشر أن الغضب حمله
على ما لا يجب بل يجوز أن يكون المراد بهذا أن الغضب لله حمله على معاقبته
بلعنته أو سبه وأنه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه أو كان مما جوز له المعاقبة
فيه أو العفو عنه وقد يحمل أنه خرج مخرج الإشفاق وتعليم أمته الخوف والحذر
من تعدي حدود الله وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن دعواته على غير واحد
في غير موطن على غير العمد والقصد بل بما جرت به عادة العرب وليس المراد
بها الإجابة كقوله تربت يمينك ولا أشبع الله بطنك وعقري حلقي
وغيرها من دعواته وقد ورد في صفته في غير حديث أنه عليه السلام لم يكن
فحاشا ولا قال لأنس لم تكن سبابا ولا فاحشا ولا لعانا وكان يقول لأحدنا
عند الغضب ماله ترب جبينه فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ثم أشفق
عليه السلام من موافقة أمثالها إجابة فعاهد ربه كما قال في الحديث
أن يجعل ذلك للمقول له زكاة ورحمة وقربة وقد يكون ذلك إشفاقا على
المدعو عليه وتأنيسا له لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر من لعن النبي
صلى الله عليه وسلم وتقبل دعاءه ما يحمله على اليأس والقنوط وقد يكون
ذلك سؤالا لأمته لربه لمن جلده أو سبه على حق وبوجه صحيح أن تجعل
ذلك له كفارة لما أصاب وتحية لما أحرم وأن تكون عقوبته له في الدنيا
سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث الآخر ومن أصاب من ذلك شيئا
فعوقب فهو له كفارة فإن قلت فما معنى حديث الزبير وقول النبي صلى الله

عليه وسلم له حين تخاصمه مع الأنصاري في شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ
الكعبين فقال له الأنصاري أن كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر
الحديث فالجواب أن النبي صلى الله عليه وسلم منزه أن ينفع بنفس مسلم منه
في هذه القصة أمر يريب ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير أولا
إلى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك الآخر
ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه وهذا ترجم
البخاري على هذا الحديث باب إذا أشار الإمام بالصلح فأبى حكم عليه بالحكم وذكر
في آخر الحديث فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ حقه للزبير
وقد جعل المسلمون هذا الحديث أصلا في قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله
عليه وسلم في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه وإنه وإن نهي أن يقضي
القاضي وهو غضبان فإنه في حكمه في حال الغضب والرضى سواء لكونه
فيهما معصوما وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا إنما كان لله تعالى
لا لنفسه كما جاء في الحديث الصحيح وكذلك الحديث في إفادته عائشة من
نفسه لم يكن لتعمد حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه أن عائشة

الفتح مسئل الدارقطني والحرة وهي أرض ذات حجارة سود
وفي الحاوي والحرة ملك لبني سليم موضع معروف له ذكر واحد الحرار والحرة
السمان وغيره ٥

قال له وضربني بالقضيب فلا أدري أعمدا أم أردت ضرب الناقة فقال النبي
صلى الله عليه وسلم أعيذك يا عكاشة أن يتعمدك رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكذلك في حديثه للأخر مع الأعرابي حين طلب عليه السلام
القصاص منه فقال الأعرابي قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم
قد ضربه بالسوط ليعلفه برمام ناقته مرة بعد أخرى والنبي صلى الله عليه وسلم
ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو يأبى فضربه بعد ثلاث مرات وهذا
منه عليه السلام لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع أدب لكنه عليه السلام
أشفق إذ كان حق نفسه من الأمر حتى عفا عنه وأما حديث سواد بن عمرو
أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا متخلق فقال ورش ورش حط حط وغمزني
بقضيب في يده في بطني فأوجعني قلت القصاص يا رسول الله فكشف لي
عن بطنه إنما ضربه عليه السلام لمنكر رآه ولعله لم يرد بضربه بالقضيب
الا تنبيهه فلما كان منه إلحاح لم يقصده طلب التحلل منه على ما قدمناه

فصل وأما أفعاله عليه السلام الدنيوية فحكمه فيها
من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه ومن جواز السهو والغلط في
بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة على أن هذا فيها على الندور

إدعامة أفعاله على السداد والصواب بل أكثرها أو كلها جارية مجرى العبادات
والقرب على ما بيناه إذ كان عليه السلام لا يأخذ منها لنفسه إلا ضرورته وما يقيم
رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس أمته
وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فبين معروف يصنعه أو بر يوسعه
أو كلام حسن يقوله أو يسمعه أو تأليف شارد أو قهر معاند أو مداراة حاسد
وكل هذا لا حق بصالح أعماله مستطرف في زاكي وظايف عاداته وقد كان
يخالف في أفعاله الدنيوية بحسب أحلى الأحوال ويعدل الأمور أشباهها
فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي أسفاره الراحلة ويركب البغلة في معارك
الحرب دليلا على الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع وإجابة الصارخ
وكذلك في لباسه وسائر أحواله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح أمته
وكذلك بنعل النعل من أمور الدنيا مساعدة لأمته وسياسة وكراهية
لخلافها وإن كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك النعل لهذا وقد يرى نعله
خيرا منه وقد يفعل هذا في الأمور الدينية مما له الخيرة في أحد وجهيه كخروجه
من المدينة لأحد وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو على
يقين من أمرهم موالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قراباتهم وكراهة لأن

يقول الناس إن محمدا يقتل أصحابه كما جاء في الحديث وتركه بناء الكعبة على
قواعد إبراهيم مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفاد
قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين وأهله فقال لعايشة في الحديث
الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد إبراهيم ويفعل
الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كاستقباله من أدنى مياه بدر إلى أقربها
للعدو من قريش وكقوله لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت
الهدي وبسط وجهه للكافر والعدو رجاء استيلافه ويصبر للجاهل ويقول إن
من شر الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغايب ليحبب إليه شريعته
ودين ربه ويتولى في منزله ما يتولاه الخادم من مهنته ويتسمت في ملأه حتى
لا يبدو منه شيء من أطرافه وحتى كأن على رؤوس جلسايه الطير ويتحدث
مع جلسايه بحديث أولهم وسيحب مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه
قد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق ولا
يبطن على جلسايه يقول ما كان لنبي أن يكون له خاينة الأعين فإن
قلت فما معنى قوله لعايشة في الداخل عليه بيس ابن العشيرة فلما دخل ألان له
القول وضحك معه فلما سألته عن ذلك قال إن شر الناس من اتقاه الناس

لشره وكيف جاز أن يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال فالجواب
إن فعله عليه السلام كان استيلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن إيمانه ويدخل
في الاسلام بسببه أتباعه وبراه مثله فيجذب بذلك إلى الإسلام ومثل هذا
على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا إلى السياسة الدينية وقد كان
يسألهم بأموال الله العرضية فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان لقد أعطاني
وهو أبغض الخلق إلي فما زال يعطيني حتى صار أحب الخلق إلي وقوله فيه بئس
ابن العشيرة هو غير عيب بل هو تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله
ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعا متبوعا ومثل
هذا إذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان جائزا بل واجبا في
بعض الأحيان كعادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين في الشهود فإن
قيل فما معنى المعضل الوارد في حديث بريرة من قوله عليه السلام لعائشة
وقد أخبرته أن موالي بريرة أبوا بيعها إلا أن يكون لهم الولاء فقال لها
عليه السلام اشتريها واشترطي لهم الولاء ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال
أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله كل شرط ليس في كتاب الله
فهو باطل والنبي صلى الله عليه وسلم قد أمرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولاءه
والله

والله أعلم لما باعوها من عائشة كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها
ثم أبطله عليه السلام وهو قد حرم الغش والخديعة فاعلم أكرمك الله
أن النبي صلى الله عليه وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا وليتره
النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ما قد أنكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي
لهم الولاء إذ ليست في أكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها
إذ سع لهم معنى عليهم قال الله تعالى أولئك لهم اللعنة وقال وإن أسأتم
فلها فعلى هذا اشترطي عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم
ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء لأنفسهم قبل ذلك ووجه ثان أن
قوله عليه السلام اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الأمر لكن على معنى
التسوية والإعلام بأن شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي لهم قبل أن الولاء
لمن أعتق فكأنه قال اشترطي أو لا تشترطي فإنه شرط غير نافع وإلى هذا
ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم وتقريعهم على
ذلك يدل على علمهم به قبل هذا الوجه الثالث أن معنى قوله اشترطي لهم
الولاء إنما هو لمن أعتق ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم مبينا ذلك
ومنبها على مخالفة ما تقدم منه فيه فإن قيل فما معنى فعل يوسف عليه السلام

أي ظهر لهم حكمه في أن الولاء لمن أعتق

ناجيه إذ جعل السقاية في رحله واخذه باشم سرقتها وما جرى على اخوته في
ذلك وقوله إنكم لسارقون ولم يشعروا فاعلم اكرمك الله ان الآية تدل ان
فعل يوسف كان عن امر الله لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ
أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله الآية فإذا كان ذلك فلا اعتراض به كان
فيه ما فيه وايضا فإن يوسف كان أعلم أخاه بأني أنا أخوك فلا تبتئس فكان
ما جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وإزاحة
السوء والمضرة عنه بذلك وأما قوله أيتها العير إنكم لسارقون فليس من
قول يوسف فيلزم عليه جواب لجل شبهة ولعل قائله إن حسن له التأويل
كأيا من كان ظن على صورة الحال ذلك وقد قيل قال ذلك لعلهم قبل
يوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم ان يقول الانبياء ما لم يأت انهم قالوه
حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم

فصل فإن قيل فما الحكمة في اجراء الامراض وشدتها
عليه وعلى غيره من الانبياء على جميعهم السلام وما الوجه فيما ابتلاهم الله به
من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كأيوب ويعقوب وداود وزكريا ويحيى
وعيسى وابراهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله عليهم وهم

خيرته من خلقه واحباؤه واصفياؤه فاعلم وفقنا الله وإياك ان افعال
الله تعالى كلها عدل وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال
لهم لننظر كيف تعملون وليبلوكم أيكم أحسن عملا ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ويعلم المجاهدين منكم والصابرين ويبلو
اخباركم فامتحانه إياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم
واسباب لاستخراج حالات الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل
والتفويض والدعاء والتضرع منهم وتأكيد البصائر بهم في رحمة الممتحين
والشفقة على المبتلين فيتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في
الصبر ومحو الهنات فرطت منهم أو غفلات سلفت لهم ليلقوا الله تعالى
طيبين مهذبين وليكون اجرهم أكمل وثوابهم أوفر وأجزل حدثنا القاضي
ابو علي الحافظ حدثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون قالا
حدثنا أبو يعلى البغدادي حدثنا أبو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا
أبو عيسى الترمذي حدثنا قتيبة حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة
عن مصعب بن سعد عن أبيه قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قال
الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد

حتى يتركه يمشي على الارض ما عليه خطيئة وكما قال تعالى وكأين من نبي قتل
معه ربيون كثير الآيات الثلاث وعن أبي هريرة ما يزال البلاء بالمؤمن في
نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وعن أنس عنه عليه السلام
إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعبده الشر
أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة وفي حديث آخر إذا أحب الله
عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه وحكي السمرقندي أن كل من كان أكرم على الله
تعالى كان بلاؤه أشد كي تبين فضله ويستوجب الثواب كما روي عن
لقمان أنه قال يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء
وقد حكي أن ابتلاء يعقوب بيوسف كان سببه التفاته في صلاته إليه
ويوسف بايم محبة له وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على أكل
حمل مشوي وهما يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت
جدة له عجوز لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب
بالبكاء أسفا على يوسف الى أن سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن
فلما علم بذلك كان بقية حياته يأمر منادي ينادي على سطحه الا من كان
مفطرا فليتغد عند آل يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة التي نص الله عليها

وردى

وروي عن الليث أن سبب بلاء أيوب أنه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه
في ظلم وأغلظوا له الا أيوب فإنه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله ببلائه
ومحنة سليمان لما ذكرناه من نيته في كون الحق في جنبة أصحابه او العمل بالمعصية
في داره ولا علم عنده وهذه فايدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم
قالت عايشة ما رايت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن عبد الله رايت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه يوعك وعكا شديدا
فقلت انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل اني اوعك كما يوعك رجلان منكم
قلت ذلك إن لك الاجر مرتين قال اجل ذلك كذلك وفي حديث ابي سعيد
أن رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما اطبق أضع يدي عليك
من شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء يضاعف لنا
البلاء ان كان النبي ليبتلى بالعمل حتى يقتله وان كان النبي ليبتلى بالفقر وان
كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء وعن أنس عنه صلى الله عليه وسلم
إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى
ومن سخط فله السخط وقد قال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به
إن المسلم يجزى بمصايب الدنيا فتكون له كفارة وروي هذا عن عايشة

شبكة الألوكة www.alukah.net

وابي ومجاهد وقال أبو هريرة عنه عليه السلام من يرد الله به خيرا يصب منه
وقال في رواية عايشة ما من مصيبة تصيب المسلم إلا يكفر الله بها عنه
حتى الشوكة يشاكها وقال في رواية أبي سعيد ما يصيب المؤمن من نصب ولا
وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر
الله بها من خطاياه وفي حديث بن مسعود ما من مسلم يصيبه أذى إلا حات
الله عنه خطاياه كما تحت ورق الشجر وحكمة أخرى أودعها الله في
الأمراض لأجسامهم وتعاقب الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف
قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم وتخف عليهم موتة النزع وشدة
السكرات بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلك خلاف موت الفجاءة
وآخذه كما يشاهد من اختلاف أحوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة
والسهولة وقد قال عليه السلام مثل المومن مثل حامة الزرع تفيئها الريح
هكذا وهكذا وفي رواية أبي هريرة من حيث اتتها الريح تكفأها فاذا سكنت
اعتدلت وكذلك المومن يكفأ بالبلاء ومثل الكافر كمثل الأرزة صماء
معتدلة حتى يقصمه الله معناه أن المومن مرزأ مصاب بالبلاء والأمراض راض
بتصريف بن أقدار الله منطاع لذلك ليس الجاب رضاه وقلة تسخطه كطاعة

خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها وتركها من حيث ما اتتها فاذا
اراح الله عن المومن رياح البلاء واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند
سكون رياح الجو رجع إلى شكر ربه ومعرفة نعمه عليه برفع بلايه مستطارا رحمته
وتوابه عليه فإذا كان هذا السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله ولا
اشتد عليه سكراته ونزعه لعادته بما تقدمه من الآلام ومعرفة ماله
فيها من الاجر وتوطينه نفسه على المصايب ورقتها وضعفها بتوالي المرض
او شدته والكافر بخلاف هذا معافا في غالب حاله ممتع بصحة جسمه كالأرزة
الصماء حتى اذا اراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة واخذة بغتة من غير لطف
ولا رفق فكان موته أشد عليه حسرة ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة
جسمه أشد ألما وعذابا ولعذاب الآخرة اشد كما قال تعالى
فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وكذلك عادة الله في أعدايه كما قال تعالى
فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة
الآية فجاجميعهم بالموت على حال عتو وغفلة وصبحهم به على غير استعداد
بغتة ولهذا ما كره السلف موت الفجاءة ومنه في حديث إبرهيم كانوا يكرهون
اخذة كاخذة الأسف اي الغضب يريد موت الفجاءة وحكمة تالثة ان

شبكة الألوكة www.alukah.net

الأمراض تدير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت فيستعد من
اصابته وعلم تعاهده لها لقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الاكاد
ويكون قلبه معلقا بالمعاد فينفصل من كل ما يخشى تباعته من قبل الله
وقبل العباد ويؤدي الحقوق الى أهلها وينظر فيما يحتاج اليه من وصية فيمن
يخلفه او أمر يعهده وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم وما
تأخر قد طلب الفصل في مرضه ممن كان له عليه مال أو حق في بدن
وافاد من نفسه وماله وأمكن من القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل
وحديث الوفاة واوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته وبالأنصار عيبته
ودعا الى كتب كتاب ليلا تضل امته بعده إما في النص على الخلافة والله أعلم
بمراده ثم رأى الإمساك عنه افضل وخيرا وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين
واولياء المتقين وهذا كله بحرمة غالبا الكفار لإملاء الله لهم ليزدادوا
إثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الله تعالى ما ينظرون إلا صيحة
واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون
وكذلك قال عليه السلام في رجل مات فجأة سبحن الله كأنه على غضب المحروم
من حرم وصية وقال موت الفجأة راحة للمؤمن وأخذه أسف الكافر أو الفاجر

وذلك لأن الموت يأتي المؤمن وهو غالبا مستعد له مستطر لحلوله فهان
أمره عليه كيف ما جاء وافضى الى راحته من نصب الدنيا وأذاها كما قال
عليه السلام مستريح ومستراح منه ويأتي الكافر والفاجر منيته
على غير استعداد ولا أهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تأتيهم بغتة فتبهتهم
فلا يستطيعون ردها والامهم ينظرون فكان الموت أشد شيء عليه وفراق
الدنيا أفظع أمر صدمه واكره شيء له والى هذا المعنى أشار عليه السلام
بقوله من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه

القسم الرابع

في تصرف وجوه الأحكام فيمن تنقصه او شتمه عليه السلام

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه قد تقدم من الكتاب والسنة وإجماع
الأمة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من برّ وتوقير
وتعظيم وإكرام وبحسب هذا حرم الله تعالى أذاه في كتابه واجمعت الامة على
قتل متنقصه من المسلمين وسابه قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله
لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا وقال والذين يؤذون رسول الله

شبكة الألوكة www.alukah.net

لهم عذاب أليم وقال تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه
من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما وقال تعالى في تحريم التعريض له
يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا الآية وذلك أن اليهود
كانوا يقولون راعنا يا محمد أي ارعنا سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة
يريدون الرعونة فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي المؤمنين
عنها لئلا يتوصل بها الكافرون والمنافقون إلى سبيل الاستهزاء به وقيل بل لما فيها
من مشاركة اللفظ لأنها عند اليهود اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الأدب
وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لأنها في لغة الأنصار بمعنى ارعنا
نرعك فنهوا عن ذلك إذ مضمنه أنهم لا يرعونه إلا برعايته لهم وهو عليه
السلام واجب الرعاية بكل حال وهذا هو علة السلام فنهي عن التكني
بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن أذاه إذ كان
صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا أبا القاسم فقال لم أعنك إنما
دعوت هذا فنهي حينئذ عن التكني بكنيته ليلا يتأدى إجابة دعوة غيره
ممن لم يرعه ويجر ذلك المنافقون والمستهزئون ذريعة إلى أذاه والإزراء
به فينادونه فإذا التفت قالوا إنما أردنا هذا لسواه تعييتا له واستخفافا بالحق

على عادة الجبان والمستهزئين في حق عليه السلام حتى أداه بكل وجه فحمل محققوا
العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته وأجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة والمانع
في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب
إن شاء الله وإن ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره وعلى سبيل الندب والاستحباب
لا على التحريم وكذلك لم ينه عن اسمه لأنه قد كان الله سمح من يدعى به بقوله
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وإنما كان المسلمون يدعونه
برسول الله ونبي الله ويدعونه بكنيته أبا القاسم بعضهم في بعض الأحوال
وقد روي أنس عنه عليه السلام ما يدل على كراهة التسمي باسمه وتنزهه
عن ذلك إذا لم يوقر فقال تسمون أولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروي أن عمر
كتب إلى أهل الكوفة لا يتسمى أحد باسم النبي صلى الله عليه وسلم حكاه أبو جعفر
الطبري وحكى محمد بن سعيد أنه نظر إلى رجل اسمه محمد ورجل يسبه ويقول
له فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر رضي الله عنه لابن أخيه محمد بن زيد بن الخطاب
لا أرى محمدا عليه السلام يسب بك والله لا ندعي محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن
وأراد أن يمنع لهذا أن يسمى أحد باسم الأنبياء إكراما لهم بذلك وغير أسماءهم وقال
لا تسموا بأسماء الأنبياء ثم أمسك والصواب جواز هذا كله بعده عليه السلام

بدليل أطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بأبي القاسم
وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن في ذلك لعلي رضي الله عنه وقد
أخبر عليه السلام إن ذلك اسم المهدي وكنيته وقد سمى به النبي صلى الله
عليه وسلم محمد بن طلحة ومحمد بن عمر بن حزم ومحمد بن ثابت ابن قيس وغير واحد
وقال ما ضر أحدهم أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلثة وقد فصلت الكلام في
هذا القسم على بابين كما قدمناه

الباب الأول

في بيان ما هو في حقه عليه السلام سب أو نقص من تعريض أو نص

اعلم وفقنا الله وإياك أن جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم لو عابه
أو ألحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرض
به أو شبهه بشيء على طريق السب له أو الازراء عليه او التصغير لشأنه أو البغض
منه والعيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما بينه ولا نستثني
فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان أو تلويحا
وكذلك من لعنه أو دعي عليه أو تمنى مضرة له أو نسب اليه ما لا يليق بمنصبه

على طريق الذم أو عيب في جهة العبرية بشخص من الكلام وهجر ومنكر من القول
وزور أو عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه أو غمضه ببعض العوارض
البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من
لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى هلم جرا قال أبو بكر بن المنذر أجمع عوام
أهل العلم على أن من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك
مالك بن أنس والليث وأحمد وإسحق وهو مذهب الشافعي قال القاضي
أبو الفضل وهو مقتضى قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولا تقبل توبته
عندهؤلاء وبمثله قال أبو حنيفة وأصحابه والثوري وأهل الكوفة والاوزاعي
في المسلم لكنهم قالوا هي ردة وروي مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى
الطبري مثله عن أبي حنيفة وأصحابه فيمن تنقصه صلى الله عليه وسلم أو برئ
منه أو كذبه وقال سحنون في من سبه ذلك ردة كالزنديق وعلى هذا وقع
الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله حد أو كفر كما سنبينه في الباب الثاني
إن شاء الله ولا نعلم خلافا في استباحة دمه بين علماء الأمصار وسلف
الأمة وقد ذكر غير واحد الإجماع على قتله وتكفيره وأشار بعض الظاهرية وهو
أبو محمد علي بن أحمد الفارسي إلى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه

قال محمد بن سحنون اجمع العلماء أن شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له
كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله له وحكمه عند الأمة القتل ومن شك
في قتله وعذابه كفر واحتج ابرهيم بن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل
خالد بن الوليد مالك بن نويرة لقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم
وقال أبو سليمان الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا
كان مسلما وقال ابن القاسم عن مالك في كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية
وحكاه مطرف عن مالك في كتاب ابن حبيب من سب النبي صلى الله عليه وسلم
من المسلمين قتل ولم يستتب قال ابن القاسم في العتبية اوشتمه او عابه
او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند الأمة القتل كالزنديق وقد فرض الله توقيره
وبره وفي المبسوط عن عثمن بن كنانة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من
المسلمين قتل اوصلب حيا ولم يستتب والإمام مخير في صلبه حيا او قتله
ومن رواية أبي المصعب وابن أبي اويس سمعنا مالكا يقول من سب رسول الله
صلى الله عليه وسلم اوشتمه او عابه اوتنقصه قتل مسلما كان او كافرا
ولا يستتاب وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب النبي
صلى الله عليه وسلم اوغيره من النبيين من مسلم اوكافر قتل ولم يستتب

وقال اصبغ يقتل على كل حال اسر ذلك او اظهره ولا يستتاب لان توبته لا تعرف
وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر
قتل ولم يستتب وحكى الطبري مثله عن أشهب عن مالك وروى بن
وهب عن مالك من قال ان رداء النبي صلى الله عليه وسلم ويروى زر النبي
صلى الله عليه وسلم وسخ اراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع العلماء على
ان من دعا على نبي من الأنبياء بالويل او بشيء من المكروه انه يقتل بلا استتابة
وافتى ابو الحسن القابسي فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم الحمال اليتيم ابي طالب
بالقتل وافتى ابو محمد بن ابي زيد بقتل رجل سمع قوما يتداكرون صفة النبي
صلى الله عليه وسلم اذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم تريدون
تعرفون صفته هي في صفة هذا المار في خلقه ولحيته قال ولا نقبل توبته
وقد كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب سليم الإيمان وقال احمد بن ابي سليمان
صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل وقال
في رجل قيل له لا وحق رسول الله فقال فعل الله برسول الله كذا وذكر كلاما
قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال أشد من كلامه الأول ثم قال انما اردت
برسول الله العقرب فقال ابن ابي سليمان اشهد عليه وانا اشركك يريد في قتله

للذي سأله

وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع لأن ادعاءه التأويل في لفظ صراح لا يقبل لأنه اتهام وهو غير معذر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مؤول له فوجب إباحة دمه وأفتى أبو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل أدر اشك إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال إن سألت أو جهلت فقد جهل وسأل النبي صلى الله عليه وسلم بالقتل وأفتى فقهاء الأندلس بقتل بن جاهم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه به من استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته إياه أثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه أن زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات أكلها إلى أشباه لهذا وأفتى فقهاء القيروان وأصحاب سحنون بقتل إبراهيم الفراري وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضي أبي العباس بن طالب المناظرة فرفعت عليه أمور منكرة في هذا الباب في الاستهزاء بالله وأنبيائه وبينا عليه السلام فأحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وأمر بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب منكسا ثم أنزل وأحرق بالنار وحكى بعض المؤرخين أنه لما رفعت خشبته ورأت عنها الأيدي استدارت وحولته عن القبلة فكان آية للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقد روي حديثا عنه عليه السلام أنه قال لا يلغ الكلب في دم مسلم وقال القاضي أبو عبد الله بن المرابط من قال أن النبي صلى الله عليه وسلم هرم يستتاب فإن تاب وإلا قتل لأنه تنقص إذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته إذ هو على بصيرة من أمره ويقين من عصمته وقال حبيب بن ربيع القروي مذهب مالك وأصحابه أن من قال فيه عليه السلام ما فيه نقص قتل دون استتابة وقال بن عتاب الكتاب والسنة موجبان أن من قصد النبي صلى الله عليه وسلم بأذى أو نقص معرضا أو مصرحا وإن قل فقتله واجب فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا وسقطا يجب قتل قائله لم يختلفوا في ذلك متقدمهم ولا متأخرهم وإن اختلفوا في حكم قتله على ما أشرنا إليه وبينه بعد وكذلك أقول حكم من غمصه أو عيره برعاية الغنم أو السهو أو النسيان أو السحر أو ما أصابه من جرح أو هزيمة لبعض جيوشه أو أدى من عدوه أو شدة من زمنه أو بالميل إلى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء في ذلك وباقي ما يدل عليه

فصل في الحجة في إيجاب قتل من سبه أو عابه عليه السلام

من القرآن لعنه تعالى لمؤذيه في الدنيا والآخرة وقوله تعالى أذاه بأذاه

ولا خلاف في قتل من سب الله تعالى وإن اللعن انما يستوجبه من هو
كافر وحكم الكافر القتل فقال إن الذين يؤذون الله ورسوله الآية
وقال في قاتل المؤمن مثل ذلك ثم لعنه في الدنيا القتل قال الله تعالى
أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم
ذلك لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى
قتل الخراصون وقاتلهم الله اي لعنهم الله ولأنه فرق بين أذاهما وأذى
المؤمنين وفي أذى المؤمنين ما دون القتل من الضرب والنكال فكان
حكم مؤذي الله ونبيه اشد من ذلك وهو القتل وقال تعالى فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية فسلب اسم الايمان عمن وجد
في صدره حرجا من قضايه ولم يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا وقال
تعالى يا أيها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي إلى قوله ان تحبط
اعمالكم وأنتم لا تشعرون ولا يحبط العمل إلا الكفر والكافر يقتل وقال
تعالى وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم يصلونها
فبئس المصير وقال تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن
ثم قال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم وقال تعالى ولئن سألتهم
ليقولن انما كنا نخوض ونلعب إلى قوله قد كفرتم بعد ايمانكم قال اهل التفسير
كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الاجماع فقد ذكرناه
وأما الآثار فحدثنا الشيخ أبو عبد الله احمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ أبي ذر
الهروي اجازة قال حدثنا أبو الحسن الدارقطني وأبو عمر بن حيوية قالا حدثنا
محمد بن نوح حدثنا عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة حدثنا عبد الله
بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى عن ابيه عن جده عن محمد بن علي بن الحسين
عن ابيه عن الحسين بن علي عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب أصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح
امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف وقوله من لكعب
بن الاشرف فانه يؤذي الله ورسوله ووجه إليه من قتله غيلة دون
دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل باذاه له فدل أن قتله اياه لغير
الاشراك بل للاذى وكذلك قتل أبا رافع قال البراء وكان يؤذي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكذلك أمره يوم الفتح بقتل بن
خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه عليه السلام وفي حديث آخر
ان رجلا كان يسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوي فقال خالد

شبكة الألوكة www.alukah.net

انا فعنه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك لم يقتل جماعة ممن كان يؤذيه
من الكفار ويسبه كالنضر بن الحرث وعقبة بن ابي معيط وعهد بقتل
جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا الا من بادر باسلامه قبل القدرة عليه
وقد روى البزار عن ابن عباس ان عقبة بن ابي معيط نادى يا معاشر
قريش ما لي اقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك
وافترائك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عبد الرزاق ان النبي
صلى الله عليه وسلم سبه رجل فقال من يكفيني عدوي فقال الزبير
انا فبارزه فقتله الزبير وروي ايضا ان امراة كانت تسبه عليه السلام
فقال من يكفيني عدوتي فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها وروي ان رجلا
كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير اليه ليقتلاه وروي
ابن قانع ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله سمعت
ابي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم
وبلغ المهاجر بن ابي امية امير اليمن لابي بكر رضي الله عنه ان امراة هناك
في الردة عنت بسب النبي صلى الله عليه وسلم تقطع يدها ونزع ثنيتها
فبلغ ابا بكر ذلك فقال له لولا ما فعلت لامرتك بقتلها لان حد الانبياء ليس يشبه

الحدود وعن ابن عباس في حق امراة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم
فقال من لي بها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها فاخبر النبي
صلى الله عليه وسلم فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس ان اعمى
كانت له ام ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها فلا تنزجر فلما كانت
ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه فقتلها واعلم النبي
صلى الله عليه وسلم بذلك فاهدر دمها وفي حديث ابي برزة الاسلمي
كنت يوما جالسا عند ابي بكر الصديق فغضب على رجل من المسلمين وحكى
القاضي اسمعيل وغيره واحد من الائمة في هذا الحديث انه سب ابا بكر
ورواه النسائي انيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل فرد عليه قال فقلت يا خليفة
رسول الله دعني اضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك لاحد الا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو محمد بن نصر ولم يخالف عليه احد
فاستدل الائمة بهذا الحديث على قتل من اغضب النبي صلى الله عليه وسلم
كل من اغضبه او اذاه او سبه ومن ذلك كتب عمر بن عبد العزيز الى عامله
بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه فكتب عمر
اليه انه لا يحل قتل امرء مسلم بسبب احد من الناس الا رجلا سب النبي

صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسال الرشيد مالكا في رجل
شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ان فقهاء العراق افتوه بجلده
فغضب مالك وقال يا امير المؤمنين ما بقاء الامة بعد نبيها من شتم الانبياء
قتل ومن شتم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد قال القاضي ابو الفضل
كذا وقع في هذه الحكاية رواها غير واحد من اصحاب مناقب مالك ومؤلفي
اخباره وغيرهم ولا ادري من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين افتوا الرشيد
بما ذكر وقد ذكرنا مذاهب العراقيين بقتله ولعلهم ممن لم يشتهر بعلم
اومن لا يوثق بفتواه اويمثل به هواه اويكون ما قاله يحمل على غير السب فيكون
الخلاف هل هو سب او غير سب او يكون رجع وتاب عن سبه فلم يقتله
لملك على اصله والا فالاجماع على قتل من سبه كما قدمناه ويدل على قتله
من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه عليه السلام قد ظهرت
علامة مرض قلبه وبرهان سر طويته وكفره ولهذا ما حكم له كثير من العلماء
بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك والاوزاعي وقول الثوري وابي حنيفة
والكوفيين والقول الاخر انه دليل على الكفر فيقتل حدا وان لم يحكم
له بالكفر الا ان يكون متمادیا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا

كافر

كافر وقوله اما صريح كفر كالتكذيب ونحوه او من كلمات الاستهزاء والذم
فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر ايضا فهذا كافر
بلا خلاف قال الله تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة
الكفر وكفروا بعد اسلامهم قال اهل التفسير هي قولهم ان كان ما يقول
محمد حقا لنحن شر من الحمير وقتل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل
سمن كلبك يأكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل
وقد قيل ان قائل مثل هذا ان كان مستترا به ان حكمه حكم الزنديق
يقتل لانه قد غير دينه وقد قال عليه السلام من غير دينه فاضربوا عنقه
ولان حكم النبي صلى الله عليه وسلم في الحرمة مرية على امته وسائر
الحرم من امته بعد فكانت العقوبة لمن سبه عليه السلام القتل
لعظيم قدره وشفوف منزلته على غيره فصل
فان قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له
السام عليكم وهذا دعاء عليه ولا قتل الاخر الذي قال له ان هذه
لقسمة ما اريد بها وجه الله وقد ادى النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك
وقال قد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين الذين

كانوا يؤذونه في اكثر الاحيان فاعلم وفقنا الله واياك ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان اول الاسلام يستالف عليه الناس ويميل قلوبهم اليه
ويحبب اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم وبداياتهم ويقول لاصحابه انما بعثتم مبشرين
ولم تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا ويقول
لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وكان صلى الله عليه وسلم يداري
الكفار والمنافقين ويحمل صحبته ويغضي عليهم ويحتمل من اذاهم ويصبر
على حماياتهم ما لا تحوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان يرفقهم بالعطاء
والاحسان وبذلك امره الله تعالى فقال تعالى ولا تزال تطلع على خائنة
منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقال ادفع
بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وذلك
لحاجة الناس لتالف اول الاسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر واظهره
الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر امره كقتله ابن خطل ومن
عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله عيلة من يهود وغيرهم او غلبة
ممن لم يظهر قبل سلك صحبته والاحتياط في جملة مظهري الايمان به ممن
كان يؤذيه كابن الاشرف وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك ندر

دم جماعة سواهم كعب بن زهير وابن الزبعري وغيرهما ممن اذاه حتى
القوا بايديهم وقالوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة وحكمه عليه
السلام في الظاهر واكثر تلك الكلمات انما كان يقولها القليل منهم
خفية ومع امثاله ويحلفون عليها اذا ميت وينكروها ويحلفون بالله
ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكان مع هذا يطمع في فيئهم ورجوعهم
الى الاسلام وتوبتهم فيصبر عليه السلام على هناتهم وحفوتهم كما صبروا
اولوا العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا واخلص
سرا كما اظهر جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء
واعوان وحماة وانصار كما جاته الاخبار وبهذا اجاب بعض ائمتنا رحمهم
الله عن هذا السؤال وقال لعله لم يثبت عنده عليه السلام من افوالهم
ما رفع وانما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة في هذا الباب
من صبي او عبد او امراة والدماء لا تستباح الا بعدلين وعلى هذا
يحمل امر اليهودي السلام وانهم لو واجه البتهم ولم يبينوه الا ترى كيف
بهت عليه عايشة ولو كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه
النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه على علمه وقله صدهم في سلامهم

وخيانتهم في ذلك ليّا بالسنتهم وطعنا في الدين فقال ان اليهود اذا سلم
احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك قال بعض اصحابنا
البغداديين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين لعلمه فيهم
ولم يات انه قامت بينة على نفاقهم فلذلك تركهم وايضا فان الامر كان
شرا وباطنا وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان من اهل الذمة بالعهد
والجوار والناس قريب عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب
وقد شاع عن المذكورين في العرب كون من يتهمون بالنفاق من جملة المومنين
وصحابة سيد المرسلين وانصار الدين لحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي
صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدو منهم وعلمه بما اسروا في انفسهم
لوجد المقرّ ما يقول ولارتاب الشارد وارجف المعاند وارتاع من صحبه النبي
صلى الله عليه وسلم والدخول في الاسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن
العدو الظالم ان القتل انما كان للعداوة وطلب اخذ الثرة وقد رايت
معنى ما حررته منسوبا للامام مالك بن انس رحمه الله ولهذا قال عليه السلام
لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال اولئك الذين نهاني الله
عن قتلهم وهذا الخلاف اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا

والسر

والقتل وشبهه لظهورها واستواء الناس في علمها وقد قال محمد بن المواز
ولو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم وقاله القاضي
ابو الحسن بن القصار وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون
والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك
فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله الآية
قال معناه اذا اظهروا النفاق وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد
بن اسلم ان قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين نسخها ما كان
قبلها وقال بعض مشايخنا لعل القايل هذه قسمة ما اريد بها وجه الله
وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة له
وانما راها من وجه الغلط في الراي وامور الدنيا والاجتهاد في مصالح اهلها
فلم يرد ذلك سبا ورأى الله من الاذى الذي له العفو عنه والصبر عليه
فلذلك لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود اذا قالوا السام عليكم ليس فيه
صريح سب ولا دعاء الا مما لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع
البشر وقيل بل المراد تسمون دينكم والسام والسامة الملال وهذا
دعاء على سامة الدين ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا

الحبيب باب اذا عرض الذمي او غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال
بعض علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب وانما هو تعريض بالاذى قال القاضي
ابو الفضل قد قدمنا ان الاذى والسب في حقه عليه السلام سواء
وقال القاضي ابو محمد بن نصر مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر
في الحديث هل كان هذا اليهودي من اهل العهد والذمة او الحرب ولا يترك
موجب الادلة للامر المحتمل والاولى في ذلك كله والاظهر من هذه الوجوه
مقصد الاستيلاف والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون وكذلك ترجم
البخاري على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتال الخوارج للتألف
وليلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن ملك وقررناه قبل وقد
صبر لهم عليه السلام على سحره وسمه وهو اعظم من سبه الى ان
نصره الله عليهم وادن له في قتل من حينه منهم وابرالهم من صياصيهم
وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء واخرجهم من ديارهم
وخرب بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين وكاشفهم بالسب فقال يا اخوة
القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف المسلمين واجلاهم من جوارهم
فان قلت فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة انه عليه السلام ما انتقم
لنفسه

لنفسه في شيء يؤتى اليه قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله فاعلم
ان هذا لا يقتضي انه لم ينتقم ممن سبه او اذاه وكذبه فان هذه من حرمات
الله التي انتقم لها واما ما يكون مما لا ينتقم له فيما تعلق بسوء ادب او معاملة
من القول والفعل بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله به اذاه لكن مما
جبلت عليه الاعراب من الجفاء والجهل او جبل عليه البشر من الغفلة
كجذب الاعرابي بإزاره حتى اثر في عنقه وكرفع صوت الاخر عنده وكجذب
الاعرابي شعره منه فرسه التي شهد فيها خزيمة وكما كان من نظائر زوجيه
عليه واشباه هذا مما يحسن الصفح عنه او يكون هذا مما اذاه به كافر
وجاء بعد ذلك اسلامه كعفوه عن اليهودي الذي سحره وعن الاعرابي
الذي اراد قتله وعن اليهودية التي سمته وقد قيل قتلها ومثل هذا
مما يبلغه اذى اهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء استيلافهم
واستيلاء غيرهم بهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق

فصل تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه والازراء
به وغصه باي وجه كان من ممكن او محال فهذا وجه بين لا اشكال
فيه الوجه الثاني لاحق به في البيان والجلاء وهو ان يكون القائل

لما قال في حقه عليه السلام غير قاصد للسب والازراء ولا معتقد له ولكنه
تكلم في حقه عليه السلام بكلمة الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة
ما لا يجوز عليه او نفي ما يجب له مما هو في حقه عليه السلام نقيصة مثل
ان ينسب اليه اتيان كبيرة او مداهنة في تبليغ الرسالة او في حكم
بين الناس او بعض من مرتبته او شرف نسبه او وفور علمه او زهده او
تكذيب ما اشتهر من امور اخبر بها عليه السلام وتواتر الخبر عنه عن قصد
لرد خبره او يأتي بسفه من القول وقبيح من الكلام ونوع من السب في حقه
وان ظهر بدليل حاله انه لم يعتمد ذمه ولم يقصد سبه انما لجهالة حملته
على ما قاله او لغضب او سكر اضطره اليه او قلة مراقبه وضبط للسانه
وعجرفة وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول القتل
دون تلعثم اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان
ولا بشيء مما ذكرناه اذ كان عقله في فطرته سليما الا ان اكره وقلبه مطمئن
بالايمان وبهذا افتى الامام لسيون علي بن حازم في نفيه الزهد عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الذي قدمناه وقال محمد بن سحنون في الماسور
يسب النبي صلى الله عليه وسلم في ايدي العدو يقتل الا ان يعلم تنصره

او اكراهه وعن ابي محمد بن ابي زيد لا يعذر بدعوى زلل اللسان في مثل
هذا وافتى ابو الحسن القابسي فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم في سكره
يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وايضا فانه حد لا يستبطه
السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود لانه ادخله على نفسه لان من
شرب الخمر على علم من زوال عقله بها وايمان ما يذكر منه فهو كالعامد
لما يكون بسببه وعلى هذا الزمناه العتاق والطلاق والقصاص
والحدود ولا اعرض على هذا الحديث حمزة وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم
وهل انتم الا عبيد لابي قال فعرف النبي صلى الله عليه وسلم انه مثل
فانصرف لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم في جنايتها اثم وكان حكم
ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون

فصل الوجه الثالث ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله واتى به
او نفي نبوته او رسالته او وجوده او يكفر به او ينقل قوله ذلك الى
دين آخر غير ملته ام لا هذا كافر باجماع يجب قتله ثم ينظر فان كان
مصرحا بذلك كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته
وعلى القول الآخر لا يسقط القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم

يكن

ان كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره وان كان مستبشرا بذلك
فحكمه حكم الزنديق لا يسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه قال ابو حنيفة
واصحابه من برئ من محمد وكذب به فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع وقال
بن القاسم في المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه
قرآن وانما هو شيء يقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه
وسلم وانكره من المسلمين فهو بمنزله المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه
انه كالمرتد يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه يوحى اليه وقاله
سحنون قال بن القاسم دعا الى ذلك سرا او جهرا قال اصبغ وهو كالمرتد لانه
قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله وقال لي اشهب في يهودي تنبأ
او زعم انه ارسل الى الناس او قال بعد نبيكم نبي انه يستتاب ان كان معلنا
بذلك فان تاب والا قتل وذلك لانه مكذب النبي صلى الله عليه وسلم في
قوله لا نبي بعدي مفتر على الله في دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال
محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
كان حكمه عند الامة القتل وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون
من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اسود قتل لم يكن عليه السلام باسود

وقال اخوه ابو عثمان الحداد قال لو قال انه مات قبل ان يلتحي او انه كان متهارت
ولم يكن متهامة قتل لان هذا نفي قال حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه
كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة
فصل الوجه الرابع ان يأتي من الكلام محمل ويلفظ من القول
بشكل يمكن حمله على النبي صلى الله عليه وسلم او غيره او يتردد في المراد
به من سلامته من المكروه او شره فها هنا متردد النظر وحيرة العبر
ومظنة اختلاف المجتهدين ووقعه استبراء المقلدين ليهلك من هلك
عن بينة ويحيى من حيي عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم
وحمي حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرأ الحد بالشبهة
لاحتمال القول وقد اختلف امتحاني رجل اغضبه عرضه فقال له صلى علي
النبي محمد فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو
كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة الذين يصلون عليه
قال لا اذا كان على ما وصفت من الغضب لانه لم يكن مصرا الشتم وقال
ابو اسحق البرقي واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه انما شتم الناس وهذا نحو
قول سحنون لانه لم يعزه بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه وسلم

ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم يكن معه قرينة تدل على شتم النبي
صلى الله عليه وسلم أو شتم الملائكة صلوات الله عليهم ولا مقدمة تحمل
عليها كلامه بل القرينة تدل على أن مراده الناس غير هؤلاء لأجل قول
الآخر له صل على النبي فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الآن لأجل أمر الآخر
له بهذا عند غضبه هذا معنى قول يحنون وهو مطابق لعلة صاحبه
وذهب الحرث بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا إلى القتل ويوقف أبو الحسن
القابسي في قتل رجل قال كل صاحب فذق قرآن ولو كان نبيا مرسلا
فأمر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى يستفهم البينة عن جهله الغاطه
وما يدل على مقصده هل أراد اصحاب الفادق الآن فمعلوم أنه ليس فيهم
نبي مرسل فيكون أمره أخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فذق
من المتقدمين والمتأخرين وقد كان فيمن تقدم من الأنبياء والرسل من
اكتسب المال قال وذم المسلم لا يقدم عليه الا مأمرين وما يرد اليه
التأويلات لا بد من انعام النظر فيه هذا معنى كلامه وحكي عن ابي محمد
بن ابي زيد فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بني اسرائيل ولعن الله بني آدم
وذكر انه لم يرد الأنبياء وانما اردت الظالمين منهم ان عليه الأدب بقدر

اجتهاد السلطان وكذلك افتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال
لم اعلم من حرمه وفيمن لعن حديث الابيع حاضر لباد ولعن من جاء به
انه ان كان يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن فعليه الأدب الوجيع وذلك
ان هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله ولا سب رسوله وانما لعن
من حرمه من الناس على نحو فتوى يحنون واصحابه في المسئلة المتقدمة
ومثل هذا ما جرى في كلام شفهاء الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الف
خنزير وابن مائة كلب وشبهه من هجر القول ولا شك انه يدخل في
مثل هذا العدد من اباه واحد او جماعة من الأنبياء ولعل بعض هذا العدد
منقطع الى آدم عليه السلام فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة
الأدب فيه ولو علم انه قصد سب من في آبائه من الأنبياء على علم لقتل
وقد يضيق القول في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال
اردت الظالمين منهم او قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم قولا
قبيحا في اباه او من نسله او ولده على علم منه انه من ذرية النبي صلى الله
عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسئلتين تقتضي تخصيص بعض اباه واخراج
النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم وقد كان اختلف شيوخنا فيمن

شبكة الألوكة www.alukah.net

قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال له ثبتني فقال له الآخر الانبياء
يتهمون فكيف أنت فكان شيخنا أبو اسحق بن جعفر يرى قتله لشناعة
ظاهر اللفظ وكان القاضي أبو محمد بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ
عنده أن يكون خرج عن أتهمهم من الكفار وأفتى فيها قاضي قرطبة
أبو عبد الله بن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي أبو محمد تصفيده وأطال
سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه إذ دخل في شهادة
بعض من شهد عليه وهن ثم أطلقه وشاهدت شيخنا القاضي أبا عبد الله
بن عيشي أيام قضائه أتي برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد الى كلب
فضربه برجله وقال له قم يا محمد فأنكر الرجل أن يكون قال ذلك وشهد
عليه لفيف من الناس فأمر به إلى السجن وتقصى عن حاله وهل يعجب
من يستتاب بدينه فلم يجد ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط وأطلقه

فصل الوجه الخامس أن لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا
ولا سببا لكنه ينزع بذكر بعض أوصافه أو يستشهد بعض أخواله عليه
السلام الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه أو
لغيره أو على التشبيه به أو عند هضيمة نالته أو غضاضة لحقته

ليس على طريق التأسي وطريق التحقيق بل على مقصد الترفع لنفسه أو لغيره
أو سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه عليه السلام أو قصد الهزل والتبذير
بقوله كقول القائل ان قيل في الشوء فقد قيل في النبي صلى الله عليه وسلم
أو أن كذبت فقد كذب الانبياء أو ان أذنبت فقد اذنبوا أو انا اسلم من
السنة الناس ولم يسلم منهم أنبياء الله ورسله أو قد صبرت كما صبر
أولوا العزم أو كصبر أيوب أو قد صبر نبي الله بن عداه وحلم على أكثر
مما صبرت وكقول المتنبي

أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود

ونحوه من أشعار المتجوزين في القول المتساهلين في الكلام كقول المعري

كنت موسى وافقه بنت شعيب غير أن ليس فيكما من فقير

على أن آخر البيت شديد وداخل في باب الإزراء والتحقير بالنبي عليه السلام
وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله

لولا انقطاع الوحي بعد محمد قلنا محمد من ابيه بديل
هو مثله في الفضل إلا أنه لم يأته برسالة جبريل

فصدر البيت الثاني من هذا الفصل لتشبيهه غير النبي في فضله بالنبي

شبكة الألوكة www.alukah.net

والغير يحتمل الوجهين أحدهما أن هذه الفضيلة نقصت الممدوح والاخر
استغناؤه عنها وهذا أشد ونحو منه قول الاخر

وإذا ما رفعت رايته صفقت بين جناحي جبرئيل

وقول الأخر من اهل العصر

فر من الخلد واستجار بنا فصير الله قلب رضوان

رضوان اسم رجل الف الكتب ذكره ابو العلا

وكقول حسان المصيصي من شعراء الاندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد
ووزيره أبي بكر بن زيدون

كان أبا بكر أبو بكر الرضي وحسان حسان وأنت محمد

الى أمثال هذا وإنما كثرنا بشواهده مع استغنائنا باحكامها لتعريف
اسلبها ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم
قادح هذا العيب وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس
لهم به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لاسيما الشعراء
واشدهم فيه تصريحا وللبسابه تشريحا ابن هانيء الاندلسي وابن سليمان
المعري بل قد خرج كثير من كلامهما الى حد الاستخفاف والنقص
وصريح الكفر وقد اجتنبا عنه وعرضنا الآن الكلام في هذا الفصل الذي

شقنا أسئلته فإن هذه كلها وإن لم يتضمن شيء منها ولا أضاف إلى الملائكة ولا أنبياء
نقصا ولست اعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها ازراء وعضا فما وقر
النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا عزر حظوة
الكرامة حتى شبه من شبه في كرامة نالها او معرة قصد الانتفاء
منها او ضرب مثل لتطييب مجلسه او اغلاء في وصف لتحسين كلامه
بمن عظم الله حظره وشرف قدره والزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول
له ورفع الصوت عنده فحق هذا ان درئ عنه القتل الأدب والسجن
وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به وما لوفق عاديه
لمثله او نظيره وقرينه كلامه او ندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون
ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد أنكر الرشيد على أبي نواس قوله

فإن يك بالي سحر فرعون فيكم فإن عصى موسى بكف خضيب

وقال له يا ابن اللخناء انت المستهزئ بعصا موسى وامر باخراجه عن عسكره
من ليلته وذكر الفتى ان مما اخذ عليه ايضا وكفر فيه او قارب
قوله في محمد الامين وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله عليه وسلم

تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها خلقا وخلقا كما قد اشتركا في

وقد انكروا عليه ايضا قوله

كيف لا يبتغيك من أمل من رسول الله من نفره

لأن حق الرسول وموجب تعظيمه وإنافة منزلته أن يضاف إليه ولا يضاف فالحكم في أمثال هذا ما بسطناه في طريق الغبيا على هذا المنهج جاءت فتيا إمام مذهبنا مالك بن انس رحمه الله وأصحابه في النوادر من رواية ابن أبي مريم عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم فقال مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه أرى أن يؤدب قال ولا ينبغي لأهل الذنوب إذا عوتبوا أن يقولوا قد اخطأت الأنبياء قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز لرجل أنظر لنا كاتبا يكون أبوه عربيا فقال كاتب له قد كان أبو النبي كافرا فقال جعلت هذا مثلا لعزله وقال لا كتبت لي أبدا وقد كره سحنون أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب الا على طريق الثواب والاحتساب توقيرا لله وتعظيما كما امرنا الله وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبح كأنه وجه نكير ولرجل عبوس كأنه وجه ملك العضبان فقال أي شيء أراد بهذا ونكير احد فتاني القبر

وبما

وبما ملكان فما الذي أراد اروع دخل عليه حين رأه من وجهه أم عاف النظر إليه لدمامة خلقه فإن كان هذا فهو شديد لأنه جرى مجرى التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك وإنما السب واقع على المخاطب وفي الأدب بالسوط والسجن كان للسفهاء قال وأما ذاكر ملك خازن النار فقد جفا الذي ذكره عند ما أنكر من عبوس الأخر إلا أن يكون المعبس له يدر فرهب بعبسته فيشتهه القايل على طريق الذم لهذا في فعله فيقول كأنه يغضب غضب ملك فيكون اخف وما كان ينبغي له التعرض لمثل هذا ولو كان أتى على العبوس بعبسه واحتج بصفة ملك كان أشد ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل وقال أبو الحسن أيضا في شاب معروف بالخير قال لرجل شيء فقال له الرجل اسكت فانك امي فقال الشاب أليس كان النبي اميا فشنع عليه مقاله وكفره الناس وأشفق الشاب مما قال وأظهر الندم عليه فقال أبو الحسن أما إطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وكون النبي اميا آية له وكون هذا اميا نقيصة فيه

شبكة الألوكة www.alukah.net

وجهاله ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه اذا استغفر
وتاب واعترف والجأ الى الله فيترك لان قوله لا ينتهي الى حد القتل وما طريقه
الأدب فطوع فاعله والندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت ايضا مسئله استفتي
فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضي ابا محمد بن منصور رحمه الله في رجل
تنقصه اخر بشيء فقال له انما تريد بقصي بقولك وانا بشر وجمع البشر لجهلهم
النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم فافتاه باطالة سجنه وايلاع ادبه اذ لم
يقصد السب وكان بعض فقهاء الاندلس افتى بقتله فصل
الوجه السادس ان يقول القايل ذلك حاكيا عن غيره وآبرا له عن سواه
فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف
ذلك على اربعة وجوه الوجوب والندب والكراهة والتحريم فان كان
اخبره على وجه الشهادة والتعريف بقايله والانكار والاعلام بقوله والتحذير
منه والتجريح له فهذا مما يتبعي امتثاله ويحمل فاعله وكذلك ان حكاه في
كتاب او في مجلس على طريق الرد له والنقض على قايله والفتيا بما يلزمه
وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه
وان كان القايل لذلك ممن نصدي لان يوخذ عنه العلم او رواية الحديث

او

او يقطع بحكمه او شهادته او فتياه في الحقوق وجب على سامعه الاشادة بما
سمع منه والتشهير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب على من بلغه
ذلك من ائمة المسلمين انكاره وبيان كفره وفساد قوله ليقطع ضرره
عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين وكذلك ان كان ممن يغط
العامة او يودب الصبيان فان من هذه شهرته لا يومن على القاء ذلك
في قلوبهم فيتاكد في هولاء الايجاب لحق النبي صلى الله عليه وسلم ولحق
شريعته وان لم يكن القايل لهذا السبيل فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم
واجب وحمايته عرضه متعين ونصره عن الاذى حيا وميتا مستحق على
كل مومن لكنه اذا قام هذا من ظهر به الحق وفصل به القضية وبان به
الامر سقط عن الباقي الفرض وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة وتاكد
التحذير منه وقد اجمع السلف على بيان حال المتهم في الحديث فكيف بمثل
هذا وقد سئل ابو محمد بن ابي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق
الله تعالى أيسعه ان لا يودي شهادته قال ان رجا نفاذ الحكم بشهادته
فليشهد وكذلك ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة
والادب فليشهد ويلزمه ذلك واما الاباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين

فلا أرى لها مدخلا في الباب فليس التفكه بعرض النبي صلى الله عليه وسلم
والتغمض بسوء ذكره لأحد لذاكرا ولا آثرا لغير غرض شرعي بمباح وأما
للأغراض المتقدمة متردد بين الإيجاب والاستحباب وقد حكى الله مقالات
المفترين عليه وعلى رسله في كتابه على وجه الإنكار لقولهم والتحذير
من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا في محكم كتابه وكذلك
وقع من أئمتنا له في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة على الوجوه المتقدمة
واجمع السلف والخلف من أئمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة والملحدين
في كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها عليهم وإن كان
ورد لأحمد بن حنبل إنكار لبعض هذا على الحرث بن أسد فقد صنع أحمد
مثله في رده على الجهمية والقايلين بالمخلوق هذه الوجوه السايغة
الحكاية عنها فاما ذكرها على غير هذا من حكايه سبه والازراء بمنصبه
على وجه الحكايات والأسمار والطرف وأحاديث الناس ومقالاتهم
في الغث والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء والخوض في قيل
وقال ومالا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه اشد في المنع والعقوبة من بعض
فما كان من قايله الحاكي له على غير قصد أو معرفة بمقدار ما حكاه أو لم

تكن عادته أو لم يكن الكلام من الشناعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه
استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن العودة اليه وان قوم
بعض الأدب فهو مستوجب وإن كان لفظه من البشاعة حيث هو
كان الأدب اشد وقد حكى أن رجلا سأل مالكا عمن يقول القرآن
مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال انما حكيته عن غيري فقال مالك
انما سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ
بدليل أنه لم يقتله وإن أتهم هذا الحاكي فيما حكاه أنه اختلقه
ونسبه إلى غيره أو كانت تلك عادة له أو ظهر استحسانه لذلك أو كان
مولعا بمثله والاستخفاف له أو التحفظ لمثله وطلبه ورواية اشعار
هجوه عليه السلام وسبه تحكم هذا حكم الشاب نفسه يواخذ بقوله
ولا ينفعه نسبته إلى غيره فيبادر بقتله ويعجل إلى الهاوية امه وقد
قال ابو عبيد القاسم بن سلام فيمن حفظ شطر بيت مما هجي به النبي
صلى الله عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من الف في الاجماع إجماع المسلمين
على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم وكتابه وقرآنه وتركه حتى
وجدون محو ورحم الله اسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم فقد اسقطوا

من احاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله وتركوا رواية الا اشياء
ذكرها يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول ليروا بقية الله من
قايلها واخذه المفتري عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله
قد جرى فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجي اشعار العرب في كتبه
فكنى عن اسم المهجو وزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم
احد برواية او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم
فصل الوجه السابع ان يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم
او يختلف في جوازه عليه وما يظن من الامور البشرية به ويمكن اضافتها اليه
او يذكر ما امتحن به وصبر في ذات الله على شدته من مقاساة اعدائه
وادائهم له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه
من معاناة عيشته كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة
ما صحت منه العصمة للانبياء وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون
الستة اذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف لا في ظاهر
اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل العلم
وفهما طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحقق فوايده ويجنب ذلك من

عسا لا بفقه او يختشى به فتنة فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة
يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن
واد راهن فقد قال عليه السلام مخبرا عن نفسه باشتجار الرعاة الغنم
في ابتداء حاله وقال ما من نبي الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله بذلك عن
موسى عليه السلام وهذا لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه
بخلاف من قصده الغضاضة والتحقير بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك للانبياء
حكمة بالغة وتدبير لله تعالى لهم الى كرامته وتدريب برعايتها السياسة
امهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الازل ومتقدم العلم وكذلك
قد ذكر الله ثمة وعلمنه على طريق المنة عليه والتعريف وكرامته له فتذكر
الذاكر لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتداه والتعجب من منح الله فيه وعظيم
منته عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته اذ اظهره
الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه من اشرافهم شياع فنياء
ونفى امره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من
الامم غيرهم باظهار الله تعالى له وتاييده بنصره وبالمومنين والفين قلوبهم
وامداده بالملايكة المسومين ولو كان ابن ملك او ذا اشياع متقدمين

لحسب كثير من الجهال أن ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال
هرقل حين سأل أبا سفيان عنه هل في آبائه من ملك ثم قال ولو كان في آبائه
ملك لقلنا رجل يطلب ملك أبيه وإذ اليتم من صفته واحدي علاماته في الكتب
المتقدمة واخبار الامم السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب ارميا ولهذا وصفه
ابن ذي يزن لعبد المطلب وبحيرا لأبي طالب وكذلك إذا وصف بأنه أمي
كما وصفه الله به فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزه إذ
معجزه العظمى القرآن العظيم إنما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما منح
صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم الأول ووجود
مثل ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى
العبر ومعجزة البشر وليس فيه ذلك نقيصة إذ المطلوب من الكتابة والقراءة
المعرفة وإنما هي آلة لها وواسطة موصلة إليها غير مرادة في نفسها فإذا
حصلت الثمرة والمطلوب استغني عن الواسطة والسبب والامية في
غيره نقيصة لأنها سبب للجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين امره
من امر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك من
عداه هذا شق قلبه واخراج حشوته كان تمام حياته وغاية قوته نفسه

وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته وفنائه وهلم جرا
إلى سائر ما روي من أخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم
والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في أموره وخدمة بيته زهدا ورغبة
عن الدنيا وتسوية بين حقيرها وخطيرها لسرعة فنائها أمورها وتقلب أحوالها
كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه كما ذكرناه فمن أورد شيئا منها
مورده وقصد بها مقصده كان حسنا ومن أورد ذلك على غير وجهه وعلم
منه ذلك سوء قصده لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد من
أخباره وأخبار سائر الأنبياء عليهم السلام في الأحاديث مما في ظاهره إشكال يقتضي
أمورا لا تليق بهم بحال ويحتاج إلى تأويل وتردد احتمال فلا يجب أن يحدث
منها إلا بالصحيح ولا يروى منها إلا المعلوم الثابت ورحم الله مالكا فلقد
كره التحدث بمثل ذلك من الأحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة للمعنى
وقال ما يدعو الناس إلى التحدث بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان تحدث بها
فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه على ترك التحديث بها وساعدوه
على طيها فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من السلف بل
عنهم على الجملة انهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله

نسخة الألوكة www.alukah.net

عليه وسلم اوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه ونصرفاتهم
في حقيقته ومجازه واستعارته وكليه وايجازه فلم تكن في حقهم مشكلة
ثم جاء من غلبت عليه العجمة ودخلته الامية فلا يكاد يفهم من مقاصد
العرب الا انصها وصريحها ولا يحقق اشارتها الى غرض الايجاز ووجهها
وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تاويلها سدد مدد فمنهم من امن به ومنهم من كفر
فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب الانكار منها شيء في حق الله تعالى ولا
حق انبيائه ولا يحتج بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها
وترك الشغل بها الا ان ذكر على وجه التعريف بانها ضعيفة المقاد واهية
الاسناد وقد انكر الاشياخ على ابي بكر بن نورك تكلفه في مشكله الكلام
على احاديث ضعيفة موضوعة لا اصل لها او منقولة عن اهل الكتاب الذين
يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه
على ضعفها اذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس بها واجتاثها
من اصلها وطرحها اكشف للبس واشفى للنفس

فصل

ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي وما لا يجوز والذاكر من حاله ما
قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه
عند ذكره عليه السلام وعند ذكر تلك الاحوال الواجب من توقيره وتعظيمه
ويراقب حال لسانه ولا يهمله وتظهر عليه علامات الادب عند ذكره
فاذا ذكر ما قاساه من الشدايد ظهر عليه الاشفاق والارتماض والغيظ
على عدوه ومودة الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة
له لو امكنته واذا اخذ في ابواب العصمة وتكلم على مجاري اعماله واقواله
عليه السلام تحرى احسن اللفظ وادب العبارة ما امكنه واجتنب بشيع
ذلك وهجر من العبارة ما يفهم كلفظة الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم
في الاقوال قال هل يجوز عليه الخلف في القول والاخبار خلاف ما وقع منهم
او غلطا ونحوه من العبارة ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة واذا تكلم
على العلم قال هل يجوز الا يعلم الا ما علم وهل يمكن ان لا يكون عنده علم
من بعض الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول بجهل لفظ اللفظ وشناعته
واذا تكلم في الافعال قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر والنواهي
ومواقعة الصغاير فهو اولى وآدب من قوله هل يجوز ان يعصي او يذنب
او يفعل كذا وكذا من انواع المعاصي فهذا من حق توقيره عليه السلام وما يجب
له من تعزيره واعظامه وقد راى بعض العلماء لم يحفظ من هذا فقبح منه

نسخة الألوكة www.alukah.net

ولم استصوب عبارته فيه ووجدت بعض الجايزين قوله لاجل ترك تحفظه في
العبارة مالم يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر قايله وإذا كان مثل هذا
بين الناس مستعملا في آدابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله في
حقه عليه السلام اوجب والتزامه أكد لجودة العبارة بقبح الشئ او
تحسنه وتحريرها وتهذيبها بعظم الامر او يهونه ولهذا قال عليه السلام
إن من البيان لسحرا فأما ما أورده على جهة النهي عنه والتنزيه فلا حرج
في تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا إتيان
الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور
توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد
كان السلف تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه في القسم
الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة اي القرآن حكى الله
فيها مقال عداه ومن كفر بآياته وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها صوته اعظاما
لربه وإجلالا له وإشفاقا من التشبه بمن كفر به

الباب الثاني

في حكم سابه وشاتمه ومنقصه ومؤذيه
وعقوبته وذكر استتابته وورثته

قد قدمنا ما هو سب وأذى في حقه عليه السلام وذكرنا إجماع العلماء
على قتل فاعل ذلك وقاتله أو تخيير الإمام في قتله او صلبه على ما ذكرناه
وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم أن مشهور مذهب مالك واصحابه وقول
السلف وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا إن أظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل
عندهم توبته ولا شفاعة استقالته ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه
حكم الزنديق ومستسر الكفر في هذا القول وسواء كانت توبته على هذا بعد
القدرة عليه والشهادة على قوله أو جاء تائبا من قبل نفسه لأنه حد
وجب لا تسقطه التوبة كسائر الحدود قال الشيخ أبو الحسن القابسي رحمه الله
إذا اقترن بالسب وتاب منه وأظهر التوبة قبل بالسب لأنه هو حده وقال
أبو محمد بن أبي زيد في مثله وأما بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه
وقال ابن سحنون من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب
عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل وكذلك قد اختلف في الزنديق إذا
جاء تائبا فحكى القاضي أبو الحسن بن القصار في ذلك قولين قال من

شيوخنا من قال اقتله باقراره لانه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف
حصنا انه حسي الظهور عليه فادر لذلك ومنهم من قال اقبل توبته لانه
استدل على صحتها بحيه فكانا وقفا على باطنه بخلاف من اسرته البينة
قال القاضي ابو الفضل وهذا قول اصبغ ومسلة ساب النبي اقوى لا يتصور
فيها الخلاف على الاصل المتقدم لانه حق متعلق للنبي ولامته بسببه لا
تسقطه التوبة كسائر حقوق الادميين والزنديق اذا تاب بعد القدرة
عليه فعند مالك والليث واسحق واحمد لا تقبل توبته وعند الشافعي
تقبل واختلف فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف وحكى ابن المنذر عن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه يستتاب قال محمد بن سحنون ولم يزل
القتل عن المسلم بالتوبة من سبه عليه السلام لانه لم ينتقل من دين الى
غيره وانما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو فيه لاحد كالزنديق
لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال القاضي ابو محمد بن نصر محتجا
لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على
مشهور القول باستتابته ان النبي بشر والبشر جبلت لحقهم المعرة الا
من اكرمه الله بنبوته والباري تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا وليس

من جنس تلحق المعرة بحسنه وليس سبه عليه السلام كالارتداد المقبول فيه
التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من الادميين فقبلت
توبته ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق فيه حق لادمي فكان
كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف فان توبته لا تسقط عنه حد القتل
والقذف وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنا وسرقة
وغيرها ولم يقتل ساب النبي لكفره لكن لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته وزوال
المعرة به وذلك لا تسقط بالتوبة قال القاضي ابو الفضل يريد والله اعلم
لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف
او لان توبته واظهاره انابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله اعلم بسريرته
وبقي حكم السب عليه وكلام شيوخنا هو لاء مبني على القول بقتله حدا
لا كفرا وهو يحتاج الى تفصيل واما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك
ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه وقال هم من اهل العلم فقد صرحوا انه
ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل وان ابى قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا
في هذا الوجه والوجه الاول اشهر واظهر لما قدمناه ونحن نبسط الكلام
فيه فنقول من لم ير ردة فهو يوجب القتل فيه حدا واما من يقول ذلك مع

وقال ابو عمر ان الزنديق اذا تاب قبل القدرة عليه اتفاق
وعن الاوزاعي والليث واحمد واسحق لا تقبل توبته
حقوق الادميين التي لا تسقط عن المرتد

فصلين اما مع انكاره ما شهد عليه به واظهاره الاقلاع والتوبه عنه فنقتله
حدا لثبات كلمة الكفر عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيره ما عظم
الله من حقه واجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق اذا اظهر
عليه وانكر او تاب فان قيل فكيف تثبتون عليه الكفر ويشهد عليه بكلمة
الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابه وتوابعها قلنا نحن وان ثبتنا
له حكم الكافر في القتل فلا نقطع عليه بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوه وانكاره
ما شهد به عليه او زعمه ان ذلك كان منه وهلا ومعصيه والله مطلع
عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات بعض احكام الكفر على بعض الاشخاص
وان لم تثبت له خصايصه كقتل تارك الصلاه واما من علم انه سبه معتقدا
لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك وكذلك ان كان سبه في نفسه كفرا
كتكذيبه او تكفيره ونحوه هذا ما لا اشكال فيه ويقتل وان تاب منه
لانا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبه حدا لقوله ومتقدم كفره وامره
بعد الى الله المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره وكذلك من لم يظهر التوبه
واعرف بما شهد عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله هتك حرمه
الله وحرمه نبيه يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات حمل كلام

العلماء ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها واجرا اختلافهم في الموارثه
وغيرها على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم ان شاء الله تعالى

فصل

اذا قلنا بالاستتابه حيث تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة المرتد
اذ لا فرق وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور
اهل العلم الى ان المرتد يستتاب وحكي عن الصحابه
على تصويب قول عمر في الاستتابه ولم ينكره واحد منهم وهو قول عثمان
وعلي وابن مسعود وبه قال عطاء بن ابي رباح والنخعي والثوري ومالك
واصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد واسحق واصحاب الرأي وذهب طاوس
وعبيد ابن عمير والحسن في احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب
وقاله عبد العزيز بن ابي سلمه وذكره عن معاذ والكرخي عن معاذ
وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف وهو قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه
توبته عند الله ولكن لا تدرأ القتل عنه لقوله صلى الله عليه وسلم
فاقتلوه وحكي ايضا عن عطاء ان كان ممن ولد في الاسلام لم يستتب ويستتاب
الاسلامي وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة في ذلك سواء وروي
عن علي لا تقتل المرتده وتسترق وقاله عطاء وقتاده وروي عن ابن عباس

شبكة الألوكة www.alukah.net

لا تقتل النساء في الردة وبه قال ابو حنيفه قال ملك والحر والعبد والذكر
والانثى في ذلك سواء واما مدتها فذهب الجمهور وروي عن عمر انه يستتاب
ثلاثة ايام يحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر وهو احد قولي الشافعي وقول
احمد واستحسنه ملك وقال لا ياتي الاستظهار الا بخير وليس
عليه جماعة الناس قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد يزيد في الاستتابة ثلاثا وقال
ملك ايضا الذي اخذ به في المرتد قول عمر يحبس ثلثة ايام ويعرض عليه كل يوم
فان تاب والا قتل وقال ابو الحسن ابن القصار في تاجيره ثلاثا وابان عن ملك
هل ذلك واجب او مستحب واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلاثا اصحاب
الراي وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه استتاب امراة فلم تتب
فقتلها وقاله الشافعي مرة فقال ان لم تتب مكانه قتل واستحسنه المزني
وقال الزهري يدعا الى الاسلام ثلث مرات فان ابى قتل وروي عن علي
يستتاب شهرين وقال النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري ما رجيت توبته
وحكى ابن القصار عن ابي حنيفه انه يستتاب ثلاث مرات في ثلثة ايام او ثلاث
جمع كل يوم او جمعة مرة وفي كتاب محمد عن ابن القاسم يدعا المرتد الى الاسلام
ثلاث مرات فان ابى ضربت عنقه واختلف على هذا هل يهدد او يشدد

عليه ايام الاستتابة ليتوب ام لا فقال ملك ما علمت في الاستتابة لهم
تحريعا ولا تعطيشا ويوتى من الطعام بما لا يضره وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابه
بالقتل ويعرض عليه الاسلام وفي كتاب ابي الحسن الطابي يوعظ في
تلك الايام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار قال اصبغ واي المواضع حبس فيها
من السجون مع الناس او وحده اذا استوثق منه سواء ويوقف ماله اذا خيف
ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما
ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما
رجع وارتد وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم بهمان الذي ارتد
اربع مرات او خمسا قال ابن وهب عن ملك يستتاب ابدا كلما رجع وهو قول
الشافعي واحمد وقاله ابن القاسم وقال اسحق يقتل في الرابعه وقال اصحاب
الراي ان لم يتب في الرابعة قتل دون استتابة وان تاب ضرب ضربا وجيعا
ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر ولا اعلم احدا
اوجب على المرتد في المرة الاولى ادبا اذا رجع وهو على مذهب ملك والشافعي
والكوفي فصل هذا حكم من ثبت عليه ذلك مما يجب بتوبته
من اقرار او عدول لم يدفع فيهم فاما من لم تتم الشهادة عليه بما شهد عليه
الواحد او اللفيف من الناس او ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك ان

شبكة الألوكة www.alukah.net

تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرأ عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد الامام
بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة
حاله من التهمة في الدين والتبرا بالسفه والمجون فمن قوي امره أداقه من
شديد النكال من التضييق في السجن والشد في القيود الى الغاية التي
هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يبعده عن صلاته وهو في حكم
كل من وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به لاشكال
وعايق اقتضاه امره وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله
وقد روي الوليد عن مالك والاوزاعي انها ردة فاذا تاب نكل ولمالك
في العتبية وكتاب محمد من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه
وقاله سحنون وافتى ابو عبد الله بن عتاب في من سب النبي صلى الله عليه وسلم
فشهد عليه شاهدان عدل احدهما بالادب الموجع والتنكيل والسجن الطويل
حتى تظهر توبته وقال القابسي في مثل هذا ومن كان اقصى امره القتل
فعاق عايق اشكل في القتل لم ينبغ ان يطلق من السجن ولا يسترسل
سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى ان يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق
وقال في مثله ممن اشكل امره يشد في القيود شدا ويضيق عليه في السجن
حتى

حتى يظهر فيما يجب عليه وقال في مسئلة اخرى مثلها ولا تهراق الدما الا بالامر
الواضح وفي الادب بالسوط والسجن نكال الشفهاء ويعاقب عقوبة شديدة
فاما ان لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت من عدا وهما او جرحهما اما اسقطهما
عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم عنه وكانه لم يشهد
عليه الا ان يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من اهل التبصر
فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يرفع التهمة صدقهما
وللحاكم هنا في تحمله موضع اجتهاد والله ولي الارشاد فصل
هذا حكم المسلم فاما الذمي اذا صرح بسبه او عرض او استخف بقدره او وصفه
بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة
او العهد على هذا وهو قول عامة العلماء الا اباحنيفة والثوري وابا يوسف
من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك اعظم ولكن يؤدب
ويعزر واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله وان نكثوا ايمانهم من بعد
عهدهم وطعنوا في دينكم الاية ويستدل ايضا عليه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم
لابن الاشرف واشباهه ولانا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز
لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا

ذمتهم وصاروا كفارا يقتلون لكفرهم وايضا فان ذمتهم لا تسقط حدود
الاسلام عنهم من القطع في سرقة اموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وان كان ذلك
حلالا عندهم وكذلك سبهم للنبي يقتلون به وورد لا صحابنا طوائف تقتضي
الخلاف اذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف عليها من كلام ابن القاسم
وابن شحنون بعد وحكى ابو المصعب الخلاف فيها عن اصحابه المدنيين واختلفوا
اذا سبه ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما قبله
بخلاف المسلم اذا سبه ثم تاب لانا نعلم باطنة الكافر في بغضه له ونقصه
بقلبه لكتمانه اياه من اظهاره فلم يردنا ما اظهر الا مخالفة للامر ونقضا للعهد
فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله قال الله تعالى قل للذين
كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه اذ كان ظننا
باطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الان فلم يقبل بعد رجوعه
ولا استمنا الى باطنه اذ قد بدت سرائره وما بنت عليه من الاحكام
باقية عليه لم يسقطها شيء وقيل لا يسقط اسلام الذمي الساب قتله
لانه حق للنبي صلى الله عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته ونقصه
الحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذي يسقطه

كا

كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل وقذف واذا
كان لا تقبل توبة المسلم فالا تقبل توبة الكافر اولى قال مالك في كتاب ابن حبيب
والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم
نبيا من اهل الذمة او احدا من الانبياء عليهم السلام قتل الا ان يسلم وقاله
ابن القاسم في العتبية وعند محمد وابن شحنون وقال شحنون واصبغ لا
يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة وفي كتاب محمد
اخبرنا اصبغ مالك انه قال من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او غيره
من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وروي لنا عن مالك الا ان يسلم
الكافر وقد روى بن وهب عن عمر ان راهبا تناول النبي صلى الله عليه
وسلم فقال بن عمر فهلا قتلتموه وروى عيسى عن ابن القاسم في ذمي قال
ان محمدا لم يرسل الينا انما ارسل اليكم وانما نبينا موسى او عيسى ونحو هذا لا
شيء عليهم لان الله اقرهم على مثله واما ان سبه فقال ليس بنبي او لم يرسل
او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء يقوله او نحو هذا فيقتل قال ابن القاسم
اذا قال النصراني ديننا خير من دينكم انما دينكم دين الحمير ونحو هذا من
القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم

الله فني هذا الادب الموجع والسجن الطويل قال واما ان شتم النبي صلى الله عليه
وسلم شتما يعرف فانه يقتل الا ان يسلم فالله ملك غير مرة ولم يقل يستتاب
قال ابن القاسم ومحمل قوله عندي ان اسلم طايعا وقال ابن سحنون في
سوء الاثر سليمان بن سالم في اليهودي يقول للمؤذن اذا تشهد كذبت
يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل وفي النوادر من روايه سحنون
عنه من شتم الانبياء من اليهود والنصاري غير الوجه الذي به كفروا ضرب
عنقه الا ان يسلم قال محمد بن سحنون فان قيل لم قتلته في سب النبي صلى الله
عليه وسلم ومن دينه سبه وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك
ولا على قتلنا واخذ اموالنا فاذا قتل واحدا منا قتلناه وان كان من دينه
استحلاله فكذلك اطهاره لسب نبينا قال سحنون كما لو بدل لنا اهل
الحرب الجزية على اقرارهم على سبه لم يحل لنا ذلك في قول قايل لذلك ينتقض
عهد من سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الاسلام من سبه من القتل
كذلك لا تحصنه الذمة قال القاضي ابو الفضل ما ذكره بن سحنون
عن سبه وعن ابيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما
به كفروا فانما يدل على انه خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك فحكي

ابو المصعب الزهري قال اتيت بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد فاحلف
علي فيه فضربته حتى قتلته او عاش يوما وليلة وامرت من حز برجله وطرح
على مزبلة فاكلته الكلاب وسئل ابو المصعب عن نصراني قال عيسى خلق محمدا
فقال يقتل وقال ابن القاسم سألنا مالكا عن نصراني بمصر شهد عليه انه قال
مسكين محمد يخبركم انه في الجنة ما له لم ينفع نفسه اذ كانت الكلاب تاكل
ساقيه لو قتلوه استراح منه الناس قال ملك اري ان يضرب عنقه قال
ولقد كدت ان لا اتكلم فيها ثم رايت انه لا يسعني الصمت قال ابن حبابه في المبسوطه
من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى فاري للامام ان
يحرقه بالنار وان شاء قتله بحرق حتفه وان شاء حرقه بالنار حيا اذا تهافتوا
في سبه ولقد كتب الي ملك من مصر وذكر مسئلة بن القاسم المتقدمة قال
فامرني ملك فكتبت بان يقتل وان يضرب عنقه فكتبت ثم قلت يا اعز الله
فاكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق بذلك وما اولاه فكتبته بين يديه
فما انكره ولا عابه ونفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق وافتى عيسى الله
بن يحيى وابن لبابة في جماعة سلف اصحابنا الاندلسيين بقتل نصراني
استهلت بغي الربوبية وسوء عيسى الله وتكذيب محمد في النبوة وبقبول اسلامها

شبكة الألوكة www.alukah.net

وَدَرْءِ الْقَتْلِ عَنْهُ بِإِسْلَامِهِ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْهُمُ الْقَابِسِيُّ وَابْنُ الْكَاتِبِ وَقَالَ
أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْجَلَّابِ فِي كِتَابِهِ مَنْ سَبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ مُسْلِمٍ أَوْ كَافِرٍ قُتِلَ وَلَا
يُسْتَتَابُ وَحَكَى الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ فِي الذِّمِّيِّ يَسُبُّ رِوَايَتَيْنِ فِي دَرْءِ الْقَتْلِ عَنْهُ بِإِسْلَامِهِ
وَقَالَ ابْنُ سَحْنُونٍ وَحَدُّ الْقَذْفِ وَشِبْهُهُ مِنْ حُقُوقِ الْعِبَادِ لَا يَسْقُطُهُ عَنِ الذِّمِّيِّ
إِسْلَامُهُ وَإِنَّمَا يَسْقُطُ عَنْهُ بِإِسْلَامِهِ حُدُودُ اللَّهِ فَأَمَّا حَدُّ الْقَذْفِ فَحَقٌّ لِلْعِبَادِ
كَانَ ذَلِكَ لِنَبِيٍّ أَوْ غَيْرِهِ فَأَوْجَبَ عَلَى الذِّمِّيِّ إِذَا قَذَفَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ثُمَّ أَسْلَمَ حَدَّ الْقَذْفِ وَلَكِنِ انْظُرْ مَا دَاعِيَ عَلَيْهِ هَلْ حَدُّ الْقَذْفِ فِي حَقِّ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الْقَتْلُ لِإِرَادَةِ حُرْمَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَى غَيْرِهِ أَمْ هَلْ يَسْقُطُ الْقَتْلُ بِإِسْلَامِهِ وَيُحَدُّ تَمَادَيْ فَتَأَمَّلْهُ

فَصْلٌ فِي مِيرَاثِ مَنْ قُتِلَ بِسَبِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَغُسْلِهِ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي مِيرَاثِ مَنْ قُتِلَ بِسَبِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَهَبَ سَحْنُونٌ إِلَى أَنَّهُ لِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قِبَلِ أَنَّ شَتْمَ النَّبِيِّ كُفْرٌ
شِبْهُ كُفْرِ الزَّنْدَقَةِ وَقَالَ أَصْبَغُ مِيرَاثُهُ لِوَرَثَتِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِنْ كَانَ مُشْتَهِرًا
بِذَلِكَ وَإِنْ كَانَ مُظْهِرًا لَهُ مُسْتَهِلًّا بِهِ فَمِيرَاثُهُ لِلْمُسْلِمِينَ وَيُقْتَلُ عَلَى كُلِّ حَالٍ
وَلَا يُسْتَتَابُ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْقَابِسِيُّ إِنْ قُتِلَ وَهُوَ مُنْكِرُ الشَّهَادَةِ فَالْحُكْمُ فِي مِيرَاثِهِ

عَلَى مَا أَظْهَرَ مِنْ إِقْرَارِهِ يَعْنِي لِوَرَثَتِهِ وَالْقَتْلُ حَدٌّ ثَبَتَ عَلَيْهِ لَيْسَ مِنَ الْمِيرَاثِ
فِي شَيْءٍ وَكَذَلِكَ لَوْ أَقَرَّ بِالسَّبِّ وَأَظْهَرَ التَّوْبَةَ لَقُتِلَ إِذْ هُوَ حَدٌّ وَحُكْمُهُ فِي مِيرَاثِهِ
وَسَائِرِ أَحْكَامِهِ حُكْمُ الْإِسْلَامِ وَلَوْ أَقَرَّ بِالسَّبِّ وَتَمَادَيْ عَلَيْهِ وَأَبَا التَّوْبَةَ مِنْهُ
فَقُتِلَ عَلَى ذَلِكَ كَانَ كَافِرًا وَمِيرَاثُهُ لِلْمُسْلِمِينَ وَلَا يُغَسَّلُ وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ
وَلَا يُكَفَّنُ وَتُسْتَرُ عَوْرَتُهُ وَيُوَارَى كَمَا يُفْعَلُ بِالْكُفَّارِ وَقَوْلُ الشَّيْخِ أَبُو الْحَسَنِ
فِي الْمُجَاهِرِ الْمُتَمَادِي بَيِّنٌ لَا يُمْكِنُ الْخِلَافُ فِيهِ لِأَنَّهُ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ غَيْرُ تَائِبٍ وَلَا
مُقْلِعٍ وَهُوَ قَوْلُ أَصْبَغَ وَكَذَلِكَ فِي كِتَابِ ابْنِ سَحْنُونٍ فِي الزَّنَادِيقِ تَمَادَيْ عَلَى قَوْلِهِ
وَمِثْلُهُ لِابْنِ الْقَاسِمِ فِي الْعُتْبِيَّةِ وَلِجَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ فِي كِتَابِ ابْنِ
حَبِيبٍ فِيمَنْ أَعْلَنَ كُفْرَهُ مِثْلُهُ قَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ وَحُكْمُهُ حُكْمُ الْمُرْتَدِّ لَا تَرِثُهُ
وَرَثَتُهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا مِنْ أَهْلِ الدِّينِ الَّذِي ارْتَدَّ إِلَيْهِ وَلَا تَجُوزُ وَصَايَاهُ وَلَا
عِتْقُهُ وَقَالَهُ أَصْبَغُ قُتِلَ عَلَى ذَلِكَ أَوْ مَاتَ عَلَيْهِ وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ أَبِي زَيْدٍ
وَإِنَّمَا يُخْتَلَفُ فِي مِيرَاثِ الزِّنْدِيقِ الَّذِي يُسْتَهَلُّ بِالتَّوْبَةِ فَلَا يُقْبَلُ مِنْهُ فَأَمَّا
الْمُتَمَادِي فَلَا خِلَافَ أَنَّهُ لَا يُورَثُ وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ فِي مَنْ سَبَّ اللَّهَ تَعَالَى
ثُمَّ مَاتَ وَلَمْ يُعْلَمْ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ أَوْ لَمْ تُقْبَلْ أَنَّهُ يُصَلَّى عَلَيْهِ وَرَوَى أَصْبَغُ عَنِ
ابْنِ الْقَاسِمِ فِي كِتَابِ ابْنِ حَبِيبٍ فِيمَنْ كَذَّبَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

شبكة الألوكة www.alukah.net

أو أعلن دينا مما يفارق به الإسلام أن ميراثه للمسلمين وقال بقول ملك
أن ميراث المرتد للمسلمين ولا يرثه ورثته وبه قال الشافعي وأبو ثور
وابن أبي ليلى واختلف فيه عن أحمد وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه
وابن مسعود وابن المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز
والحكم والأوزاعي والليث وإسحق وأبو حنيفة يرثه ورثته من المسلمين
وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما يكسبه في الإرتداد للمسلمين
وتفصيل أبي الحسن في باقي جوابه حسن بين وهو على رأي أصبغ وخلاف
قول سحنون واختلافهما على قول ملك في ميراث الزنديق فمرة ورثته
ورثته من المسلمين قامت عليه بذلك بينة فأنكرها أو أعترف بذلك
واظهر التوبة وقاله أصبغ ومحمد بن مسلمة وغير واحد من أصحابه لأنه مظهر
للإسلام بإنكاره أو توبته وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى بن نافع عنه في العتبية
وكتاب محمد أن ميراثه لجماعة المسلمين لأن ماله تبع لدمه وقال به أيضا
جماعة من أصحابه وقاله اشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون
وذهب بن قاسم في العتبية إلى أنه إن اعترف بما شهد عليه به وتاب

فقتل

قتل ولا يورث وإن لم يقر حتى قتل أو مات ورث قال وكذلك
كل من أسر كفرا فإنهم يتوارثون بوراثة الإسلام وسئل أبو القاسم
بن الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل هل
يرثه أهل دينه أم المسلمون فأجاب أنه للمسلمين ليس على هذه الميراث لأنه
لا توارث بين أهل ملتين ولكن لابد من فيئهم لمقتضى العهد هذا معنى
قوله واختصاره

الباب الثالث

في حكم من سب الله تعالى وملائكته وأنبياءه وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه وصحبه

لا خلاف أن ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم واختلف
في استتابته فقال بن القاسم في المبسوط وفي كتاب ابن سحنون ومحمد
ورواه ابن القاسم عن ملك في كتاب إسحق بن يحيى من سب الله
تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا أن يكون افتراء على الله بإرتداده
إلى دين دان به وأظهره فيستتاب وإن لم يظهره لم يستتب وقال في

المبسوطة مطرف وعبد الملك مثله وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن أبي
حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني
فإن تابوا قتل منهم وإن لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك كله كالردة
وهو الذي حكاه القاضي ابن نصر عن الذهب وأفتى أبو محمد بن أبي زيد
فيما حكي عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله تعالى فقال إنما أردت أن اللعن
الشيطان فرد لساني فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره وأما فيما
بينه وبين الله فمعذور واختلف فقهاء قرطبة في مسئلة هرون بن حبيب
أخي عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد
عليه بشهادات منها أنه قال عند استثقاله من مرض لقيت في مرضي هذا
ما لو قلت أبا بكر وعمر لم أستوجب هذا كله فأفتى إبراهيم بن حسن بن خالد
بقتله وإن مضمن قوله تجويز لله تعالى وتظلم والتعريض فيه كالتصريح
وأفتى أخوه عبد الملك بن حبيب وابراهيم بن حسن بن عاصم وسعيد بن سليمان
القاضي بطرح القتل عنه إلا أن القاضي رأى عليه الاستقبال في الحبس
والسنة في الأدب لاحتمال كلامه وصرفه إلى التشكي فوجه من قال في
باب الله تعالى بالاستتابة أنه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق

لغير الله فأشبه قصد الكفر بغير سب الله واظهار الانتقال إلى دين آخر
من الأديان المخالفة للإسلام ووجه ترك استتابته أنه لما ظهر منه ذلك بعد
إظهار الإسلام قبل اتهمناه وظننا أن لسانه لم ينطق به إلا وهو معتقد له
إذ لا يتساهل في هذا أحد فحكم له بحكم الزنديق ولم يقبل توبته وإذا انتقل
من دين إلى آخر وأظهر السب بمعنى الارتداد هذا قد علم أنه خلع ربقة
الإسلام من عنقه بخلاف الأول المتمسك به وحكم هذا حكم المرتد
يستتاب على مشهور مذاهب أكثر العلماء وهو مذهب مالك وأصحابه
على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف في أصوله فصل
وأما من أضاف إلى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة
وقصد الكفر ولكن على طريق التأويل والاجتهاد والخطاء المفضي إلى الهوى
والبدعة من تشبيه أو نفي بجارحة أو نفي صفة كمال فهذا مما اختلف
السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده واختلف قول مالك وأصحابه
في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم إذا تحيزوا فئة وأنهم يستتابون فإن تابوا
وإلا قتلوا وإنما اختلفوا في المنفرد منهم فأكثر قول مالك وأصحابه ترك
القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم وإطالة سجنهم حتى يظهر

اقلاعهم وتستتيبن توبتهم كما فعل عمر بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج
وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون في جميع اهل الاهواء وبه فسر
قول مالك في الموطا وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وحده وعمه من قولهم في
القدرية يستتابون فان تابوا والا قتلوا وقال عيسى عن ابن القاسم في اهل
الاهواء من الاباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل البدع
والتحريف لتاويل كتاب الله يستتابون اظهروا ذلك او اسروه فان تابوا
والا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله ايضا ابن القاسم في كتاب محمد
في اهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه
ومثله له في المبسوط في الاباضية والقدرية وسائر اهل البدع قال
وهم مسلمون وانما قتلوا لرايهم السوء وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز
قال ابن القاسم من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما استتيب
فان تاب والا قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير
امثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة وقد روى ايضا عن سحنون
مثله فيمن قال ليس لله كلام انه كافر واختلف الروايات عن مالك
فاطلق في رواية الشاميين ابي مسهر ومروان بن محمد الطاطري الكفر

عليهم وقد شوور في رواح القدري فقال لا تزوجه قال الله ولعبد مؤمن
خير من مشرك وروي عنه ايضا اهل الاهواء كلهم كفار وقال من وصف
شيئا من ذات الله تعالى واشار الى شيء من جسده يد او سمع او بصر
قطع ذلك منه لانه شبه الله بنفسه وقال فيمن قال القرآن مخلوق كافر
فاقتلوه وقال ايضا في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية
بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل ولا تقبل توبته قال القاضي ابو عبد الله
البرتكاني والقاضي ابو عبد الله التستري من ائمة العراقيين حواله مختلف
يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف قوله في اعادة الصلاة
خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري واكثر اقوال السلف
تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة وابن الهيعة روي عنهم ذلك فيمن
قال بخلق القرآن وقاله ابن المبارك والاودي ووكيع وحفص بن غياث
وابو اسحق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في اخرين وهو من قول
اكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية اهل
الاهواء المضلة واصحاب البدع المتاولين وهو قول احمد بن حنبل وكذلك
قالوا في الواقفة والشاكة في هذه الاصول ممن روي عنه معنى القول

شبكة الألوكة www.alukah.net

الآخر بتكفيرهم علي بن ابي طالب وابن عمر والحسن البصري وهو راي جماعة
من الفقهاء النظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين ورثة
اهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وحرب
احكام الاسلام عليهم قال اسمعيل القاضي وانما قال مالك في القدرية
وسايراهل البدع يستتابون فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد في الارض
كما قال في المحارب ان راى الامام قتله وان لم يقتل قتله وفساد المحارب
انما هو في الاموال ومصالح الدنيا وان كان قد يدخل ايضا في امر الدين
من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل
في امر الدنيا بما يلقون من المسلمين من العداوة

فصل

في تحقيق القول في اكفار المتاولين قد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار
اصحاب البدع والاهواء المتاولين ممن قال قولا يؤدي مساقه الى كفر
هو اذا وقف عليه لا يقول بما يؤدي قوله اليه وعلى اختلافهم اختلف
الفقهاء والمتكلمون في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور
من السلف ومنهم من اباه ولم ير اخراجهم من سواد المؤمنين وهو قول
اكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة ضلال ونوارثهم

من المسلمين ويحكم لهم باحكامهم وبهذا قال سحنون لا اعادة على من صلى خلفهم
قال وهو قول جماعة اصحاب مالك المغيرة وابن كنانة واشهب قال لانه مسلم
وذنبه لم يخرجه من الاسلام واضطرب اخرون في ذلك ووقفوا عن القول
بالتكفير او ضده واختلاف قولي مالك في ذلك ووقفه عن اعادة الصلاة
خلفهم منه واليه يحوم من هذا ذهب القاضي ابو بكر امام اهل التحقيق والحق
وقال انها من المعوصات اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا
يؤدي اليه واضطرب قوله في المسئلة على نحو اضطراب قول امامه مالك
بن انس حتى قال في بعض كلامه انهم على راي من كفرهم بالتاويل لا تحل
مناكحتهم ولا اكل ذبايحهم ولا الصلاة على ميتهم ويختلف في موارثهم على
الخلاف في ميراث المرتد وقال ايضا يورث ميتهم ورثتهم من المسلمين
ولا يورثهم من المسلمين واكثر ميله الى ترك التكفير بالمال وكذلك اضطرب
فيه قول شيخه ابي الحسن الاشعري واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر
خصلة واحدة وهو الجهل بوجود الباري تعالى وقال مرة من اعتقد ان الله
جسم او المسيح او بعض من يلقاه في الطرق فليس بعارف به وهو كافر
ولمثل هذا ذهب ابو المعالي رحمة الله في اجوبته لابي محمد عبد الحق وكان

شبكة الألوكة www.alukah.net

سأله عن المسئلة فاعتذر له فإن الغلط فيها يصعب لأن إدخال كافر في الملة
أو إخراج مسلم عنها عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين الذي
يجب الاحتراز من التكفير في أهل التأويل فإن استباحة دماء المصلين
الموحدين خطر والخطأ في ترك ألف كافر أهون من الخطأ في سفك
محجمة من دم مسلم واحد وقد قال عليه السلام فإذا قالوها يعني الشهادة عصموا
مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله فالعصمة مقطوع بها مع
الشهادة ولا ترتفع ويستباح حلالها إلا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس
عليه وألفاظ الأحاديث الواردة في الباب معرضة للتأويل فما جاء
منها في التصريح بكفر القدرية وقوله لا شهم لهم في الإسلام وتسميته
الرافضة بالشرك وإطلاق اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج وغيرهم
من أهل الأهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجب الاخر عنها
بأنه قد ورد مثل هذه الألفاظ في الحديث في غير الكفر على طريق
التغليظ وكفر دون كفر وإشراك دون إشراك وقد ورد مثله
في الرياء وعقوق الوالدين والزوج وغير معصية وإذا كان محتملا للأمرين
فلا يقطع على أحدهما إلا بدليل قاطع وقوله في الخوارج هم من شر البرية وهذه

صفة الكفار وقال شر قتيل تحت أديم السماء طوبى لمن قتلهم أو قتلوه وقال
فإذا وجدتموهم فاقتلوهم فتل عاد وظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم
بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الاخر ما ذلك من قتلهم لخروجهم
على المسلمين وبغيهم عليهم بدليله من الحديث نفسه يقتلون أهل الإسلام
فقتلهم هاهنا حد لا كفر وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا للقول وليس
كل من حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه بقول خالد في الحديث دعني أضرب
عنقه يا رسول الله فقال لعله يصلي فإن احتجوا بقوله عليه السلام يقرؤون
القرآن لا يجاوز حناجرهم فاخبر أن الإيمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله
يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه حتى يعود السهم
على فوقه وبقوله سبق الفرث والدم يدل على أنه لم يتعلق من الإسلام
بشيء أجابة الآخرون ان معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم
ولا تشرح له صدورهم ولا تعمل به جوارحهم وعارضوهم بقوله وتمارق
في الفوق وهذا يقتضي التشكك في حاله وأن احتجوا بقول ابي سعيد
الخدري في هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يخرج في هذه الامة ولم يقل من هذه وتحرير ابي سعيد الرواية وانقياد اللفظ

شبكة الألوكة www.alukah.net

أجابهم الآخرون بأن العبارة بهي لا يقتضي تصريحا بكونهم من غير الأمة بخلاف
لفظة من التي هي للتبعيض وكونهم من الأمة مع أنه قد روي عن أبي ذر
وعلي وأبي أمامة وغيرهم في هذا الحديث يخرج من أمتي وسيكون
من أمتي وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على إخراجهم من الأمة بهي ولا
على إدخالهم فيها من لكن أبا سعيد رضي الله عنه أحاد ما شاء في
التنبيه الذي نبه عليه وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم
للمعاني واستنباطها من الألفاظ وتحريرهم لها وتوقيهم في الرواية هذه
المذاهب المعروفة لأهل السنة ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة
سخيفة أقربها قول جهم ومحمد بن شبيب أن الكفر بالله المجهل به لا يكفر
أحد بغير ذلك وقال أبو الهذيل أن كل متأول كان تأويله تشبيها لله
بخلقه وتجويزا له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من أثبت شيئا
قديما لا يقال له الله فهو كافر وقال بعض المتكلمين أن كان ممن عرف
الأصل وبني عليه وكان فيما هو من أوصاف الله فهو كافر وإن لم
يكن من هذا الباب ففاسق إلا أن يكون ممن لم يعرف الأصل فهو مخطئ
غير كافر وذهب عبد الله بن الحسن العنبري إلى تصويب أقوال المجتهدين

في أصول الدين فيما كان عرضة للتأويل وفارق في ذلك فرق الأمة
إذ أجمعوا سواه على أن الحق في أصول الدين في واحد والمخطئ فيه
آثم عاص فاسق وإنما الخلاف في تكفيره وقد حكى القاضي أبو بكر
الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود الأصبهاني قال وحكى قوم عنهما
أنهما قالا ذلك في كل من علم الله من حاله استفراغ الوسع في طلب الحق
من أهل ملتنا أو من غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ وتمامه في أن
كثيرا من العامة والنساء والبله ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم
لا حجة لله عليهم إذا لم تكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحى
الغزالي قريبا من هذا المنحى في كتاب التفرقة وقال هذا كله كافر
بالإجماع على كفر من لم يكفر أحدا من النصارى واليهود وكل من فارق دين
المسلمين أو وقف في تكفيرهم أو شك قال القاضي أبو بكر لأن التوقيف
والإجماع على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب النص والتوقيف أو شك
فيه والتكذيب والشك فيه لا يقع إلا من كافر

فصل في بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف أو يختلف
فيه وما ليس بكفر اعلم أن تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه

شبكة الألوكة www.alukah.net

مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل البين في هذا ان كل مقالة
صرحت بنفي الربوبية او الوحدانية او عبادة احد غير الله او مع الله فهي
كفر كقالة الدهرية وساير فرق اصحاب الاثنين من الديصانية والمانوية
واشباههم من الصابئين والنصاري والمجوس والذين اشركوا بعبادة
الاوثان او الملئكة والشياطين والشمس او النجوم او النار او احد
غير الله من مشركي العرب واهل الهند والصين والسودان وغيرهم
ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة واصحاب الحلول والناسخ من
الباطنية والطيارة من الروافض وكذلك من اعترف بالهية الله
ووحدانيته ولكنه اعتقد انه غير حي او غير قديم وانه محدث او مصور
او ادعى له ولدا او صاحبة او والدا او انه متولد من شيء او كائن عنه
او ان معه في الازل شيئا قديما غيره او انه صانع للعالم سواه او مدبرا
غيره فذلك كله كفر باجماع المسلمين كقول الاهليين من الفلاسفة
والمنجمين والطبايعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج اليه
ومكالمته او حلوله في احد الاشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية
والنصاري والقرامطة وكذلك يقطع على كفر من قال بقدم العالم او ببقائه

او شك

٤٢١

او شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية او قال بتناسخ الارواح
واستقالها ابدا الاباد في الاشخاص وتعذيبها او تنعمها فيها بحسب ركابها
وجنتها وكذلك من اعترف بالالهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة من اصلها
عموما او نبوة نبينا خصوصا او احدا من الانبياء الذين نص الله عليهم بعد علمه
بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعطم اليهود والاروسية من النصاري
والغرابية من الروافض الزاعمين ان عليا كان المبعوث اليه جبريل وكالمعطلة
والقرامطة والاسماعيلية والعبرية من الراوندية وان كان بعض هؤلاء
قد اشركوا في كفرا خر مع من قبلهم وكذلك من دان بالوحدانية وصحة
النبوة ونبوة نبينا محمد عليه السلام ولكن جحد على الانبياء الكذب فيما
اتوا به ادعاء في ذلك المصلحة برعمه او لم يدع فهو كافر باجماع كالمتفلسفين
وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة واصحاب الاباحة فان هؤلاء
زعموا ان ظواهر الشرع واكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار عما كان ويكون
من امور الاخرة والحشر والعقبة والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى
لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بها الخلق على وجه المصلحة لهم اذ
لم يمكنهم التصريح لقصور افهامهم فضمن مقالاتهم ابطال الشرايع وتعطيل

والأرباب

الأوامر والنواهي وتكذيب الرسل فيما اتوا به وكذلك من اضاف الى نبينا

تعمد الكذب فيما بلغه واخبر به او شك في صدقه او سبه او قال انه لم يبلغ

او استخف به او باحد من الانبياء او ازرى عليهم او اذاهم او قتل نبيا او جاريه

فهو كافر باجماع وكذلك كفر من ذهب مذهب بعض القدماء في ان في كل جنس

من الحيوانات نذيرا او نبيا من القرد والخنازير والدواب والدود ويحتج بقوله

يؤدي

تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير اذ ذلك الى ان يوصف انبياء هذه

الاجناس بصفاتهم المذمومة وفيه من الازراء على هذا المنصب الشريف ما فيه

مع اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله وكذلك نكفر من اعترف من

الاصول الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا عليه السلام ولكن قال كان اسود

اوماتا قبل ان يلتحي وليس الذي كان بمكة والحجاز اوليس بقرشي لان

وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به وكذلك من ادعى نبوة احد

مع نبينا عليه السلام او بعده كالعيسوية من اليهود القائلين بتخصيص رسالته

الى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل وكاكثر الراوندية القائلين

بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده وكذلك كل امام عند

هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة وكالزيدية والبيانية منهم القائلين

نبوة

بنبوة بزيغ وبيان واشباههم هؤلاء او من ادعى النبوة لنفسه او جوز اكتسابها

والبلوغ بصفاء القلب الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة وكذلك

من ادعى منهم انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة او انه يصعد الى السماء

ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهؤلاء كلهم كفار

مكذبون النبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عليه السلام انه خاتم النبيين

ولا نبي بعده واخبر عن الله انه خاتم النبيين وانه ارسل كافة للناس

واجمعت الامة على حمل هذا الكلام على ظاهره وان مفهومه المراد به دون

تأويل ولا تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعا اجماعا وسمعا

وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب او خص حديثا

مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بابطال

الرجم وهذا تكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل او وقف فيهم او شك

او صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام واعتقد ابطال كل مذهب سواه

فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قال

قولا يتوصل به الى تضليل الامة وتكفير جميع الصحابة كقول الكيلية من

الراوندية بتكفير جميع الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم نقدم عليا

شبكة الألوكة www.alukah.net

وكفرت عليا إذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا من
وجوه لأنهم أبطلوا الشريعة بأسرها إذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن إذ ناقلوه
كفرة على زعمهم وإلى هذا والله أعلم أشار ملك في أحد قوليه بقتل من
كفر الصحابة ثم كفروا من وجه آخر بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم على
مقتضى قولهم وزعمهم أنه عهد إلى علي وهو يعلم أنه يكفر بعده على قولهم لعنة
الله عليهم وصلى على رسوله وآله وكذلك تكفر بكل فعل أجمع المسلمون
أنه لا يصدر إلا من كافر وإن كان صاحبه متحرجا بالإسلام مع فعله ذلك
كالسجود للصنم أو للشمس والقمر والصليب والنار والسعي إلى
البعل كالسجود للصنم والسعي مع أهلها بزيهم من شد الزنار وجز الرؤوس فقد
أجمع المسلمون أن هذه لا توجد إلا من كافر وإن هذه الأفعال علامة
على الكفر وإن صرح فاعلها بالإسلام وكذلك أجمع المسلمون على تكفير
كل من استحل القتل أو شرب الخمر والزنا مما حرم الله بعد علمه بتحريمه
كأصحاب الإباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة وكذلك نقطع بتكفير
كل من كذب وأنكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر
من فعل الرسول ووقع الإجماع المتصل عليه كمن أنكر وجوب الخمس الصلوات

وعدد

وعدد ركعاتها وسجداتها ويقول إنما أوجب الله علينا في كتابه الصلاة
على الجملة وكونها خمسا على هذه الصفات والشروط لا أعلمه إذ لم يرد
فيه في القرآن نص جلي ولا خبر به عن الرسول خبر واحد وكذلك أجمع
على تكفير من قال من الخوارج أن الصلاة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية
في قولهم أن الفرائض أسماء رجال أمروا بولايتهم والخبائث والمحارم أسماء
رجال أمروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة أن العبادة وطول المجاهدة
إذا صفت نفوسهم أفضت بهم إلى إسقاطها وإباحة كل شيء لهم ورفع عهد
الشرائع عنهم وكذلك إن أنكر منكر مكة أو البيت أو المسجد الحرام
أو صفة الحج وقال الحج واجب في القرآن واستقبال القبلة كذلك ولكن
كونه على هذه الهيئة المتعارفة وأن تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد
الحرام لا أدري هل هي تلك أو غيرها ولعل القائلين أن النبي صلى الله عليه وسلم
فترها بهذه التفاسير غلطوا وهموا فهذا ومثله لا مرية في تكفيره وإن
كان ممن يطرأ به علم ذلك وممن خالط المسلمين وامتدت صحبته لهم إلا أن يكون
حديث عهد بإسلام فيقال له سبيلك أن تسأل عن هذا الذي لم تعلمه بعد كافة
المسلمين ولا تخذ بينهم خلافا كافة عن كافة إلى معاصري الرسول صلى الله

شبكة الألوكة www.alukah.net

عليه وسلم أن هذه الأمور كما قيل لك وإن تلك البقعة هي مكة والبيت الذي
فيها هي الكعبة والقبلة التي صلى لها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون
وحجوا إليها وطافوا بها وإن تلك الأفعال هي صفة عبادة الحج المرادة وهي
التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وأن صفات الصلوات
المذكورة هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله بذلك
وأبان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا يرتاب بذلك بعد والمرتاب
في ذلك أو المنكر بعد البحث وصحة المسلمين كافر باتفاق لا يعذر بقوله
لا أدري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب إذ لا يمكن أنه
لا يدري وأيضا فإنه إذا جوز على جميع الأمة الوهم والغلط فيما نقلوه من
ذلك وأجمعوا أنه قول الرسول وفعله وتفسير مراد الله به إدخل
الاسترابة في جميع الشريعة إذ هم الناقلون لها وللقرآن والخلل عربي
الدين كثرة ومن قال هذا كافر وكذلك من أنكر القرآن أو حرفا منه
أو غير شيئا منه أو زاد فيه كفعل الباطنية والإسماعيلية وزعم أنه
ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم أو ليس فيه حجة ولا معجز كقول هشام
الفوطي ومعمر الضمري أنه لا دليل على الله ولا حجة فيه لرسوله ولا يدل على

ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بذلك القول وكذلك تكفيرهما
بإنكارهما أن يكون في سائر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم حجة له أو في
خلق السموات والأرض دليل على الله لمخالفتهم الإجماع والنقل المتواتر عن
النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح القرآن به وكذلك
من أنكر شيئا مما نص فيه القرآن بعد علمه أنه من القرآن الذي في أيدي
الناس ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالإسلام واحتج
لإنكاره إما بأنه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به أو لتجويز الوهم على ناقليه
فكفره بالطريقين المتقدمين لأنه مكذب للقرآن مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم
لكنه تستر بدعواه وكذلك من أنكر الجنة والنار أو البعث والحساب
والقيمة فهو كافر بإجماع للنص عليه وإجماع الأمة على صحة نقله متواترا وكذلك
من اعترف بذلك ولكنه قال إن المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب
والعقاب معنى غير ظاهره وأنها لذات روحانية ومعان باطنة كقول
النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعم أن معنى القيمة
الموت أو فناء محض وانتقاض هيئة الأفلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة
وكذلك يقطع بكفر غلاة الرافضة في قولهم إن الأئمة أفضل من الأنبياء

فاما من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار والسير والبلاد التي لا ترجع الى
ابطال شريعة ولا تفضي الى انكار قاعدة من الدين كانكار غزوة تبوك
او موتة او وجود ابي بكر وعمر او فعل عثمان وخلافة علي مما علم بالنقل
ضرورة وليس في انكاره جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك
وانكار وقوع العلم له اذ ليس في ذلك اكثر من المباهتة كانكار هشام
وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي من حاربه فاما ان ضعف ذلك من احل تهمة
للناقلين وهم المسلمين اجمع فتكفيره بذلك لسريانه الى ابطال الشريعة فاما
من انكر الاجماع المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع فاكثر
المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف
الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه عموما وحجتهم قوله
تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى الاية وقوله عليه السلام
من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وحكوا
الاجماع على تكفير من خالف الاجماع وذهب اخرون الى الوقوف عن القطع
بتكفير من خالف الاجماع الذي يختص بنقله العلماء وذهب اخرون الى
التوقف في تكفير من خالف الاجماع الكائن عن فطر لتكفير النظام

باكاره

باكاره الاجماع لانه بقوله هذا مخالف اجماع السلف على احتجاجهم به خارق
للاجماع قال القاضي ابو بكر القول عندي ان الكفر بالله هو الجهل
بوجوده والايمان به هو العلم بوجوده وانه لا يكفر احد بقول ولا
راي الا ان يكون هو الجهل بالله فان عصى بقول او فعل نص الله ورسوله
او اجمع المسلمون انه لا يوجد الا من كافر او يقوم دليل على ذلك فقد
كفر ليس لاجل قوله او فعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله
لا يكون الا باحد ثلاثة امور احدها الجهل بالله تعالى والثاني ان يأتي
فعلا او يقول قولا لخبر الله ورسوله او يجمع المسلمون ان ذلك لا
يكون الا من كافر كالسجود للصنم والمشي الى الكنايس بالزنار مع
اصحابها في اعيادهم او يكون ذلك القول او الفعل لا يمكن معه العلم
بالله قال فهذان الضربان وان لم يكونا جهلا بالله فهما علم ان فاعلهما
كافر منسلخ من الايمان فاما من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية
او جحدها مستبصرا في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا
متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى فقد نص ائمتنا
على الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها وعلى

هذا أجل قول سخنون من قال ليس لله كلام هو كافر وهو لا يكفر المتأولين
كما قدمناه فأما من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء ها هنا
فكفره بعضهم وحكي ذلك عن أبي جعفر الطبري وغيره وقال به أبو الحسن
الأشعري مرة وذهب طائفة إلى أن هذا لا يخرجه عن اسم الإيمان وإليه
رجع الأشعري قال لأنه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا
وشرعا وإنما الكفر من اعتقد أن مقاله حق واحتج هؤلاء بحديث السوداء
وأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما طلب منها التوحيد لا غير وبحديث القايل
لئن قدر الله علي وفي رواية فيه لعلي أضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا
ولو بوحث أكثر الناس عن الصفات وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها إلا
القليل وقد اجاب الآخر عن هذا الحديث بوجوه منها أن قدر معناه ضيق
أي لعل الله يضيق علي ولا يقدر ولا يكون شك في القدرة على إحيائه بل في نفس البعث الذي لا يعلم
إلا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك
فيه حينئذ كفرا فأما ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات العقول أو يكون
قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه إزراء عليها وغضبا لعصيانها
وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى

عليه من الجزع والخشية التي أذهلت لبه فلم يؤاخذ به وقيل بل هذا في
زمن الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذي
صورته الشك ومعناه التحقيق وهو بسبي تجاهل العارف وله امثلة
في كلامهم كقوله لعله يتذكر او يخشى وقوله وإنا أو إياكم لعلى هدى او
في ضلال مبين فأما من اثبت الوصف ونفى الصفة فقال أقول عالم ولكن
لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا في سايرالصفات على مذهب
المعتزلة فمن قال بالمآل لما يؤدي إليه قوله ويسوقه إليه مذهبه كفره
لأنه إذا نفى العلم اثبتني وصف عالم إذ لا يوصف بعالم إلا من له علم
فكأنهم صرحوا عنده بما أدى إليه قولهم وهكذا عند هذا سائر فرق أهل التأويل
من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم يراجعهم بمآل قولهم ولا الزمهم
موجب مذهبهم لم ير إكفارهم قال لأنهم إذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول
ليس بعالم ونحن نستغني عن القول بالمآل الذي ألزمتموه لنا ونعتقد نحن
وأنتم أنه كفر بل نقول ان قولنا لا يؤول إليه على ما أصلناه فعلى
هذين المأخذين اختلف الناس في اكفار اهل التأويل وإذا فهمت هذا اتضح
لك الموجب لاختلاف الناس فيه في ذلك والصواب ترك إكفارهم والإعراض

عن أحكامهم عليهم بالخسران واجراء حكم الاسلام عليهم في قصاصهم وموارثاتهم
ومناكحاتهم ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم
لكنهم يغلظ عليهم بوجع الأدب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن
بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر الاول فيهم فقد كان نشأ على زمن الصحابة
وبعدهم في التابعين من قال بهذه الاقوال من القدر ورأي الخوارج والاعتزال
فما أزاحوا لهم قرًا ولا قطعوا لاحد منهم بيرًا لكنهم هجروهم وأدبوهم بالضرب
والنفي والقتل على قدر أحوالهم لأنهم فساق ضلال عصاة اصحاب كبائر عند
المحققين واهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافًا لمن رأى عزو ذلك
والله الموفق للصواب قال القاضي ابو بكر واما مسائل الوعد والوعيد
والرؤية والمخلوق وخلق الأفعال وبقاء الاعراض والتولد وشبههما
من الدقايق فالمنع في اكفار المتاولين فيها اوضح اذ ليس في الجهل بشيء منها
جهل بالله تعالى ولا اجمع المسلمون على اكفار من جهل شيئًا منها وقد قدمنا
في الفصل قبله من الكلام وصوره الخلاف في هذا ما اغنى عن اعادة بحول الله

فصل هذا حكم المسلم الساب لله تعالى واما الذمي فروى عن
عبد الله بن عمر في ذمي تناول من حرمه الله تعالى غير ما هو عليه من دينه وخاض

فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف فطلبه فهرب وقال مالك في كتاب ابن حبيب
والمبسوطة وابن القاسم في المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون من شتم الله
من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا قتل ولم يستتب قال ابن
القاسم الا ان يسلم قال في المبسوطة طوعًا قال اصبغ لان الوجه الذي
به كفروا هو دينهم وعليه عودهم ومن دعوى الصاحبة والشريك والولد
واما غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض العهد قال ابن القاسم
في كتاب محمد ومن شتم من غير اهل الاديان الله تعالى بغير الوجه الذي
ذكر في كتابه قتل الا ان يسلم وقال المروزي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة
وابن ابي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلمًا كان او كافرًا فان تاب والا قتل
وقال مطرف وعبد الملك مثل قول مالك وقال ابو محمد بن ابي زيد من
سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر قتل الا ان يسلم وقد ذكرنا قول
ابن الجلاب قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ الاندلسيين في
النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به لله والنبي واجماعهم
على ذلك وهو نحو قول الاخرين ممن سب النبي صلى الله عليه وسلم منهم
بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك بين سب الله به وسب نبيه لانا عاهدناهم

على أن لا يظهروا لنا شيئاً من كفرهم وأن لا يسمعونا شيئاً من ذلك
فمتى فعلوا شيئاً منه فهو نقض لعهدهم واختلف العلماء في الذمي
إذا تزندق فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ لا يقتل
لأنه خرج من كفر إلى كفر وقال عبد الملك بن الماجشون يقتل لأنه دين
لا يقر عليه أحد ولا يوخذ عليه جزية قال ابن حبيب ولا أعلم من قاله غيره

فصل وهذا حكم من صرح بسبه وأضافه ما لا يليق
بجلاله وإلهيته فأما مغري الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الإلهية
أو الرسالة أو النبي في أن يكون الله خالقاً أو ربه أو قال ليس لي رب
أو المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره أو غمرة جنونه فلا خلاف في كف
قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه يقتل توبته على
المشهور وتنفعه إنابته وتنجيه من القتل فيتوبه لكنه لا يسلم من عظيم
النكال ولا يرقه عن شديد العقاب ليكون ذلك زجراً لمثله عن
قوله وله عن العود لكفره أو جهله إلا من تكرر ذلك منه وعرف
استهانته بما أتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزديق
الذي لا تأمن باطنه ولا تقبل رجوعه وحكم السكران في ذلك حكم

الصاحي وأما المجنون والمعتوه فما علم أنه قاله من ذلك في حال عزته وذهاب
تمييزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعله من ذلك في حال تمييزه وإن لم يكن
معه عقله وسقط تكليفه أدب على ذلك ليرتجر عنه كما يؤدب على قبائح
الأفعال ويوالى أدبه على ذلك حتى ينكف عنه كما يؤدب البهيمة على سوء الخلق
حتى تراض وقد حرق علي بن أبي طالب رضي الله عنه من ادعى له الإلهية
وقد قتل عبد الملك بن مروان الحرث المتنبي وصلبه وفعل ذلك غير واحد
من الخلفاء والملوك بأشباههم وأجمع علماء فقهاء على صواب فعلهم والمخالف
في ذلك من كفرهم كافر وأجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر من المالكية
وقاضي قضاتها أبو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الإلهية
والقول بالحلول وقوله أنا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا
توبته وكذلك حكموا في ابن أبي العراقيد وكان على نحو مذهب الحلاج
بعد هذا أيام الراضي وقاضي قضاة بغداد يومئذ أبو الحسين بن أبي عمر المالكي
وقال ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبأ قتل وقال أبو حنيفة وأصحابه من
جحد أن الله خالقه أو ربه أو قال ليس لي رب فهو مرتد وقال ابن القاسم
في كتاب ابن حبيب ومحمد العتبية فيمن تنبأ يستتاب أسر ذلك أو أعلنه

نسخة الألوكة www.alukah.net

وهو كالمرتد وقاله سحنون وغيره وقاله اشهب في يهودي تنبأ وادعى
أنه رسول اليانا إن كان معلنا بذلك استتيب فإن تاب وإلا قتل وقال
أبو محمد بن ابي زيد فيمن لعن باريه وادعى أن لسانه زل وإنما أراد لعن
الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا على القول الآخر من انه
لا تقبل توبته وقال أبو الحسن القابسي في سكران قال أنا الله أنا الله ان
تاب أدب وإن عاد الى مثل قوله طول مطالبة الزنديق لان هذا اكفر
المتلاعبين فصل وأما من تكلم من سقط القول وسخف
اللفظ ممن لم يضبط كلامه واهمل لسانه بما يقتضي الإستخفاف بعظمة
ربه وجلاله مولاه أو تمثل في بعض الأشياء ببعض ما عظم الله من
ملكوته أو نزع من الكلام المخلوق بما لا يليق الا في حق خالقه عز قاصد
للكفر والإستخفاف ولا عامد للإلحاد فإن تكرر هذا منه وعرف به
دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم عزه وكبريائه
وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك إن كان ما أورده يوجب الإستخفاف
والتنقص لربه وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل
المعروف بابن أخي عجب وكان خرج يوما فأخذه المطر فقال بدا الحوار

يرش جلوده وكان بعض الفقهاء يها ابو زيد صاحب النوادر وعبد الاعلى بن وهب
وأبان بن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه واشاروا الى انه عبث من القول
يكفي فيه الأدب وأفتى بمثله القاضي حينيذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب
دمه في عنقي ايشتم رب عبدناه ثم لا ننصر اليه إنا إذا لعبيد سوء ما نحن
له بعابدين وبكى ورفع المجلس الى الأمير بها عبد الرحمن بن الحكم الاموي
وكانت عجب عمته هذا المطلوب من خطاياه وأعلم باختلاف الفقهاء فخرج الأمر
من عنده بالأخذ بقول ابن حبيب وصاحبه وأمر بقتله فقتل وصلب بحضرة
الفقيهين وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ بقيه
الفقهاء وسبهم وأما من صدرت عنه من ذلك الهفوة الواحدة والكلمة
الشاذة ما لم يكن سقطا وازراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها
وشنعة معناها وصورة حال قايلها وشرح سببها ومقارنها وقد سئل
ابن القاسم رحمه الله عن رجل نادى رجلا باسمه فأجابه لبيك اللهم لبيك
قال ان كان جاهلا أو قاله على وجه سفه فلا شيء عليه قال القاضي
أبو الفضل وشرح قوله انه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه
يؤدب ولو قالها على اعتقاد انزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد

اشرف كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستحقوا عظيم
هذه الحرمة فانوا من ذلك بما يزري كتابا عنه ولسانا واقلاما عن ذكره ولولا
اناقصد بانص مسايل حكيناها لما ذكرنا شيأ مما يثقل ذكره علينا مما
حكيناه في هذه الفصول واما ما ورد في هذا من اهل الجهالة واغاليط اللسان
كقول بعض الاعراب، رب العباد ما لنا ومالكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا
أنزل علينا الغيث لا أبالكا في اسناه لهذا من كلام الجهال ومن لم يقومه
ثقاف تاديب الشريعة والعلم في هذا الباب فقلما يصدر الا من جاهل
يجب تعليمه وزجره والاغلاظ له عن العود الى مثله قال ابو سليمان
الخطابي وهذا هو من القول والله منزه عن هذه الامور وقد روينا
عن عون بن عبد الله انه قال ليعظم احدكم ربه ان يذكر اسمه في كل شيء
حتى يقول اخزى الله الكلب وفعل به كذا وكان بعض من ادركنا من
مشايخنا قل ما يذكر اسم الله تعالى الا فيما يتصل بطاعته وكان يقول
للانسان خزيت خيرا وقل ما يقول جزاك الله خيرا اعظاما لاسمه تعالى
ان يمتهن في غير هذه وجدنا الثقة ان الامام ابا بكر الشاشي كان
يعيب على اهل الكلام خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته اجلالا

لاسمه تعالى ويقول هؤلاء يتمدلون بالله عز وجل وينزل الكلام
في هذا الباب بزيله في باب سائر النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي
فصلناها والموفق الله فصل وحكم من سب شيأ من انبياء
الله تعالى وملايكته واستخفهم او كذبهم فيما انوا به او انكرهم
وجحدهم حكمه حكم نبينا عليه السلام على ما قدمناه قال الله تعالى
الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله الاية
وقال تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم الاية الى
قوله لا نفرق بين احد منهم وقال كل امن بالله وملايكته وكتبه ورسله
لا نفرق بين احد من رسله وقال ملك في كتاب ابن حبيب ومحمد وقاله ابن
القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ وسحنون فيمن شتم
الانبياء او احدا منهم او تنقصه قتل ولم يستتب ومن سبهم من اهل
الذمة قتل الا ان يسلم وروي سحنون عن ابن القاسم من سب الانبياء
من اليهود والنصارى يعزر الوجه الذي هو كفر فاضرب عنقه الا ان يسلم
وقد تقدم الخلاف في هذا الاصل وقال القاضي بقرطبة سعد بن سلمان
في بعض اجوبته من سب الله وملايكته قتل وقال سحنون من شتم ملكا

من الملئكة فعليه القتل وفي النوادر عن مالك فيمن قال ان جبريل أخطأ
بالوحي وإنما كان النبي علي بن أبي طالب استتيب فإن تاب والا قتل
ونحوه عن سحنون وهذا قول العراقيين من الروافض سموا بذلك لقولهم
وكان النبي اشبه بعلي من الغراب بالغراب وقال ابو حنيفة واصحابه
على أصلهم من كذب بأحد من الأنبياء أو نقص أحدا منهم او برئ منه
فهو مرتد وقال أبو الحسن الغامدي في الذي قال لأخر كأنه وجه ملك
الغضبان لو عرف أنه قصد ذم الملك قتل قال القاضي أبو الفضل وهذا
كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملئكة والنبيين او على معينين
ممن حققنا كونه من الملئكة والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه او حققنا
علمه بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالإجماع القاطع كجبريل وميكائيل
وملك وخزنة الجنة وهم والزبانية وحملة العرش المذكورين في القرآن
من الملئكة ومن سمي فيه من الأنبياء وكعزرائيل واسرافيل
ورضوان والحفظة ومنكر ونكير من الملئكة المتفق على قول الخبر بهما
فاما من لم تثبت الأخبار بتعيينه ولا وقع الإجماع على كونه من الملئكة
والأنبياء كهاروت وماروت في الملئكة والخضر ولقمان وذي القرنين

معيم

١٥٨ / ٧٥٨

ومريم واسية وخالد بن سنان المذكور انه نبي اهل الرس وذو الكفل
الذي تدعي المجوس والمورخون نبوته فليس للحكم في سابهم والكافهم
كالحكم فيمن قدمنا اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم
وأذاهم ويؤدب بقدر حال المقول فيه لاسيما من عرف صديقيته
وفضله منهم وان لم تثبت نبوته واما إنكار نبوتهم أو كون الاخر من الملئكة
فإن كان المتكلم في ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء في ذلك
وإن كان من عوام الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فان عاد أدب
إذ ليس لهم الكلام في مثل هذا وقد كره السلف الكلام في مثل هذا
مما ليس تحته عمل لأهل العلم فكيف للعامة

فصل

واعلم أن من استخف بالقرآن او المصحف او بشيء منه او سبهما او جحده
او حرفا منه او آية او كذب به او بشيء منه او كذب بشيء مما صرح به فيه
من حكم او خبر او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه بذلك او شك
في شيء من ذلك فهو كافر عند أهل العلم باجماع قال الله تعالى وإنه لكتاب
عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حدثنا
الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد رحمه الله حدثنا ابو علي حدثنا ابن

عبد البر حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابن داسة حدثنا أبو داود حدثنا أحمد
بن حنبل حدثنا يزيد بن هرون حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المراء في القرآن كفر تأول معنى الشك
ومعنى الجدال وعن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد اية من كتاب
الله من المسلمين ضرب عنقه وكذلك ان جحد التوراة والانجيل وكتب الله
المنزلة او كفرها او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون
ان القرآن المتلو في جميع اقطار الارض المكتوب في المصحف بايدي المسلمين
مما جمعه الدفتان من اول الحمد لله رب العالمين الى اخر قل اعوذ برب الناس
انه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما
فيه حق وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك او بدل له بحرف اخر مكانه
او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الاجماع عليه واجمع
على انه ليس من القرآن عامدا لكل هذا انه كافر وهذا رأي ملك قتل
من سب عايشة رضي الله عنها بالفرية لانه خالف القرآن ومن خالف القرآن
قتل اي لانه كذب بما فيه وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى
تكليما يقتل وقاله عبد الرحمن بن مهدي وقال محمد بن سحنون فيمن

فقد جل

قال

قال المعوذتان ليستا من كتاب الله يضرب عنقه إلا أن يتوب وكذلك
كل من كذب بحرف منه قال وكذلك إن شهد شاهد على من قال
إن الله لم يكلم موسى تكليما وشهد اخر عليه أنه قال إن الله ما اتخذ
إبرهيم خليلا لأنهما اجتمعا على أنه كذب النبي صلى الله عليه وسلم وقال
أبو عثمان ابن الحداد جميع من ينتحل التوحيد متفقون أن الجحد لحرف
من التنزيل كفر وكان أبو العالية إذا قرأ عنده رجل لم يقل له ليس كما قرأت
ويقول أما أنا فاقرأ كذا فبلغ ذلك إبرهيم فقال أراه سمع الله من كفر
بحرف منه فقد كفر به كله وقال عبد الله بن مسعود من كفر بأية من
القرآن فقد كفر به كله وقال اصبغ بن الفرج من كذب بعض القرآن
فقد كذب به كله ومن كذب به فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله
وقد سئل القابسي عن خاصم يهوديا فحلف له بالتوراة فقال الأخر لعن الله
التوراة فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد أخر أنه سأله عن العصبة
فقال انما لعنت توراة اليهود فقال ابو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب القتل
والثاني علق الأمر بصفة تحمل التأويل اذ لعله لا يرى اليهود متمسكين
بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان على لعن التوراة

شبكة الألوكة www.alukah.net

مجرد الضاق التأويل وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقرئ
احد أئمة المقرئين المتصدرين بجامع بن مجاهد لقرآنه واقرائه بشواذ من الحروف
مما ليس في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا أشهد
فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير أبي علي بن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلثمئة
وكان فيمن افتى عليه بذلك ابو بكر الأبهري وغيره وافتى ابو محمد بن ابي زيد
بالأدب فيمن قال لصبي لعن الله معلمك وما علمك وقال اردت سوء الادب
ولم ارد القرآن قال ابو محمد واما من لعن المصحف فانه يقتل

فصل وسب آل بيته وأزواجه وأصحابه عليه السلام

وشتمهم حرام ملعون فاعله حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله حدثنا
ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل العدل قالا حدثنا ابو يعلى حدثنا ابو علي
السنجي حدثنا بن محبوب حدثنا الترمذي حدثنا محمد بن يحيى حدثنا يعقوب
بن ابرهيم حدثنا عبيدة بن ابي رابطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الرحمن
بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي الله الله
في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي
ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد اذى الله ومن اذى الله

يوشك

يوشك أن يأخذه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي
فمن سبهم فعليه لعنة الله والملئكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه
صرفا ولا عدلا وقال عليه السلام لا تسبوا أصحابي فإنه يجيء قوم في آخر الزمان
يسبون اصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم
وان مرضوا فلا تعودوهم وعنه عليه السلام من سب اصحابي فاضربوه
وقد اعلم النبي صلى الله عليه وسلم أن سبهم واذاهم يؤذيه واذى
النبي حرام فقال لا تؤذوني في أصحابي ومن اذاهم فقد آذاني وقال
لا تؤذيني في عايشة وقال في فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها وقد اختلف
العلماء في هذا فشهور مذهب ملك في ذلك الاجتهاد والأدب الموجع
قال ملك رحمه الله من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم اصحابه
أدب وقال ايضا من شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر
او عمر او عثمان او معوية او عمرو بن العاص فإن قال كانوا على ضلال
وكفر قتل وان شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا
وقال بن حبيب من علامات السبعة الى بغض عثمان والبراءة منه ادب
ادبا شديدا ومن زاد الى بغض ابي بكر وعمر فالعقوبة عليه أشد

ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل الا في سب النبي صلى الله
عليه وسلم وقال سحنون من كفر أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم عليا أو عثمان او غيرهما يوجع ضربا وحكى أبو محمد بن ابي زيد
عن سحنون في من قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي أنهم كانوا على
ضلالة وكفر قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد
وروي عن مالك من سب أبا بكر جلد ومن سب عائشة قتل قيل له لم قال
من رماها فقد خالف القرآن وقال ابن شعبان عنه لان الله يقول يعظكم
الله ان تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن
الصقلي ان القاضي ابا بكر بن الطيب قال إن الله تعالى إذا ذكر في القرآن
ما نسبه إليه المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
سبحانه في أي كثيرة وذكر تعالى ما نسبه المنافقون الى عائشة فقال
ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك سبح نفسه في
تبرئتها من السوء كما سبح نفسه في تبرئته من السوء وهذا يشهد لقول
مالك في قتل من سب عائشة ومعنى هذا والله اعلم أن الله لما عظم سبها
كما عظم سبه وكان سبها سبا لنبيه وقرن سب نبيه وأذاه باذاته تعالى

وكان

وكان حكم مؤذيه تعالى القتل كان مؤذي نبيه كذلك كما قدمناه وشتم
رجل عائشة بالكوفة فقدم إلى موسى بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال
ابن ابي ليلى أنا فجلده ثمانين وحلق رأسه وأسلمه في الجماجين وروي عن
عمر بن الخطاب أنه مر بقطع لسان عبيد الله بن عمر اد شتم المقداد بن
الاسود فلم في ذلك فقال دعوني أقطع لسانه حتى لا يشتم احد بعد
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وروى ابو ذر الهروي أن عمر بن الخطاب
أتي باعرابي يهجو الانصار فقال لولا أن له صحبة لكفيتكموه قال
مالك من انتقص أحدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس له في
هذا الفيء حق قد قسم الله الفيء في ثلاثة اصناف فقال للفقراء والمهاجرين
الآية ثم قال والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم الآية وهؤلاء الانصار
ثم قال والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان الآية فمن انتقصهم فلا حق له في في المسلمين وفي كتاب ابن شعبان
من قال في واحد منهم انه ابن زانية وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا
حدين حدا له وحد لامه ولا اجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفصل هذا
على غيره ولقوله عليه السلام من سب اصحابي فاجلدوه قال ومن قذف

أم احدهم وهي كافرة حد حد الفرية لانه سب له فإن كان احد من
ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له والا فمن قام به من المسلمين كان على
الامام قبول قيامه قال وليس هذا الحق في غير اصحابه لحرمة هؤلاء بينهم
صلى الله عليه وسلم ولو سمعه الامام واشهد عليه كان وليّ القيام به قال
ومن سب غير عايشة من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فيها قولان
احدهما يقتل لانه سب النبي صلى الله عليه وسلم بسب جليلته والاخر
انها كسايرالصحابة يجلد حد المفتري قال وبالاول اقول وروى ابو مصعب
عن مالك من انتسب الى بيت النبي صلى الله عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا
ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لانه استخف بحق الرسول
وافتى ابو المطرف الشعبي فيمن مالقه في رجل انكر تحليف امراه بالليل
وقال لو كانت بنت ابي بكر الصديق ما حلفت الا بالنهار وصوب قوله بعض
المتسمين بالفقه فقال ابو المطرف ذكر هذا الابنة ابي بكر في مثل هذا
يوجب عليه الضرب الشديد والسجن الطويل والفقيه الذي صوب
قوله هو احق باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم اليه في ذلك ويوجر
ولا يقبل قوله ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض في الله عز وجل

قال القاضي ابو الفضل هذا انتهى القول الذي ما حررناه
وانجز الغرض الذي انتحيناه واستوفى الشرط الذي شرطناه مما ارجوا
ان في كل قسم منه للمريد مقنع وفي كل باب منهج الى بغيته ومتسع
وقد سفرت فيه عن كنت تستغرب وتستبدع وكرعت في مشارب
من التحقيق لم يوردها قبل في اكثر التصانيف مشرع واودعته غير ما
فصل ودونت لو وجدت من بسط قبلي الكلام فيه او مقتدي يقتدي به
عن كتابه او فيه لاكتفي بما ارويه عما اورده والى الله جزيل الضراعة
في المنة بقبول ما منه لوجهه والعفو عما تحلله من تزين وتصنع لغيره
وان يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه لما اودعناه من شرف مصطفاه
وامين وحيه واسهرنا به جفونا لتتبع فضايله واعملنا فيه خواطرنا من
ابراز خصايصه ورسايله ونجي اعراضنا عن نار الموقه لحمايتنا كريم عرضه
ونجعلنا ممن لاذ اذا ديد المدل عن حوضه ونجعله لنا ولمن
تهمم باكتابه واكتسابه سببا يصلنا باسبابه وذخيرة يجدها يوم
يجد كل نفس ما عملت من خير محضرا تحوز بها رضاه وجزيل ثوابه
ونخصنا بخصيصى زمره نبينا وجماعته ونحشرنا في الرعيل الاول

وأهل الباب الأيمن من أهل شفاعته ونحمده تعالى على ما هدى إليه
من جمعه والهمه وفتح البصيرة لدرك حقايق ما أودعناه وفهم
ونستعيده جل اسمه من دعاء لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع
فهو الجواد الذي لا يخيب من أمله ولا يتنصر من خذله ولا يرد دعوة
القاصدين ولا يصلح عمل المفسدين وهو حسبنا ونعم الوكيل
وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين وسلم كثيرا

تم كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى
صلى الله عليه وسلم سنيف القاضي عياض
رحمه الله عليه وكان الفراغ من نسخه يوم الثلثا
المبارك الرابع عشر من شهر ذي الحجه الحرام عام
سبع وثمانين وسبعمايه عامل الله المهتم به بفضله
العميم ولطفه ورزقه شفاعة النبي محمد صلى الله
عليه وسلم

الحمد لله وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلامه
وحسبنا الله ونعم الوكيل

١٦٢ و/ق
سبيه الجزي
لم يقابله بحسب الطاقه
والامكان والله المستعان